

مجلة المجمع العلمي



الجزء الأول - الأجزاء الثالث والأربعون

بفداد

١٤١٦ هـ = ١٩٩٦ م

مجلة المجمع العلمي



شبكة كتب الشيعة

الجزء الاول - الجاد الثالث والاربون

بفداد

١٤١٦ هـ = ١٩٩٦ م



shiabooks.net

رابط بديل < mktba.net

محمد بهجة الاثري في ذمة الخلود

ببالغ الحزن وعميق الأسى ينعى المجتمع العلمي عضوه العامل الاستاذ العلامة محمد بهجة الاثري ، وقد ختم قضاء الله الذي لاراد له حياته الطويلة المفعملة بالحياة والعمل المثمر في اغناء الفكر وتوجيهه الى ماينفع الناس ويخلد اطيّب الاثر .

ولد الفقيه ببغداد في مطلع القرن الحالي ، ونشأ برعاية أسرته التي تميزت بمتانة الخلق واستقامة المعاملة والتمسك بأهداب الدين ، وب تقدير العلم والاعتزاز بالفكر ، وتوجه الفقيه في سنة المبكرة الى التعليم ودراسة مايتصل بمبادئ الدين ولغة العرب وادابهم ، والتحق بالمؤسسات المعنية بتعليمهما ، وتابع تعلمه بحضور دروس عدد من أبرز علماء بغداد ، واخصهم محمود شكري الالوسي الذي كان له الأثر الأكبر في انماء ثقافته وتوجيهها ، وفتحت أمامه آفاق الفكر ، وشارك في النشاط الفكري بمقالات دمجها في موضوعات اجتماعية ومساجلات أدبية ، ونظم التمرّض مع متابعة القراءة والاستزادة من المعرفة ، وكانت له عناية خاصة باللغة العربية وضبط مفرداتها وتحديد معانيها ، وهو ميدان قلّ المختصون فيه لسعة اللغة وغناها ، وصار في ذلك الحجة المميز لافي العراق فحسب ، وانما على صعيد الوطن العربي الواسع ، وكانت أقواله في ذلك الفصل في كل مايتصل باللغة ومفرداتها وتراكيبها ، وامتد اهتمامه باللمعة والاداب والتاريخ ، يقرأ غرره ، ويحفظ روائعه ، ويحيط بجزئياته وتفاصيله ، ويدرك كلياته وجوهره .

ولم يكن منعزلاً عن الحياة العامة ، وانما تابع حوادثها والتعبير عنها والمشاركة في بعضها وتوجيهها ، وكان في كلها حريصاً على تعزيز انعروبة المؤئلة والاسلام المصفى من الشوائب ، وامتدت متابعته الأحداث الى تسجيل

بعضها في المقالات والقصائد ، من دون ان ينغمز في متاهات السياسة الضيقة ؛
وناله من ذلك بعض الأذى ، من دون ان يحرفه عن مثله وتوجهاته •

إن علمه الغزير وفهمه العميق ونظرة الشاملة بوائه مكانه مرموقه وأكسبه
تقديراً واسعاً ، تجلّى في ما منح من الاوسمة والجوائز ، ونالت اسهاماته في
أعماله العامية وآراؤه وأبحاثه تقديراً خاصاً ، أهلتة بجدارة الى عضوية
المجامع العربية •

وكان للمجمع العلمي في العراق الحظ الاكبر والنصيب الأوفر من الافادة
من مواهبه وعلمه ، فكان منذ تأسيسه الأول العضو المرموق والمصباح الساطع ؛
يشارك في أعماله العلمية وتوجيهاته ، من خلال لجانه المعنية باللغة والحضارة ،
وفي اجتماعاته العامة وندواته وكانت لآرائه الناضجة مكانة متميزة ، حظيت
بالتقدير الجدير بها • ويسرّ له المجمع طبع غرر أبحاثه في مقالات متتابعة ،
وكتب محققة او مؤلفة ، وتنديراً لعلمه ومكانته اقام له المجمع حفل تكريم
شارك فيه اعلام من الكتاب والشعراء عرضوا فيه بعض ماله من فضائل وثمنوا
بعض ما صدره من مؤلفات وكتب •

واحتفظ النقيذ بحيويته الفكرية حتى عندما دب الوهن في جسمه ، وظل
حريصاً على الاسهام في النكر الى ان حم القضاء : وارتفعت روحه الى بارئها
مساء يوم السبت الموافق ٢٣ / آذار / ١٩٩٦ تغمده الله برحمته ، واسكنه
فسيح جناته ، وجعله في عداد من هم احياء عند ربهم يرزقون •

(انا لله وانا اليه راجعون)

الدكتور صالح احمد العلي
رئيس المجمع العلمي

مجلة المجمع العلمي

مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م

هيئة تحرير المجلة

صالح احمد التلي (رئيس التحرير)

الامين العام

احمد مطلوب

عبدالعزیز ابراهيم البسام

عليه عليه عبد الله

بشار عواد معروف

مسارح حسن الراوي

جميل عيسى الملاكة

مندر ابراهيم الشاوي

ضياء شيت خطاب



شروط النشر

- ١ - ان يكون البحث منسجما واهداف المجمع العلمية ، ومتصفا بالاصالة ، ولم يسبق نشره .
- ٢ - ان لايزيد عدد صفحات البحث على اربعين صفحة من حجم المجلة .
- ٣ - ان يكون مطبوعا بالالة الكاتبة او مكتوبا بخط واضح بالحبر الاسود وعلى صفحة واحدة ، وان يكون جاهزا للطبع .
- ٤ - تخضع بحوث غير اعضاء المجمع للتحكيم ، ويكون القرار النهائي في نشرها لهيئة تحرير المجلة .
- ٥ - لايعاد البحث الى صاحبه نشر او لم ينشر .
- ٦ - يجوز لصاحب البحث بعد نشره في مجلة المجمع ان ينشره في مكان آخر على ان يشير الى نشره في مجلة المجمع العلمي .
- ٧ - يعبر البحث المنشور في المجلة عن رأي صاحبه .
- ٨ - ترتب البحوث في المجلة على وفق اعتبارات فنية .



العنوان : الوزيرية / بريد الاعظمية / ص٠ب ٢٢٠٤

بغداد - العراق

القيروان في العهد الاسلامي الاول

دراسة في تنظيم اهلها ومعالمها العمرانية

الدكتور صالح احمد العلي

رئيس الجمع

(١) القيروان واهلها

تأسست القيروان في منتصف القرن الاول لتكون مستقراً للمقاتلة العرب وعيالاتهم ، وقاعدة يقومون منها بتوسيع الدولة الاسلامية في شمالي افريقية والمغرب ثم الاندلس ، وليوطدوا الأمن والاستقرار في أرجائها . وكانت خلال قرن من تأسيسها مقر الولاة المسؤولين عن الفتوح والادارة في أقاليم شمالي افريقية ، وكلهم تقريباً من العرب المسلمين يعملون بتوجيه من الخلافة الاموية بدمشق التي عملت على توحيد النظم الادارية . وظلت القيروان مركزاً للوالي ومقاماً له قرناً من الزمن ، أي الى مجيء الدولة العباسية التي حرصت على إبقاء شلال افريقية تابماً لها ، وأعطت ولايتها استقلالاً واسعاً في الادارة . ولم يتم اختيار الولاة على أسس قبلية ، فلم تكن العشائر التي ينتمي اليها هؤلاء الولاة متميزة في عددها أو مكاتمتها ، ولم يعرف عن والٍ جاء مع عشيرته أو مواليه ، فالجند مرتبطون بالدولة ، وعزل الوالي لا يؤثر في التركيب القبلي للمقاتلة .

وكان معظم المقاتلة العرب في أوائل تأسيسها من مقاتلة مصر ، ثم اضيفت اليهم أعداد من أهل الشام في زمن خلافة عبدالمالك بن مروان ، وأرسل اليها العباسيون في أوائل تأسيس دولتهم أعداداً كبيرة من مقاتلة العراق بمن فيهم مقاتلة من الكوفة والبصرة وخراسان . ولم تذكر المصادر أسس اختيار من كان يرسل الى القيروان ، والراجح أنهم كانوا من عشائر متعددة ذكرت المصادر عددهم الأجمالي ، ولم تذكر عن انتماءاتهم القبيلة الا معلومات نزرعة غير وافية .

والراجع ان معظم مقاتلة الحملات المرسله الى القيروان كانوا يستقرون فيها ولا يعودون الى قواعدهم القديمة ، وهذا يعني أن القيروان تابعت نموها بالمقاتلة القادمين اليها ، وعوضت بعض النقص الذي ياحق بأهلها . ولا بد من ان المقاتلة العرب كونوا معظم سكان القيروان عند تأسيسها على يد عقبة بن نافع وعندما ثبت تنظيمها حسان بن النعمان . ولما كان تنظيم هؤلاء المقاتلة قلياً في أساسه فالراجع أن تخطيطها في هذا الزمن المبكر راعى الأسس القبلية في توزيع الخطط ، غير أن عدد الخطط التي ذكرت منسوبة الى القبائل قليل جداً ، ولا بد أن عشائر أخرى كانت لها خطط أيضاً لم تذكرها المصادر ؛ والراجع أن هذه العشائر المتعددة كانت متباينة في عدد أفرادها ومكاتها ، وان بعضها كان قليل العدد فضمت الى عشائر أخرى كالذي حدث في الأمصار الاسلامية الكبيرة الأخرى التي تتوفر عنها معلومات أوفى وخاصة الكوفة والبصرة (١) .

ولابد من أن التنظيمات الأولى القبلية والخططية تعرضت الى تعديلات بسا جاءها من موجات تالية من المقاتلة العرب مما اشارت المصادر الى بعضها وخاصة في زمن الأمويين ووائل زمن العباسيين ، وقابل ذلك تناقص محتوم حدث بمن قتل في المعارك المتعددة التي ذكرتها المصادر ولكنها لم تشر الى عدد القتلى او تركيهم القبلي .

وقضت المتطلبات العسكرية إنشاء قواعد عسكرية جديدة من أولها ما انشئ في المناطق المعرضة للأخطار المباشرة من تهديدات الروم على سواحل شمال افريقية ، وكانت من أوائل هذه القواعد تونس وقرطاجنة ، فقد اقيمت في تونس دار صناعة السفن ، وشجنت بحاميات تقيم فيها دائماً لصد هجمات الروم وللتقيام بحملات ، فكان واجبها دفاعياً وهجومياً في البر والبحر ، وقد عزز انشاء القواعد العسكرية في مدينة تونس وقرطاجنة تأمين سلامة

(١) انظر كتابنا «التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة» الفصل الاول.

القيروان التي غدت « عاصمة » تسند القوات الامامية وتدعمها ، فاصبحت مؤمنة من تهديدات الروم ولم تتعرض في القرون الاولى لهجماتهم ، وخفف عنها واجب الاسهام المتتابع في الدفاع عن السواحل . والراجح أن القيروان ظلت القاعدة المركزية للديوان الذي يصله ما يجبي من الأموال ويتم بتوزيع العطاء على المقاتلة من أهلها ومن في المراكز الامامية التي لم تكن بعيدة عن القيروان . ولم تقدم المصادر تفاصيل عن عدد المقاتلة الذين نقلوا الى هذه المراكز الامامية او تنظيم دفع العطاء لهم .

توزع مساكن العرب في المناطق خارج القيروان :

تطلب توسع الدولة وضمها بلاد المغرب إقامة حاميات دائمية في مراكز ذات أهمية إدارية وعسكرية ، وذكر اليعقوبي في كتابه « البلدان » العشرات العربية التي كانت تقيم في أواخر القرن الثالث الهجري في عدد من هذه المراكز المتفرقة في شمالي افريقية ، ولا بد أن هؤلاء او اكثرهم نقلوا من القيروان ، وكان لنقلهم أثر واسع في تركيبتها السكانية وخطتها . ولم يذكر اليعقوبي تاريخ بدء استيطانهم في تلك المراكز ، غير أن سياق الحوادث يقتضي أن بعضهم توطن في زمن مبكر ، وبعضهم توطن في زمن الأغلبة ، ولم تقدم المصادر ما يمكننا من وضع صورة شاملة دقيقة لهذا التوطن أو زمنه ، غير أنه يمكن القول بأنهم أو غالبيتهم كانوا من المقاتلة ، وان توزيعهم تم لدعم الولاية في تثبيت الامن والاستقرار في تلك البلاد الواسعة المعرضة للاضطرابات ذكر اليعقوبي أن « جزيرة شريك فيها قوم من رهط عمر بن الخطاب وسائر بطون العرب والمعجم » وان سطفورة مدينة كبيرة بها قوم من قرش ومن قضاة وغيرهم ^(٢) وذكر أن « باجة بها قوم من جند بني هاشم القدم وقوم من المعجم » ^(٣) .

وذكر ان طينة مدينة الزاب العظمى « وهي التي ينزلها الولاية وبها اخلاط

(٢) البلدان ٣٤٩

(٣) البلدان ٣٤٨

من قريش والعرب والجند والعجم والافارقة والروم والبربر » ، وان باغاية وهي من الزاب ، « بها قبائل من الجند وعجم من أهل خراسان ، وعجم من عجم البلد من بقايا الروم »^(٤) وذكر أن « سطيف بها قوم من بني أسد بن خزيمة عمال من قبل ابن الأغاب » وأن بارمة « أهلها قوم من بني تميم وموالٍ لبني تميم » وتقاوس « بها قوم من الجند وحراليها البربر » ومقرة « أهلها قوم من خبة ، وبها قوم من العجم وحراليها قوم من البربر » وان في باجة « قوم من بني تميم من بني سعد يقال لهم بنو الصمصامة خالفوا على ابن الأغاب ، وظنر ابن الأغاب بيعضهم فحبسهم »^(٥) . وذكر أن حجانة ، وهي على اربع مراحل من القيروان « أهلها وقوم يقال لهم : السناجرة ، يقال : ان اولهم من سنجار من ديار ربيعة ، وهم جند للسلطان ، وبها اصناف من العجم من البربر وغيرهم »^(٦) .
يتبين من هذه النصوص التي اقتصرد بها اليعقوبي ، وليس في المصادر ما يناقضها :

- ١ - أن العرب احتفظوا في شمالي افريقية إبان القرون الثلاثة الأولى ، وربما بعدما ، بالسمات الأساسية المميزة لهم وهي التمسك بالانتماء القبلي ، ولا بد من أن هذا يتبعه تمسك باللغة العربية والدين الاسلامي .
- ٢ - ان عددهم في كل مكان ذكر نزولهم فيه كان كبيراً لدرجة لافتة للنظر . ولكنه لم يحدد هذا العدد في أي مكان .
- ٣ - كون العرب في كل مكان نزولهم جاليات مستوطنة دائمية ، اي انه كانت معهم نساؤهم وعيالاتهم .
- ٤ - الراجع ان جميع هؤلاء العرب هم من الجند والمقاتلة ، غير أن استقرارهم اضاف اليهم سمات حضارية من حيث الحرف والاعمال والتنظيمات الاجتماعية .
- ٥ - لم يكن أي من المراكز التي ذكر استيطان العرب فيها ، مركزاً لحركة فكرية لافتة للنظر .

٦ - لم يذكر اليعقوبي زمن استيطان العرب في المواقع التي ذكرها ، والراجح انهم قوات عسكرية جاءت اما من المشرق او نقلت من المقيمين في القيروان ، وان ارتباطهم كان وثيقا بالدولة .

٧ - من المحتمل انهم حافظوا على اعمالهم في اداء الواجبات العسكرية وانهم كانوا يعتمدون في معاشهم على العطاء والرزق الذي توزعه الدولة عليهم على وفق نظم لا تختلف عن ما كان سائداً في الامصار الاسلامية الاخرى .

٨ - إن توزيع هذه الحاميات في أرجاء البلاد أسهم في استقرار الحكم العربي في المغرب ونشر الاسلام فيه .

٩ - ان نقلهم من القيروان أثر في تركيبها السكاني ، غير أنه يجب أن نذكر الزيادات الجديدة التي قدمتها في أوقات مختلفة ، ولعل هذه البجرات كان لها أثر في تخفيف ازدحام السكان في القيروان ، وجنبها التعقيدات التي ترافق تزايد هذا الازدحام .

١٠ - لا توجد اشارة الى الأسس التي تم بموجبها اختيار من نقل من القيروان الى هذه المناطق .

١١ - ان العشائر التي ذكر اليعقوبي توزيعها في المغرب هي :

أ - رھط عمر بن الخطاب في جزيرة شريك .

ب - قوم من قریش في سطفورة والزاب .

ج - أسد بن خزيمه في سطيف .

د - سعد بن تميم في طيبة وبارم مع واليهم .

هـ - قضاة في سطيف .

و - سائر بطون العرب في جزيرة شريك والزاب .

ز - جند بني هاشم القدم في باجة .

ح - السناجرة من ربيعة في مماسة .

خ - العجم في جزيرة شريك وباجة ومماسة والزاب (مع انارقة

والروم والبرير) .

- ي - أخلاط من الناس في الاعجازه ، والاريس •
 لك - قبائل من الجند وعجم من أهل خراسان في باغاية •
 ل - عجم البلد من بتمايا الروم في باغاية •

ويلاحظ في القائمة التي ذكرها اليعقوبي أن كل عشيرة استوطنت معاً في مكان ، غير انه لا تتوفر معلومات عن الدافع لاختيار كل عشيرة دون غيرها وهل أن كل العشيرة تثل او بعضها وظل الباقيون في القيروان •

ولابد أن عدداً من مقاتلة القيروان شاركوا في فتح الاندلس وكانت حملة طارق بن زياد أكثرها من البربر ، أما جيش موسى بن نصير الذي تلاه فكان فيه ١٢ ألف عربي^(٧) واستصحب الحر بن يوسف معه اربعمائة من وجوه افريقية^(٨) وكانت طالعة باج عشرة الاف غالبيتهم من القيسين ، وكان المشاركون الاولون يسمون بالبلدانيين ودخلوا في صراع مرير مع القوات الشامية التي ارسلت فيما بعد وقد استوطنت هذه القوات بلاد الاندلس لطيها فاقاموا في نواحيها^(٩) •

درس الدكتور عبد الواحد ذنون عشائر البلدانيين واماكن استيطانهم في الاندلس وذكر من عشائرهم الأنصار ، والازد ، وغافق ، ولخم ، وجذام ، والمعاقر ، وتجب ، وحضرموت ، وخولان ، وخشم ، وبجيلة ، ومذحج ، ومراد ، وعبس ، وأود ، وسعد العشيرة ، وزبيد ، وسبأ ، ويحصب ، وقضاعة ، وبلى ، وغنزة • وذكر ايضا هذيلاً ، وتميماً ، وقريشاً ، ونهد ، وزهرة ، وضبة ، كما أن من المستقرين الأوائل سهم ، وسليم ، وعبس ، وذيان^(١٠) •

(٧) عبد الواحد ذنون : الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقية والاندلس ١٧٥ ، وانظر مصادره ص ١٩٥ •

(٨) فتح الاندلس ٢٣ •

(٩) نصح الطبيب للمقرى ٧٧/١ عن الرازي ، وانظر تفاصيل وافي في « فجر الاندلس » لحسين مؤنس •

(١٠) عبد الواحد ذنون : الفتح والاستقرار ٢١٦ - ٢٣٨ •

مقرات جديدة للولاية :

من اقوى المؤشرات على أحوال القيروان السكانية والادارية اتخاذ عدد من الولاية مقامهم في مراكز شيدوها خارج القيروان .

القصر القديم والعباسية :

أول من اتخذ مقره خارج القيروان هو ابراهيم بن الأغاب الذي ولي افريقية في زمن هارون الرشيد ثم استقل بالولاية وانتقل من القيروان الى مدينة شيدوها سنة ١٨٤ على بعد ثلاثة اميال جنوب شرقي القيروان سماها العباسية ، ثم استورت باسم القصر القديم ، فصارت على درجة من الاحكام وحسن المنظر فصارت دار أمراء بني الاغاب ، وقد بنى فيها جامعا له صومعة مستديرة مبنية بالاجر والعمد ، سبع طبقات لم يبن أحكم منها ولا احسن منظر ، وحمامات كثيرة وفنادق واسواقا جمّة ومواجل للساء ، وكانت تمون القيروان باناء اذا شح في مواجلها^(١) .

وكان للقصر القديم خمسة أبواب، وفيه رجة كبيرة تعرف بالليدان ويجاورها بنية تعرف بالرصافة^(٢) ، وكان قد اشترى موضعه من بني طالوت^(٣) وكانت بقربه العتابة^(٤) .

١ - الكامل لابن الاثير ١٥٦/٦ البيان المغرب لابن عذاري ١/١١٧/١٤٨ معالم الايمان ١٠/٢ العمون والحدائق ٣٠٣ . وانظر ايضا دراسة سولينك في حوزات معهد الدراسات الشرقية في الجزائر م/٤٠ سنة ١٩٥٢ .

٢ - المسالك للبكري ٢٨ ، ياقوت ١١٩/٤ ، المقتبس لابن حيان ٣٠٣ .

٣ - البيان المغرب ١/١١٧

٤ - معالم الايمان ١٠٩/٢ الخشنى ٢٢٢ .

وفي سنة ٢٦٣ بنى ابراهيم بن أحمد بن الأغاب رقادة ، وأكمل بناءها بعد سنة ، وفيها قصر الفتح وانتقل اليها من القصر القديم ، وهي على بعد أربعة أميال من القيروان ، ودورها أربعة وعشرون ألف ذراع وأربعون ذراعاً ، وكانت تتميز باعتدال المناخ وخصب التربة^(٥) .

ويذكر ابن الأبار أن ابراهيم أجرى إليها المياه واغترس فيها صنوف الثمار والطيب والرياحين ، وبنى على القصور التي أحدث فيها سوراً ، أحد هذه القصور يسمى بغداد والثاني يسمى المختار ، فصارت أكبر من القيروان بينما ستة أميال ، فلما ولي زيادة الله هذا انتقل إليها وحضر بها حفيراً بناء صهريجا فلوله خمسمائة ذراع وعرضه أربعمائة ذراع ، وأجرى إليه ساقية وسماه البحر وبنى فيها قصراً سماه العروس على أربع طبقات انفق فيه مائة ألف دينار ، وكان عبيدالله يقول رأيت ثلاثة أشياء بافريقية لم أر مثلاً في الشرق منها هذا القصر^(٦) .

وظلت دار ملك بني الأغاب الى أن هرب عنها زيادة الله من أبي عبيد الله الشيعي ، ثم تدهورت بعد أن انتقل عنها عبيدالله الفاطمي سنة ٣٠٨ فدخلها الزهن وانتقل عنها ساكنوها ، ولم تزل تخرب شيئاً بعد شيء الى أن ولي معد ابن اسماعيل فخر ب ما بقي منها وغنا اثارها وحرث منازلها ولم يبق منها غير بساينها^(٧) وقد اباح ابراهيم بن أحمد شرب النبيذ بها^(٨) .

٥ - البيان المغرب ١/٦٣ اثار البلاد للقرطبي ١٩٩ .

٦ - الحلة السراء ١/١٧٦ .

٧ - المسالك للبكري ٢٧ ، وانظر الاضطخري ٣٩ ابن حوقل ٧٣ ، معجم البلدان ٢/٧٩٧ .

٨ - معجم البلدان ٤/٦٩٥ .

المهدية :

ولما مدّ الفاطميون سلطانهم الى منطقة القيروان قدم عبيد الله المهدي الى رقادة ودخلها في رجب سنة ٢٩٦ ، وسلم عليه اهل القيروان بالخلافة ، وبايعوه على الطاعة^(١٠) ، وكانت القيروان حينئذ اوفر ما تكون علماً وتجارة وخاصة^(١١) . غير ان الخلافات استعرت ، واتخذ بعض الثائرين على الفاطميين مقرهم في القيروان وساندتهم اهلها ، فلما قضى عبيد الله المهدي على التردد قرران يتخذ له مقراً جديداً ، واختار له موقعاً على البحر يبعد قرابة مرحلتين عن القيروان . وبدأ بتشييده سنة ٣٠٤ ثم انتقل اليه سنة ٣٠٨ بعد ان اكتمل فعظم ببناءه ، وسماه المهدية^(١٢) .

وصف المقدسي المهدية بانها « خزانة القيروان ، ومطرح صقلية ومصر ، عامرة آهلة ، من احب ان ينظر الى القسطنطينية فلينظر اليها ولا يتغنى الى بلد الروم فانها على عملها في جزيرة يدخل اليها من طريق واحد مثل الشرك^(١٣) » وذكر ابن حوقل أن المهدية « فرضة لما والاها من البلاد ؛ كثيرة التجارة ، حسنة السور والعمارة ، منيعة ، ولها سور من حجارة ، وله بابان ليس لهما فيما رأبنا من الارض شبيه ولا ظهير غير البابين اللذين في سور الرفقة ، وعلى مثالهما عملاً ومثل شكلهما اتخذنا . كثيرة القصور ، نظيفة المنازل والدور ، حسنة الحمامات والخانات . . . ادركتها سنة ٣٣٦ . . . فقد اختلت احوالها ، والثامت اعمالها ، وانتقل عنها رجالها بانتقال ملوكها عنها ، وبعدهم منها ، وكان اول نحس اطلها ابو يزيد مخلص بن كيداد وخروجه بالمغرب على اهلها ، وانالت المناخس عليها الى الآن ، وقد بقى فيها بعض رمل ، وانتقل عنها رجالها بانتقال المنصور عليه السلام وبعده منها وسكنه المنصورية من ظهر القيروان^(١٤) .

(١٠) الفاطميون في مصر للدكتور حسن ابراهيم حسن ١٢ - ١٣ .

(١١) العيون والحدائق ٢/ ٢٢٠ (طبعة نبيلة عبد المنعم) .

(١٢) البيان المغرب ١/ ٢٤٣ ، ٢٥٨ .

(١٣) احسن التقاسيم ٢٣١ . (١٤) ابن حوقل ٧٣ .

وذكر الحميري تفاصيل عن موقعها وسورها . وقال ان « البحر قد احاط بها من جهاتها الثلاث ، وانما يدخل اليها من جانب الغرب ، وربضها يعرف بزويله فيه الاسواق والحمامات » وان « المهديّة يسكنها السلطان وجنوده ، وزويلة يسكنها الناس (١٥) » .

صبرة (المنصورية) :

وفي سنة ٣٣٧ بنى المنصور بن القاسم مدينة صبرة وسماها المنصورية واستوطنها ، فصارت منزل الولاة الى حين خرابها ؛ ونقل ياقوت عن البكري « صبرة متصلة بالقيروان بناها اسماعيل بن القاسم بن عبيدالله سنة ٣٣٧ » وذكر انه عندما بنيت « خلت اكثر مدينة المهديّة وتهدمت » (١٦) .

وصف المقدسي صبرة فقال « وهي مدورة مثل الطاس لا ترى مثلها ، ودار السلطان وسطها على عمل مدينة السلام ، والماء يجري وسطها ، شديد العمارة حسنة الأسواق بها جامع السلطان ، وعرض سورها اثناء عشر ذراعاً ، منفصلة عن العمارة بينها وبين القصر عرض الطريق . وتجارها يغدون ويروحون اليها من المصر على حمير مصرية ؛ والابواب : باب الفتوح وباب زويلة وباب وادي القصارين وكلها محددة الحيطان آجر مكحل بالاججر (١٧) » .

ونقل البكري ان معد بن اسماعيل نقل اليها اسواق القيروان كلها وجميع الصناعات ، وأن لها خمسة ابواب هي الباب القبلي والباب الشرقي وباب زويلة وباب الفتوح وباب كتامة ؛ وظلت المنصورية الى سنة ٤٤٢ حين خربتها غارات الاعراب . (١٨)

(١٥) الروض المعطار ٥٦١ - ٥٦٢ ، وانظر تفاصيل اوفى ص ١٧٦ وانظر ايضاً : المسالك للبكري ٢٩ - ٣٠ .

(١٦) معجم البلدان ٣/ ٢٦٦ . (١٧) المقدسي ٢٢٦ .

(١٨) البكري ٢٦ ، وانظر : النجوم الزاهرة في حلى مصر والقاهرة لابن سعيد ٣/ ٢٤٢ .

المهدية :

ولما مدّ الفاطميون سلطانهم الى منطقة القيروان قدم عبيد الله المهدي الى رقادة ودخلها في رجب سنة ٢٩٦ ، وسلم عليه اهل القيروان بالخلافة ، وبايعوه على الطاعة^(١٠) ، وكانت القيروان حينئذ اوفر ، اتكون علماً وتجارة وخاصة^(١١) . غير ان الخلافات استعرت ، واتخذ بعض الثائرين على الفاطميين مقرهم في القيروان وساندتهم اهلها ، فلما قضى عبيد الله المهدي على التردد قرران يتخذ له مقراً جديداً ، واختار له موقعاً على البحر يبعد قرابة مرحلتين عن القيروان . وبدأ بتشييد ، سنة ٣٠٤ ثم انتقل اليه سنة ٣٠٨ بعد ان اكتمل فعظم بناءه ، وسماه المهدية^(١٢) .

وصف المقدسي المهدية بانها « خزانة القيروان ، ومطرح صقلية وممر ، عامرة آهلة ، من احب ان ينظر الى القسطنطينية فلينظر اليها ولا يتغنى الى بلد الروم فانها على عملها في جزيرة يدخل اليها من طريق واحد مثل الشرك^(١٣) » وذكر ابن حوقل أن المهدية « فرضة لما والاها من البلاد ؛ كثيرة التجارة ، حسنة السور والعمارة ، منيعة ، ولها سور من حجارة ، وله بابان ليس لهما فيما رأبنا من الارض شبيه ولا نظير غير الباين اللذين في سور الرافقة ، وعلى مثلها عملاً ومثل شكائهما اتخذنا . كثيرة القصور ، نظيفة المنازل والدور ، حسنة الحمامات والخانات . . . ادركتها سنة ٣٣٦ . . . فقد اختلت احوالها ، والتأثت اعمالها ، وانتقل عنها رجالها بانتقال ملوكها عنها ، وبعدهم منها ، وكان اول نحس أطلقها ابو يزيد مخلد بن كيداد وخروجه بالمغرب على اهلها ، وانالت المناخس عليها الى الآن ، وقد بقى فيها بعض رمق ، وانتقل عنها رجالها بانتقال المنصور عليه السلام عنها وبعده منها وسكنه المنصورية من ظهر القيروان^(١٤) .

(١٠) الفاطميون في مصر للدكتور حسن ابراهيم حسن ١٢ - ١٣ .

(١١) العيون والحدائق ٢/ ٢٢٠ (طبعة نبيلة عبد المنعم) .

(١٢) البيان المغرب ١/ ٢٤٣ ، ٢٥٨ .

(١٤) ابن حوقل ٧٣ .

(١٣) احسن التقاسيم ٢٣١ .

أول ما عمله عندما ترك القصر أنه وزع دورها على كتامة حيث انهم شيعة
الفاطميين وأهل دعوتهم^(٢١) . وثارت بين كتامة وأهل القيروان عدة فتن
ففي سنة ٢٩٦ ثارت فتنة بين كتامة وأهل القيروان ، فقتل فيها خلق
كثير ، فخرج المهدي وسكن الفتنة ، وكف الدعاة عن طاب التبشيع من العامة^(٢٢) .
وفي سنة ٣٢٩ كانت وقعة بين التيروانيين والكتاميين ، قتلا منهم في يوم
واحد أكثر من ألف رجل^(٢٣) وفي السنة التالية خالف عروبة بن يوسف الكتامي
بالقيروان فاجتمع عليه خلق كثير من كتامة والبربر ، فأخرج اليهم المهدي مولاه
غالباً ، فاقتتلوا قتالا شديداً في فحس القيروان ، فقتل عروبة وبنو عمه ، وقتل
منهم عالم لا يحصون^(٢٤) .

ولقيت القيروان عدداً من الأحداث التي أصيب فيها أهل القيروان
بالأذى ، وقتل منهم عدد غير قليل ، لكن هذه الأحداث كانت وقتية لم تؤد
إلى تدميرها .

ففي سنة ٣٢٩ وكان أبو يزيد الخارجي أسر من أهل القيروان خلق كثير
ودخل القيروان بعسكره فانتهبوا البلد وقتلوا^(٢٥) غير أن الفاطميين دحروهم
واسترجعوا القيروان ، وانزعم أبو يزيد هزيمة منكروه ، وقتل جماعة من
أصحابه وأكثر أهل القيروان^(٢٦) واسترجع المنصور القيروان^(٢٧) .

-
- (٢١) المقفى الكبير للمقريزي ٣١ ، ٨١ .
(٢٢) اتعاظ الحنفا ٦١/١ ، المقفى الكبير ٩١ .
(٢٣) البيان المغرب ٢٦٦/١ .
(٢٤) اتعاظ الحنفا ١٠٠/١ ، ابن الاثير ٣٤/٨ .
(٢٥) اتعاظ الحنفا ١١١/١ .
(٢٦) اتعاظ الحنفا ١١٥/١ .
(٢٧) اتعاظ الحنفا ١٥١/١ .

وفي سنة ٣٣٣ سار مخلد بن كيداد الاباضي الى رقادة واخرج من بها من كتامة بعد أن قتل منهم خلقاً كبيراً ثم زحف الى القيروان فدخلها .. ونهب القيروان وسبها وكانت أمور عظيمة . وقتل من مشاركة القيروان سبعمائة (٢٨) .

وفي سنة ٣٣٤ خرج ابو ظاهر اسماعيل من المهديّة فوصل القيروان ، وولى عليها مخلد بن كيداد ، فملكها وأمر بخنجر الخندق في الموضع الذي نزل فيه (٢٩) .

وفي سنة ٣٤١ امر المنصور بكتابة اولاد القواد ووجوه الدولة وضعفاء الناس من أهل القيروان وغيرها . فبلغوا اكثر من عشرة الاف (٣٠) .

احتفاظ القيروان بمكانها :

غير ان هذه الاحداث لم تزعزع مكانة القيروان العلمية وازدهارها مما اشاد به عدد غير قليل من المؤلفين العرب ، فقال محبى الدين عبدالواحد المراكشي ان القيروان كانت « دار ملك المسلمين بافريقية منذ الفتح ، لم يزل الخلفاء من بني امية وبني العباس يولون عليها الامراء من قبلهم الى ان اضطرب أمر بني العباس واستبد الاغلبة بالملك بعض الاستبداد ، وهم بنو اغاب بن محمد بن ابراهيم بن اغلب التميميون ، فاتخذوا القيروان داراً لملكهم . ثم ولوا عليها حين ارتحلوا الى مصر زير بن مناد الصنهاجي فلم يزل زير وبنوه ملوكا عليها » (٣١) .

ويقول ايضا « وكانت القيروان هذه في قديم الزمان منذ الفتح الى ان

(٢٨) البيان المغرب ٩٨/١ العبر لابن خلدون ١٤٠/٤ - ٢ .

(٢٩) المقفى الكبير ١٢٠ .

(٣٠) المقفى الكبير ١٨٤ .

(٣١) المعجب في اخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي ٣٥٥ .

خربتها الاعراب دار العلم بالمغرب ، ينسب اليها اكابر علمائه ، واليها كانت رحلة اياه في طلب العالم» (٣٢) ، ويتول الادريسي « ومدينة القيروان ام امصار وقاعدة انطار ، وكانت أهم مدن الغرب طرا وأكثرها بشراً وأيسرها أموالاً وأوسعها أحوالاً وأتقنها بناءً وأتسميها همما وأربحها تجارة وأكثرها جباية وأنفقها سلعة وأنماها ربحاً وأجبرهم عصياناً وأطاعهم أغماراً . والنائب على فضلائهم التمسك بالخير والوفاء بالعهد والتخلي عن الشبهات واجتناب المحارم والتقنن في محاسن العلوم والميل الى القصد» (٣٣) .

ويقول الحسن بن محمد الوزان « وقد ازد هرت العلوم الاسلامية بالقيروان في تاريخها حتى ان معظم فقهاء افريقية من المتخرجين منها» (٣٤) .

وكانت الحركة الفكرية فيها تسير في مرضيعها واتجاهاتها على نفس ما كان يجري في المشرق ولاسيما في بغداد والحجاز من الاهتمام بالفقه والحديث واللغة ، ولم تظهر فيها اثار التيارات المحاية ، كما انها لم تكن مركزاً لنقل علوم الاغريق أو لانماء دراسات علوم الاوائل ، وقد قدمها عدد من علماء المشاركة للتدريس وليس للدراسة ، كما قدمها عدد كبير من أهل الاندلس للدراسة .

ووصف المقدسي القيروان ومما قاله : « انها تكون أقل من ثلاثة أميال في مثلها ، بلا سور وشربهم من مواجيل وصهاريج ، وبنيانهم مدر وآجر . . انها مفخرة المغرب ومركز السلطان واحد الاركان ، ارفق من نيسابور ، واكبر من دمشق ، وآهل من اصبهان ، الا ان ماءهم ضعيف وادبهم طفيف ، والخرائب موضوعة على أصحاب الدكاكين ، وأسواقهم معطلة ، وهي فرضة المغربيين ومتجر البحرين .

(٣٢) المعجب ٣٥٦ .

(٣٣) الادريسي : وصف افريقية ٨٠ طبعة بيريز .

(٣٤) وصف افريقية ٩٠/٢ .

وذكر أن أهلها حنيفة ومالكية مع إلفة عجيبة لاشغب بينهم ولا عصبية^(٣٥) وهذه ظاهرة تلفت النظر اذا قورنت بكثير من المدن الاسلامية التي كان في الغالب كل منها ينقسم الى كتلتين متخاصمتين .

وذكر ابن حوقل « كانت القيروان اعظم مدينة بالمغرب . واكثرها تجراً واموالاً » . واحسنها منازل واسواقاً ، وكان فيها ديوان جميع المغرب ، واليها تجبى اموالها ، وبها دار سلطانها ، وبظاهرها المكان المدعو رقادة وهو مدينة كانت منازل لآل الاغاب^(٣٦) .

غير ان الضربة القاضية على القيروان حلت عندما اخلاها الزيريون فاجتاحها البلاليون ، وفي هذا يقول ابن عذاري « كانت القيروان اعظم مدن المغرب طراً ، واكثرها بشراً وايسرها أموالاً » ، وأوسعها أحوالاً ؛ وكان الغالب على اهلها التمسك بالخير والتخلي عن الشبهات واجتناب المحارم الى ان توالى الجوائح عايتها بدخول العرب فيها على ما يأتي ذكره ، فلم يبق بها الا اطلال دارة واثار طامسة^(٣٧) .

ووصف اخلاء الزيريين القيروان فقال « نادى مناد في القيروان بانتقال من يسكن فيها من الصنهاجين الى المنصورة ، ثم نادى مناد آخر بعد ذلك باغلاق الحوانيت بالقيروان وفنادقها ، فاغلقت ولم يبق بها الا بعض حوانيت الأحماس ، وبلغ كراء حانوت بالمنصورة مائتي درهم لبيع الكتان ، وما سمع ذلك في كراء حانوت بالقيروان فكان ذلك سبب خرابها^(٣٨) .

(٣٥) احسن التقاسيم ١٢٤ .

(٣٦) ابن حوقل ٩٤ .

(٣٧) البيان المغرب ١/ ٢٩٤ .

(٣٨) البيان المغرب ١/ ٣٧٦ .

ويذكر أيضاً أن السلطان أمر « ان ينقل عامة أهل صبرة وسوقها الى القيروان ، ونقلوا الحوانيت كلها بصبرة ، وأمر جميع من بالقيروان من الصنهاجيين وغيرهم من البربر ان ينتقلوا الى صبرة ، وينزلوا في حوانيتها وأسواقها ، فارتج البلد لذلك وعظم الخطب واشتد الكرب ومد العبيد ورجال صنهاجة ايديهم الى خشب الحوانيت وسقائفها واقتلعوها ، وخربت العسارة العظيمة في ساعة واحدة ، وبات الناس في خوف عظيم » (٣٩) .

وتقل عن ابي شرف وصف الاضطراب والهلع في القيروان ثم انهيار مقاومتها فقال « وبات الناس ليأتين بالقيروان تحت ما لا يعلمه الا الله تعالى من الخوف لا يدرون ما ينزل ، بساحتهم واقام الناس يومين لا يدخل اليهم داخل ولا يخرج منهم خارج ، وخیل العرب تسرح حول القيروان في كل جهة ، ومكان الناس يرونهم عياناً بياناً » ولجأ أهل البوادي الى القيروان (٤٠) .

ثم نقل ابن شرف عن شاهد عيان قوله « خرجت من القيروان وسرت ليلاً فكنت اكمن النهار فلم أر قرية الا وقد سحنت واكات ، واهلها عراة امام حيطانهم من رجل وامرأة وظل يبكي جميعهم جوعاً وبرداً ، وانقطع المير عن القيروان ، وتعطلت الأسواق ، وأمسك العرب جميع من رأوه فلم يطلقوا أحداً الا بالفداء مثل اسرى الروم ، واما الضعفاء والمساكين فأمسكوهم لحسد منهم » (٤١) .

تقدمت جموع العرب الى باب تونس لاكتساح القيروان « فخرج اليهم العامة : منوم من يحمل السلاح ومنهم من بيده عصاً لا يدفع بها اضعف الكلاب ، فحمت عليهم فرسان العرب وتمكنت منهم سيوفهم ورماحهم ، فتساقطوا على وجوههم وجنوبهم ، وسطحوهم من حد افران الاجر الى هذا الباب ولم يبق الا من حصنه أجه ، ولم يتركوا على حي ولا ميت خرقة تواريه .. وبقي خلق من الغرباء في المقتلة ، وجرح من الناس خلق كثير ، ورأى الناس ما أذهلهم من قبح الجراحات ، وكان هذا يوم مصائب وانكاد ونوب لم ير الناس مثله في

(٤٠) البيان المغرب ١/ ٤٢٣ .

(٣٩) البيان المغرب ١/ ٤٢١ .

(٤١) البيان المغرب ١/ ٤٢٢ .

سائر الامصار في ما مضى من الاعصار وبات الناس في هم وغم (٤٢) .
 و اشار محيي الدين عبدالواحد المراكشي الى خرابها فذكر انها ظلت قائمة
 مزدهرة الى ان اخرج العرب آخر حكامهم تميم بن المعز بن باديس « فاتتهما
 الأعراب وخربتها فبي كذلك خراب الى اليوم (سنة ٥٦٢) فيها عمارة قليلة ،
 يسكنها الفلاحون وارباب البادية ، ويذكر أنه لما استولى عايبا الخراب « تفرق
 أهلها في كل وجه ، فمنهم من قصد بلاد مصر ، ومنهم من قصد صقلية
 والاندلس ، وقصدت منهم طائفة عظيمة اقصى بلاد المغرب فنزلوا فاس فعقبهم
 بها الى اليوم » (٤٣) .

ويذكر ابن عذاري انه في زمنه ، أي اخر المائة السابعة ، ابتدأت بالعمارة (٤٤)
 غير انها لم تستعد مكاتيبها الاولى ، فيذكر الادريسي « فسلط الله
 سبحانه عايبا العرب ، وتوالت الجوائح عليها حتى لم يبق منها الا اطلال دارسة
 وآثار طامسة ، وهي الآن في وقتنا هذا على جزء منها سور ، وولاية امورها
 العرب وهم يتبضون ما يتوفر من جباياتها ، وبها أقوام قليلون تجاراتهم يسيرة
 ومنافعها نزره ، ومياهاها قليلة وشرب أهلها من ماء الماجل الكبير الذي بها » (٤٥)
 ويقول الحسن بن مهدي الوزان « وبعد أن خرب الأعراب التيروان
 أخذت في الوقت الحاضر تمتلئ بالسكان ولكن بكيفية بائسة ، فليس فيها
 الآن غير صناع فقراء اكثرهم يصنعون جلود الغنم والماعز ويبيعونها ملابس
 جلدية في مدن نوميديا التي لا توجد بها الاقمشة الاوربية ، فهذه الحرفة
 لا تضمن لهم الا معاشا موقتاً بالاضافة الى ان مالك تونس يثقل كاهلهم
 بالضرائب ، وبذلك غدت معيشتهم ضنكا » (٤٥) .

ويلاحظ ان وثائق الجنيزا تذكر ان التيروان مدينة ضعيفة وفقيرة ،
 وبمجرد ان تصلها بضائع بكميات كبيرة نان هذه البضائع لاتباع (٤٦) .

(٤٢) البيان المغرب ١/٤٢٣ - ٢٤٣ .

(٤٣) المعجب في اخبار المغرب ٣٥٦ (طبعة مصطفى السقا) .

(٤٤) البيان المغرب ١/٢٩٤ . (٤٤) افريقية ٨٠ طبعة بيريز .

(٤٥) وصف افريقيه ٢/٩٠ .

(٤٦) جوتين : دراسات في التاريخ الاسلامي ٢٣٧ .

خلط العرب وتنظيمهم في القيروان

ليس من اليسير تقديم صورة شاملة لتنظيم خطط القيروان في العهد الاولى من تأسيسها ، لان هذا التنظيم تعرض لتطورات بسبب نقل قوات من القيروان الى مناطق اخرى في المغرب والى الاندلس ، ويتأصل ذلك مجيء امدادات متتابعة من المشرق . ثم ان المؤلفين الذين كتبوا عن تاريخ هذه البلاد عنوا بذكر الحوادث السياسية والحربية ، واهم يعنوا كثيراً بذكر التركيب البشري للمقاتلة والقوات التي أسهمت في الحوادث ، وقصروا في ذلك على ذكر أسماء بعض البارزين واسهاماتهم في الحوادث ، أما كتب الرجال والتراجم فأكثرت عنايتها بذكر العلماء الذين كان عدد البارزين المذكورين فيها محدوداً ، والعناية في اختيارهم ترجع الى اسهاماتهم في الحركة الفكرية ، والعدد الذي ذكرت المصادر انتماءهم القبلي قليل لا يؤمن جمعه تقديم صورة واسعة دقيقة لتنظيم أهل القيروان ، وخاصة العرب .

لم أجد في المصادر ذكراً للتعابير المألوفة في وصف تنظيم كثير من الأمصار العربية في المشرق مثل « الخطط » و « الأرباع » و « العرفاء » و « المناكب » بل حتى « الرؤساء » و « الأشراف » و « السادة »^(١) . ان النص الوحيد الشامل الذي وصل إلينا هو ما ذكره اليعقوبي حيث قال « في مدينة القيروان أخلاط من قریش ، ومن سائر بطون العرب من مضر ، وربيعة ، وقحطان ، وبها أصناف من عجم البلاد البربر والروم وأشباه ذلك^(٢) ولا ريب في ان هذا النص مهم ، نظراً لما عرف به اليعقوبي من اهتمام بتسجيل الاحوال السكانية ، غير أنه مقتضب جداً ، كما انه لا يحدد حجم كل من هذه المجموعات ومواضع خططها .

أشار بعض المؤلفين عرضياً الى خطط بعض العشائر ومساجدها وألحوا الى مواضعها مما له فائدة في تحديد بعض المعالم الخطية في

(١) انظر كتابنا : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة .

(١١) البلدان ٣٤٨ .

القيروان فما ذكر انه كانت للأنصار رجة ومسجد وضع سنة ٤٧ بمحرس
 الأنصار قبل ان تخط القيروان^(٢) وان المحرس اختطه « روفع بن ثابت
 الأنصاري » ولم يزل العلماء والأبدال يتناوبونه ويعرفونه ، وله بركات
 مشهورة^(٣) ، وقد خرب المسجد فعمره يوسف بن حسون بعد خرابه^(٤) .

وبمحرس الأنصار أيضا مسجد اسماعيل بن عبيد الأنصاري وهو
 المسجد المعروف بمسجد الزيتون ، وهو المسجد الكبير قبلي الجامع^(٥) .
 ويروي ابن الدباغ ان مسجد الأنصار اختطه روفع وهو افضل مساجد
 القيروان واقدما^(٦) .

ووردت اشارات الى خطط في القيروان وأطرافها لعدد من العشائر اليمانية
 والمضربة .

فكانت للمعافر قرية فيها مسجد بقرب قابس^(٧) .

والصدف قرية على خمسة أميال من القيروان^(٨) .

وللحضرمين بلد كان فينا رياح ، وكان من شيوخها خنز^(٩) وكان لولد
 عاشور اليحصبي فيها مطمور شعير^(١٠) .

ولليحصيين حارة نسب اليها ابو عاي اليحصبي وابوه من البليدين^(١١) .
 وذكرت البلوية مقبرة دفن فيها الحسن بن محمد ، وابو زمعة البلوي^(١٢) ،
 ولهم قلة بباب تونس^(١٣) .

وكانت منازل الفهريين في الاطراف الشمالية من الجامع^(١٤) .

(٢) معالم الايمان ١ / ١٣٦ .

(٣) معالم الايمان ١ / ٢٧ . (٤) معالم الايمان ١ / ١٠٢ .

(٥) رياض النفوس ١ / ١٠٧ . (٦) معالم الايمان ١ / ١٢٥ .

(٧) معالم الايمان ٣ / ١٦٩ . (٨) باقوت : معجم البلدان ٣ / ٣٧٥ .

(٩) معالم الايمان ٤ / ١٠٨ . (١٠) معالم الايمان ٤ / ٢٠٩ .

(١١) الحلل السندية ١٥٠ . (١٢) معالم الايمان ١ / ٩٨ .

(١٣) ابو العرب ٧٧ ؛ رياض النفوس ٣ / ٥٥ .

(١٤) البكري ٤٨ .

وللقريشيين رجة فيها مسجد^(١٥) ولهم مقبرة في باب سلم دفنت فيها بنت لعبدالله بن عمر في أوائل تأسيس القيروان^(١٦) ، ولعل هذه المقبرة هي التي سمتها المصادر المقبرة العظمى في باب سلم^(١٧) .

المساجد الأولى : -

ذكر ابن الدباغ أن التابعين اختلفوا ثلاثة مساجد هي مسجد ابن عبدالرحمن الحبابي ، ومسجد حنش الصنعاني ، ومسجد علي بن رباح اللخمي وأنشأوا أيضاً مسجد السبت ، ومسجد الخميس ، ومسجد عبدالله^(١٨) .

فأما مسجد عبدالرحمن الحبابي فكان بدرب أزهر قرب باب تونس ، ويسمى مسجد الرياض ، وظل عامراً الى زمن ابن الدباغ ، وكان يقع في الدرب المعروف بأولاد غيبة^(١٩) .

وأما مسجد حنش الصنعاني فكان بباب الريح ، وهو مسجد ابن اسحاق السبائي ، وصار فيما بعد يدعى مسجد علي^(٢٠) .

وعند الدمنة مسجد السبت وهو يلاصق السور القديم من الحبابي ، وصار فيما بعد بمسجد الغربي .

ذكر ابن الدباغ أسماء عدد من الصحابة والتابعين ممن نزل القيروان وأقام بها دائماً أو مؤقتاً . ومن ذكرهم : من الأنصار (١) كعب بن عمرو ، (٢) وفضالة ، (٣) ورويفع (٤) وجبيلة الساعدي ، ومن قریش (٥) عبدالله بن عمر (٦) عبدالله بن العباس ، (٧) وعبدالله بن الزبير ، (٨) وعبدالله بن سعد ابن ابي سرح ، (٩) والمسيب بن حزن المخرومي ، (١٠) ومعاوية بن حديج ، (١١) وحبيب بن ارقم البدوي .

(١٥) ابو العرب ٧١ ، رياض النفوس ٥٥/١ .

(١٦) ابو العرب ٧٨ ؛ معالم الايمان ١٨٥/١ .

(١٧) ابو العرب ٥٣ . (١٨) معالم الايمان ٢٨/١ - ٣٠ .

(١٩) معالم الايمان ٣٠/١ - ٣١ . (٢٠) معالم الايمان ٢٨/١ .

ومن اهل الحجاز (١٢) عمرو بن عوف المزني (١٣) سلمة بن الاكوع المزني ، (١٤) وبلال المزني (١٥) وابو ذر الغفاري (١٦) وحمزه الأسدي ، (١٧) وعبدالله بن أنيس الجهني (١٨) وعتبة بن عامر الجهني (١٩) والمقداد ابن عمرو البيراني •

ان هذه القائمة تشمل البارزين من الصحابة والتابعين ، وهي قد تشير الى العشائر التي شاركت في الفتح وتأسيس القيروان ، الا أنها قائمة قصيرة غير مستوعبة ، علما ان كثيراً منهم لم يخط في القيروان او يستقر مقامه فيها •
وذكر ابن الدباغ كذلك واحداً وعشرين رجلاً ممن دفنوا في باب السلم ، والعشائر التي ينسب اليها كل منهم ؛ وهذه الاسماء تشير الى العشائر الاولى التي استوطنت القيروان ، علما ان القائمة غير مستوعبة •

قريش^(١) يحيى بن محمد^(٢) ابراهيم بن يوسف •
الأنصار^(٣) مروان بن محمد^(٤) علي بن محمد مدلج^(٥) محمد بن احمد نصر^(٦) محمد بن الطيب •

غنم^(٧) سفيد بن محمد^(٨) احمد بن خليل •
تميم^(٩) غانم بن مسرور^(١٠) ابو العرب^(١١) محمد بن مسعود^(١٢) عتيق بن اسحاق المعاضمر^(١٣) ، محمد بن خيرون^(١٤) ابراهيم بن حسن •
غافق^(١٥) احمد بن موسى^(١٦) ابو القاسم بن عبدالرحمن •
الازد^(١٧) محمد بن أبي داود^(١٨) احمد بن موسى •
زوية^(١٩) محمد بن الحسن^(٢٠) احمد بن ابي بكر •
لواتة^(٢١) محمد بن ابي موسى^(٢٢) •

مذكورون في « معالم الايمان » بالتابع :

(١) ٢٥٢/٣	(٢) ١٠٤/٤	(٣) ٦٠/٣	(٤) ٢١٥/٣
(٥) ٤٥/٤	(٦) ٢٣/٢٤	(٧) ٢١٥/٢	(٨) ٢٢٦/٣
(٩) ٢٧٨/٢	(١٠) ١٢٦/٢	(١١) ٦٧/٣	(١٢) ٢٤/٣
(١٣) ٢١٥/٢	(١٤) ٢٢٧/٢	(١٥) ١٩٧/٢	(١٦) ٣٨٩/٣
(١٧) ١٩٧/٢	(١٨) ١٠٤/٢	(١٩) ١٣٠/٣	(٢٠) ١٦٢/٣
(٢١) ١٩٨/٣٠			

كانت غالبية سكان شمالي افريقية من البربر ، وهم قبائل متعددة ، ولم تكن علاقاتهم طيبة مع الروم ، ولعل هذا من أهم عوامل عدم تحمسهم في مقاومة العرب ، ثم في اقبالهم على اعتناق الاسلام والانضمام الى جيوشه منذ زمن مبكر ، وكان أغلب البربر من في منطقة القيروان من لواتة ونفزاوة ونفوسة^(١) .

واول ذكر لاتصال البربر بالمقاتلة المسلمين يرجع الى زمن ولاية عقبة بن نافع حيث يذكر النويري انه عندما تقدم عقبة انسحب البربر وأخذ عقبة من أسلم منهم وضمهم الى الجيش الوارد عليه^(٢) وعندما تقدم عقبة موعلاً في بلاد المغرب سنة ٦٩ هـ خلف زهير بن قيس البايوي ومعه ثر كبير من البربر شدتهم ألنين ، ومن العرب أربعة آلاف^(٣) .

ويقول ابن عبدالحكم ان عقبة بن نافع عندما تقدم الى الاوراس ابقى في القيروان عمر بن عاي وزهير بن قيس ، خالفه رجل من العجم في ثلاثين ألفاً^(٤) وقد يفهم من هذا الكلام ان هؤلاء الثلاثين ألفاً لم يكونوا منذ البدء مع العرب ، أو أنهم كانوا مع العرب ثم انشقوا عليهم .

وعندما أسس عقبة بن نافع القيروان أسام بعض البربر^(٥) ولما تقدم حسان بن النعمان الفسائي لقتال الكاهنة « كان مع حسان جماعة من البربر من البتر يقال لهم العتم نولى عليهم الأكبر من ولد الكاهنة واكرمه وقربه^(٦) من البتر .

ولما دحر حسان الروم واستأمن البربر اليه لم يقبل أمانهم حتى يعطوه من جميع قبائلهم إثني عشر ألف فارس يكونون مع العرب برسم الجهاد ، فأجابوه

(١) حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ٢٨٤ .

(٢) نهاية الأرب ١٦٨ (المخطوط) .

(٣) رياض النفوس ٩/١٩٩ .

(٤) ابن عبدالحكم ١٩٨ .

(٥) اسد الغابة ٢/١٨١ . (٦) ابن عبد الحكم ٢٠١ ، معالم الايمان ٦٥ .

الى ذلك ، وأسلموا على يديه ، فعقد لولدي الكاهنة بعد اسلامهما ، لكل واحد منهما ستة آلاف فارس من البربر ، وجعله واليا عليهم ، وأخرجهم مع العرب فتحون افريقية ويتناولون الروم ومن كفر من البربر ، فمن ذلك صارت الخطط بافريقية للبربر ، فكان يقسم النبيء والارض بينهم ، فحقت طاعتهم له واذنعت له افريقية ، ودون الدواوين^(٧) ووضع الخراج على عجم افريقية وعلى من اقسام معهم على النصرانية ، وغامتهم من البرانس الا قايلاً من البر^(٨) . وكان جيش طارق بن زياد الذي عبر الى الاندلس اثني عشر الف فارس^(٩) ، وهو العدد الذي جعله عليهم حسان بن النعمان .

وفي زمن خلافة عمر بن عبدالعزيز واي اسماعيل بن عبد الله الانصاري افريقية ، فعمل على نشر الاسلام فيه^(١٠) ، ثم اعتبسه اسماعيل بن ابي المهاجر لعمر بن عبد العزيز ايضاً وكان « مازال حريصاً على دعاء البربر الى الاسلام حتى اسلم بتمية البربر بافريقية على يديه^(١١) » .

ولما ولي يزيد بن ابي مسلم افريقية سنة ١٠١ هـ أخذ والي موسى بن نصير من البربر فوشم ايديهم ، وخمسهم أخماساً ، وأحصى أموالهم وأولادهم ثم جعلهم حرسه وبطامته « وكان حرس يزيد بن ابي مسلم حين قدم البربر ليس فيهم الا بترى ، وكانوا هم حرس الولاة قبله ، ليس فيهم من البرانس^(١٢) » وكان البربر يحرسونه ، فقام على المنبر خطيباً : انسى رأيت أن أرسم حرسى في ايديهم كما تصنع ملوك الروم في حرسها ، فأرسم في يمين الرجل اسه وفي يساره الحرس ، ليعرفوا بذلك من بين سائر الناس « غير أن هؤلاء الحرس استأثروا من ذلك وقتلوه^(١٣) » .

(٧) رياض النفوس ١٧٤/١ ؛ معالم الايمان ١/٦٧ .

(٨) ابن عبد الحكم ٢٠١ .

(٩) ابن عبد الحكم ٢٠٤ ، فتوح البلدان ١٣٤ ؛ البيان المغرب ١/٤٦ ؛

ابن الرقيق ٦٤ .

(١٠) البيان المغرب ١/٤٥ .

(١١) ابن عبد الحكم ٢١٤ . (١٢) ابن عبد الحكم ٢٠٤ ؛ البيان المغرب ١/٤٩ .

والبرانس مجموعة من القبائل البربرية ، مواطنها في جبال اوراس ، اما
البتري فكانت مواطنهم الاولى في ليبيا ، وابرز عشائهم لواتة ،
ونقوسة ، ونقزة (١٢) .

ولابد من ان عدداً من البربر استوطن القيروان منذ أول تأسيسها ، والراجح
أن عدداً منهم سكن قرب دار الامارة حيث كانوا حرس الوالي (١٣) ؛ كما
ان اعدادا منهم من غير الحرس سكنت القيروان وكان بعضهم في العطاء ،
واخرون يعملون في السوق ، ولكن لا توجد اشارة الى قطاع خاص سكنوه
في القيروان .



(١٢) ابن عبدالحكم ٢١٤ .
(١٣) انظر : دائرة المعارف الاسلامية . مادة (بربر) (البتري) (البرانس) وانظر
تفاصيل اوفى في تاريخ ابن خلدون .

(٢) المعالم الخطية والعمرانية

السور : -

يقول البكري « كان للقيروان في القديم سور طوب سعتة عشرة أذرع ، بناء ابن الأشعث بن عتبة الخزاعي سنة أربع وأربعين ومائة ، وهو أول قائد دخل افريقية المسودة (العباسيين) » .

وكان في قبليه باب سوى (!) الأربعة وهو بين القبلة والمغرب ، وبين القبلة والمشرق باب أبي الربيع ، وفي شرقيه باب عبدالله وباب نافع ، وفي جنوبيه باب أصرم وباب سلم . فبدم هذا السور زيادة الله بن ابراهيم المعروف بأبي الكبير سنة تسع ومائتين لما قام عليه أهل القيروان مع المنصور المعروف بالكيلاني ، فلما تقدم الى القيروان يوم الاربعاء للنصف من جمادى الاولى من تلك السنة وخرج أهل القيروان الى زيادة الله فرغبوا في العفر والصنح عنهم هدم سور انقيروان عقوبة لهم (١) .

وذكر ابن عذاري أن ابن الأشعث أمر ببناء سور لقيروان في ذي القعدة من سنة ١٤٤هـ ، وتم البناء في رجب سنة ١٤٦هـ (٢) .

ويقول اليعقوبي ان القيروان كان عليها سور من لبن وطوب فهدمه زيادة الله بن ابراهيم بن الأغاب (٣) ، ويقول ابن عذاري ان ابا حاتم الاباضي احرق أبواب القيروان وثلم سورها ودخلها وأخرج أكثر أهلها الى الزاب (٤) . ويتابع البكري كلامه عن السور فيقول (ثم بناه المعز بن باديس الصنهاجي سنة ٤٤٤هـ ، وبلغ تكسيه اثنين وعشرين ألف ذراع . وجعل السور

(١) المسالك ٢٤ - ٢٥ ، وانظر رياض النفوس ١/ ٢٧٠ ، ٢٨٩ ، الحلة السراء ٦٩/١ وتجدر الملاحظة انه في قريب من هذا الزمن بنيت بغداد وعليها سور ، كما بني سور حول كل من الكوفة والبصرة .

(٢) البيان المغرب ١/ ٨٤ ، ٨٥ ؛ الكامل لابن الاثير ٦/ ٢٢ : تاريخ المغرب لسعد زغلول ٢/ ٦١ .

(٣) البلدان ٣٤٧ . (٤) البيان المغرب ١/ ٩٠ .

مما يابي صبرة ، وللفصيل حائطان يتصلان الى مدينة صبرة ، وبينهما نحو نصف ميل ، سبيل التاجر ان اراد ان يدخل مدينة القيروان ما يجب عليه فيه المكس الا بعد جرازه على مدينة صبرة .

وللمدينة اليوم اربعة عشر بابا منها المذكورة ، وباب النخيل والباب الحديث ، والفصيل بابان ، وباب الطراز والباب الحديث وباب الثلاثين وباب ابي الربيع وباب سحنون الفقيه (٥) .

لم اجد في المصادر ذكراً لغير باب ابي الربيع مما يدل على اندثارها ، ويبدو أن سور ابن باديس هو غير السور القديم الذي احتفظ بأسماء أبوابه ، غير أنه لا توجد معومات توضح العلاقة المكانية بين السورين . وقد أشارت المصادر الى عدد من المعالم بقربه ، فذكر ابن الدباغ أن الفرافطة قرب سور البلد ، وفيها مسجد ابي عمران الفصاي ، وهو مسجد كبير (٦) . وابن جبانة المرابط ابو يوسف الدهمان مجاورة لسور البلد من جهة الجرف (٧) .

كما يذكر أن في البلد برجاً يعرف ببرج بوسطلية (٨) ، وأن فيه مسجد أحمد بن عبد الرحمن الخولاني وهو مسجد كبير (٩) ويذكر عن مسجد أبي ميسرة لما بني السور المحدث أخذ منه شيء " هو الآن في الشارع . وتعرف العامة بمسجد ابن غلاب ، وهو عن يسار الداخل من باب تونس (١٠) .

ويذكر ابن الدباغ : « سمعت من القرويين كلاماً متواتراً ان سور مدينة القيروان كان غير طويل ، فوقف الشيخ فيه وزاد حتى تحصن البلد كما اليوم ، والزيادة التي زادها من داخل البلد تظهر في وجه الحائط بقي بعضها دائماً وأن السور بلغ ثلاثة عشر ألف ذراع وستمائة (١٢) .

(٥) المسالك ٢٥ ، وانظر : بساط المتيق لحسن حسني عبدالوهاب ١٤ .

(٦) معالم الايمان ٣/٣ .

(٧) معالم الايمان ٤٣/٤ .

(٨) معالم الايمان ١٣٧/٤ .

(٩) معالم الايمان ٢١٢/٢ . (١٠) معالم الايمان ٣٠/١ .

(١١) معالم الايمان ٤٨/٤ . (١٢) معالم الايمان ١٠٧/٤ .

الابواب :-

ذكر المقدسي أن دروب القيروان خمسة عشر ، سعى منها ثمانية هي درب عبدالله ، درب تونس ، درب أصرم ، درب سلم ، درب نافع ، درب سوق الأحد ، درب الحذائين^(١) ، والدروب الستة الأولى تطابق الأبواب التي ورد ذكرها في المصادر . أما الدربان الأخيران (درب سوق الأحد ، ودرب الحذائين) فلم تذكر المصادر لها ابواباً : ولعل هذه الدروب كانت تمتد من الابواب .

ونذكر أدناه المعلومات التي توفرت لنا عن أبواب المدينة .

باب عبدالله :-

نسب هذا الباب الى عبدالله بن سعد بن ابي سرح لأنه نزل عنده، وكان عند نزوله فيه سبخة في شرقي القيروان ، فبنى عندها مسجداً أصبح يعرف بمسجد ابن أبي سرح^(٢) ، أو مسجد عبدالله . وهو أحد المساجد السبعة القديمة ، ثم اندرس الباب والمسجد وظل أثره في البقعة التي بين كدية القلائين وبين باب نافع^(٣) ولذلك لم يتردد ذكره في الأخبار .

وباب عبدالله مجاور لمقبرة سحنون^(٤) وفي جوفه يقع ماجل أبي الزمرد^(٥) والباب قرب باب نافع ، وقد وضع عمر بن حفص عسكره بين باب نافع وباب عبدالله^(٦) .

باب نافع :-

كان باب نافع وباب عبدالله يقعان في الجبهة الشرقية من القيروان^(٧) ومن المعالم العمرانية عند هذا الباب دار عاي بن رياح اللخمي ومسجده الذي يقع على يمين الخارج قبل أن يخرج^(٨) وهو من المساجد القديمة ، وكان فيه

(١) احسن التقاسيم ٢٢٥ . (٢) رياض النفوس ٦٧/١ معالم الايمان ١٣٧

(٣) رياض النفوس ٧٣/١ ، معالم الايمان ٣٣/١ .

(٤) معالم الايمان ١٣٧/١ . (٥) رياض النفوس ٢٦٧/٢ .

(٦) الرقيق ١٣٤ . (٧) المسالك للبكري ٢٥ .

(٨) رياض النفوس ٣١/١ ، ٧٧ ، معالم الايمان ٣١/١ .

مصلى^(٩) وفي ناحية هذا الباب دار زياد بن أنعم الشعباني ومسجده^(١٠) ، وكذلك دار عبدالرحمن بن زياد الشعباني ومسجده^(١١) وبين باب نافع وكندية التلائين مسجد عبدالله^(١٢) .

بنى عبدالله المغربي على باب نافع فصيلاً حفظاً للأباد وماجاً لمن يأتي ليلاً الى المدينة من القوافل وغيرها ، وجعل فيه مسجداً مستقفاً مصاناً بالعلق ، وفي قبله مiazza كبيرة لغسل الموتى ، وحبس عليها ايضاً حانوتاً برسم ما تحتاج اليه المiazza المذكورة^(١٣) .

وعند باب نافع مقبرة^(١٤) أبرز من دفن فيها البيهلول^(١٥) ، وكان في قبلة قبره حوض فيه رباح^(١٦) ، وعنده قبر يحيى بن زكريا النجيب^(١٧) وذكر ابن الدباغ ممن دفن في مقبرة باب نافع كل من (١) سعيد بن محمد بن سجنون (٢) عبدالله بن حسان اليحصبي (٣) داود بن يحيى العراقي (٤) محمد بن ابراهيم بن عبدالله بن عبدوس (٥) اسحاق بن ابراهيم بن عبدوس (٦) احمد ابن أبي سليمان الرجبى (٧) يحيى بن عون الخزاعي (٨) خماس بن مروان العبدي (٩) اسحاق بن ابراهيم الأزدي (١٠) ابراهيم بن محمد السبائي (١١) خلف بن منصور القلال (١٢) أحمد بن محمد النجار (١٣) محمد بن عبدالله القصراني (١٤) يحيى الدباغ (١٥) عبدالله بن غانم (١٦) محمود بن سعيد وابنه محمد^(١٨) .

-
- (٩) رياض النفوس ٢٢٠/١ . (١٠) رياض النفوس ١٢٩/١ .
 (١١) معالم الايمان ١/١ . (١٢) معالم الايمان ٣٣/١ .
 (١٣) معالم الايمان ٤٩/٤ ، ٢٩ ، وانظر : تاريخ افرقيّة في عهد الحفصيين لبرنشفيك ٣٩٥ وفيه تفاصيل عن الاحوال في العهود المتأخرة .
 (١٤) معالم الايمان ٢١٦/٣ (١٥) معالم الايمان ٢٢/١ ، ٦٨ ، ١٣٢/١ .
 (١٦) معالم الايمان ٢٦٢/١ . (١٧) معالم الايمان ٣٢١/١ .
 (١٨) مذكورون بالتتابع في معالم الايمان (١) ٢/٣ (٢) ٤٠ (٣) ٨٨/٢ (٤) ٩٤/٢ (٥) ٩٩/٢ (٦) ١/٢ (٧) ١٦٦/٢ (٨) ٢٦٦/٢ (٩) ٢٢٩/١ (١٠) ٩٢/٢ (١١) ١٢٢/٣ (١٢) ١٦٣/٣ (١٣) ١٦٤/٣ (١٤) ٢١٣/٣ (١٥) ٧٩/٣ (١٦) ١٧٤/٣ .

تردد ذكر باب تونس في المصادر التاريخية والجغرافية أكثر من أي باب آخر،^(١) ويدل اسمه على أنه كان باتجاه تونس أي في الاطراف الشرقية وكان عنده فصيل^(٢) .

كان عند باب تونس مسجد أبي ميسرة ، وهو احد المساجد السبعة القديمة الفاضلة، وهو عن يسار الداخل من باب تونس، وكان في زمن ابن الدباغ يعرف بمسجد أبي غلاب « وداره هي التي تعرف بدار الشيخ العدل ابي اسحاق ابراهيم بن محمد بن غلاب المراقي^(٣) ولما بني السور المحدث اخذ منه شيء صار في الشارع »^(٤) .

وعند باب تونس درب أزهر وفيه مسجد عبدالرحمن الجبلي الذي صار يسمى الرباطي الكائن بالدرب المعروف بأولاد غيث^(٥) ، وبقرب درب أزهر دار ابي عبد الرحمن المعافري ومسجده المسمى مسجد الرياض ، وكان الناس يسمونه مسجد أولاد رحمة^(٦) .

وفي جهة باب تونس تقع رحبة بني دراج^(٧) وبقربه يقع الفحص^(٨) . ومن المعالم البارزة في باب تونس آبار حديج ، وهي منسوبة الى معاوية ابن حديج ، وكان معاوية بن حديج قد اختط مدينة عند القرن قبل تأسيس عقبة للقيروان ، وأقام بها لماغزا بأفريقية ، وحفر آباراً عند باب تونس في ناحية الجبل عند منحرف للشرق يقرب مصلى الجنائز ظلت تسمى آبار حديج، غلب عليها اسم أبيه حديج وذلك قبل تأسيس القيروان^(٩) .

(١) معالم الايمان ٤٨/٢ ، ٧٧ ، ٢٢١/٤

(٢) معالم الايمان ٢٢٧/٢ (٣) معالم الايمان ٥٤/٣

(٤) معالم الايمان ٣٠/١

(٥) معالم الايمان ٣١/١

(٦) معالم الايمان ١٤٢/١ (١٨٠)

(٧) رياض النفوس ٣٥/١ (٨) معالم الايمان ١٨/٢

(٩) رياض النفوس ٩٣/١ ، ولنظر ايضا ٣٠/١ ، معالم الايمان ٤٥/١ ، ١٤١

وفي باب تونس الماجل الذي بناه أبو ابراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب وأُتفق على بنائه ثلاثمائة ألف دينار ، وكان هذا الماجل يسمى في زمن ابن الدباغ « النسقية » والماء الذي يجلب اليه من الوديان بالسد الذي يعمل حتى يصل الماء اليه ، فينتفع به أهل القيروان^(١٠) . وقد بديء ببنائه سنة ٢٤٥ هـ وكمّل سنة ٢٤٨^(١١) .

وصف البكري هذا الماجل فقال « هو مستدير متناهي الكبر ، في وسطه صومعة مئمنة في أعلاها قصبة لرقبة مفتحة على أربعة أبواب على أحد عشر رجلا لا خال بينهم كيلا يصل محط ، فاذا امتلاء الماجل كان ذلك (٩) وسطح هذه القصبة نحو ذراعين كان ابن الاغاب يدخل الى هذه القبة في مركب يسمى بالزللاج ، ويتصل بهذا الماجل في قبيلة اقباء طويالة معقودة آزاجاً على ازاج ، وكان زيادة الله قد بنى على غربي هذا الماجل قصرا ، وبجوفي هذا الماجل مدخل لطيف متصل به يسمى النسقية يدفع فيه ماء الوادي اذا جرى حتى ينكسر فيه شدة جريان الماء ثم يدخل فيه الى الماجل الكبير اذا ارتفع الماء في النسقية قدر قمتين على باب بين الماجلين يسمى السرج . وهذا الماجل عجيب الشأن ، غريب البنيان »^(١٢) .

وذكر الادريسي ان المياه بالقيروان قليلة « وشرب أهلها من ماء الماجل الكبير الذي بها ، وهذا الماجل من عجيب البناء لأنه مبني على تربع وفي وسطه بناء قائم كالصومعة ، وذرع كل وجه منه مائتا ذراع وهو كله مملوء بالماء^(١٣) . ويذكر ابن الدباغ أنه في سنة جف الماء بالماجل وصار الناس في عطش

(١٠) معالم الايمان ٢/٢٩٧ ، وانظر ٢/٧٥ ، الحلة السيرة ١/١٦٤ .

(١١) البيان المغرب ١/١٤٨ .

(١٢) البكري ٢٦ ، وانظر مقال سودباك « المنشآت المائية في القيروان في زمن الأغالة المنشور في حوليات معهد الدراسات الشرقية م ١٠ سنة ١٩٥٢ .

(١٣) الادريسي ٨ .

شديد « فشق عليه ماء الناس فيه ، فلما كان بعد ذلك اتى الوادي وامتلأ الماجل فخرج اليه الناس ^(١٤) وقد أنشأ منصور بن اسماعيل بن تونس على الماجل مركباً سمي الزلاج في سنة ٢٣٩ (١٥) وبالقرب من الماجل كانت جبانة باب تونس ^(١٦) ويبدو أن المقبرة كانت في شرقي الماجل ، فيذكر ابن الدباغ أن قبره بباب تونس على شفير الماجل الذي لا ماء فيه من جهة الشرق بقرب حوطة الشيخ الحاج أبي العباس أحمد بن تهيّب ^(١٧) .

وكانت بين الماجل ومقبرة باب تونس فسحة ذكر ابن الدباغ أنه فيها صائتي على أبي عمر الفاسي . وذكر عدداً كبيراً ممن دفن في باب تونس ، منهم (١) صدقة المؤذن (٢) ومحمد بن أبي بكر الانصاري (ت ٣٩٢) (٣) وعبدالرحمن بن عبدالله الخولاني (ت ٣٩٥ هـ) (٤) وعبدالواحد بن أبي الحسن الفاسي (٥) وعلي بن محمد المعافري (٦) وحرفون بن خلفون القرشي (٧) وعبد الباري بن حسن التميمي (٨) وعبد الرحمن بن كامل الزعبي (٩) وأبو بكر بن عبدالرحمن الخولاني (١٠) وأبو طاهر بن احمد خولون (١١) وابنه أبو بكر (١٢) ومجيد الأنصاري (١٣) وعبد السلام بن نصر الكندي (١٤) ومحمد بن يوسف الحسني (١٥) وعبدالله بن محمد الانصاري (١٦) وعبدالرحمن بن علي الانصاري (١٧) وابراهيم بن عبدالسلام المسلاص (١٨) وعبدالله بن عبدالعزيز السلوي (١٩) وعلي بن عبد ^(١٨) .

-
- (١٤) معالم الايمان ٢٦١/٣ .
 (١٥) البيان المغرب ١٨٦/١ .
 (١٦) معالم الايمان ١٩/٤ ، ٢١١ .
 (١٧) معالم الايمان ٨/٤ .
 (١٨) معالم الايمان ١٧٨/٣ ورد ذكرهم في « معالم الايمان » بالتتابع
 (١) ٢٥٩/٢ (٢) ١٥٩/٢ (٣) ١٦/٣ (٤) ١٦١/٣ (٥) ١٧/٣ (٦) ١٩٦/٢
 (٧) ١٨٢/٣ (٨) ٢١/٤ (٩) ٢١١/٣ (١٠) ٢١٣/٣ (١١) ١٥/٣ (١٢) ١٥٩/٣
 (١٣) ١٧/٤ (١٤) ١١٩/٤ (١٥) ٢٠/٤ (١٦) ٩٢/٤ (١٧) ٩٧/٤ (١٨) ٤/٤
 ١٠١ (١٩) ١٣٦/٤ .

باب أبي الربيع : -

ذكر ابن الدباغ أن باب أبي الربيع بالقرب من باب تونس^(١)، وأنه في قبلة القيروان^(٢)، وذكر البكري أن باب أبي الربيع بين القبلة والمغرب^(٣) وهو على الطريق بين القصر القديم والمسجد الجامع^(٤)، ومنه طريق يمر إلى دار الإمارة والسماط^(٥) وبينه وبين المسجد الجامع مسجد المقرعة^(٦) . ولم أجد في المصادر إشارة إلى أبي الربيع الذي سمي الباب به . وكان عند هذا الباب ماجل أبي الربيع وهو « الفسقية الكائنة بقبلي القيروان »، فيها يصدع وتهدم يسير^(٧) . وفي جهة باب الربيع بنى زيادة الله بن الأغاب قنطرة^(٨) وفي جهته يقع وادي القصارين^(٩) والمروحار^(١٠) .

وعند باب الربيع مقبرة ذكر ابن الدباغ ممن دفن فيها
(١) زيد بن سفيان الأسدي (٢) عبدالله بن سهل القيرواني (٣) محمد بن شوال الطائي (٤) سهل بن عبدالله القيرواني (٥) محمد بن سعيد بن حلسون (٦) أحمد بن أبي خالد الدباغ (٧) علي بن محمد الغساني (٨) أحمد بن اسماعيل (٩) محمد بن مسرور العسال (١١) زياد بن يونس اليحصبي^(١١) .

- (١) معالم الإيمان ٧٤/٢ ، ١٧٧ .
- (٢) معالم الإيمان ٩٧/٢ ، ١٨٢ .
- (٣) المسالك ٢٥ .
- (٤) البيان المغربي ١٤٧/١ .
- (٥) معالم الإيمان ٢٢٤/١ .
- (٦) رياض النفوس ٣٩٨/١ .
- (٧) معالم الإيمان ٩٧/٢ - ٩ .
- (٨) رياض النفوس ٣٠٨/١ .
- (٩) رياض النفوس ٣٣٥/١ .
- (١٠) رياض النفوس ٤٦١/١ .

- (١١) المذكورون في معالم الإيمان على الترتيب (١) ٧١/٢ ، (٢) ٢٢٤ (٣) ٢٢٤ / ١٣١ (٤) ٢٤٩/٢ ، (٥) ٢١/٣٢٦ (٦) ٦٥/٣ (٧) ٦٨/٣ (٨) ٧٤/٣ (٩) ١ ، (١٠) ٩٧٩٣ (١١) ٩٨/٣ .

وخلف باب الربيع كان يصلي روح بن حاتم ، وعسكر فيه تمام بن ميم
عندما ثار (١٢) .

وفي ناحية باب ابي الربيع لليهودية (١٣) وبقرها سوق اليهود (١٤) وعندها
صاب محمد بن اسحق الجبائي سنة ٣٤٣هـ (١٥) .

باب الريح :-

ذكرت بعض المصادر باب الريح ، وكان في ناحيته دار ومسجد حنش بن
عبدالله الصنعاني (١٦) ، وهو قريب من الفحص (١٧) . ولم اجد معلومات
اخرى عنه .

باب اصرم :-

ذكر البكري ان باب سلم وباب اصرم في غربي السور (١٨) ، وذكر الرقيق
أن عمر بن حفص عندما قدم لدخول القيروان وضع عكره بين باب سلم
وباب اصرم (١٩) ، ولما دخل حسن الكندي القيروان ثائراً على الاغلب خرج
هذا من باب اصرم (٢٠) وذكر ابن الدباغ ان الريحانية عند باب اصرم (٢١) ، ولم
يتردد ذكر باب اصرم في الأخبار .

(١٢) تاريخ الرقيق ٢٠٥ .

(١٣) رياض النفوس ١٥٠/٢ .

(١٤) رياض النفوس ١٣٩/١ وانظر ايضا ٩٤/١ ، معالم الايمان ٢٦/٢ .

(١٥) معالم الايمان ٤٩/٣ .

(١٦) رياض النفوس ٢١٢١/١ معالم الايمان ١٤/١ .

(١٧) معالم الايمان ٨٨/٢ .

(١٨) وصف افريقية ٢٥ .

(١٩) الرقيق ١٤٤

(٢٠) الحلة السراء ٧٠/١ .

(٢١) معالم الايمان ١١ / ٣ ، وانظر ١٦٩/٣

تردد ذكر باب سلم لوجود مقبرة قربها وصفها أبو العرب بأنها « المقبرة العظمى » (٢٣) ، وسميت جبانة أسلم ، وهي الجبانة الغربية (٢٣) ، « وهي المقبرة العظمى نحو باب سلم دفن فيها من العلماء والصالحين عدد لا يحصيه الله » (٢٤) . ولابد من أنها هي التي ذكر في تعليق على معالم الايمان ، باب سلم مقبرة قریش (٢٥) وهي المعروفة الآن بالجنح الاخضر ومن ابرز من دفن فيها ابنه عبدالله بن عمرج (٢٦) ويزيد بن حاتم واخوه روح « وكانت على قبريهما سارية مكتوب فيها اسماهما (٢٧) ، كما دفن فيها الفقهاء المشهورون البهلول وشقران » (٢٨) .

ومن دفن فيها (١) ابو محرز (٢) ويحيى بن سلمان الفارسي (٣) وسعيد ابن عباد السري (٤) وسليمان بن عمران (٥) واحمد بن موسى بن جرير الازدي (٦) وعبدالله بن خليل (٧) ومحمد بن زرقون (٨) واحمد بن يزيد المعلم (٩) واحمد بن السلطان (١٠) وعبدالله بن محمد الاشبح (١١) واحمد بن موسى الفافقي (١٢) ومحمد بن مسرور الضرير (١٣) وابو بكر بن هذيل (١٤) وجبلة ابن حمودة (١٥) ومحمد بن ابي داود الازدي (١٦) ومحمد بن خيرون المعافري

(٢٢) ابو العرب ١٨ ، معالم الايمان ٦/١ .

(٢٣) معالم الايمان ٣/١١٩ ، ٤/١٦٧ ، ١٧٣ ، ٢٥٩ .

(٢٤) رياض النفوس ٦/٨٨ ، معالم الايمان ٦/١ .

(٢٥) معالم الايمان ١/٨٣ ، ٢/٣٩ .

(٢٦) معالم الايمان ١/١٤٢ .

(٢٧) الرفيق ١٣٦ ، الحلة السراء لابن البار ٢/٣٥٨ .

(٢٨) رياض النفوس ١/١٣٢ ؛ ١٩ ؛ معالم الايمان ١/٢٦١ ، ٢/٤١ ، ٩١ ، ٨٧ .

(١٧) وسعيد بن محمد الغساني (١٨). ومحمد بن الطيب النصري (١٩) وهاشم ابن مسرور التميمي (٢٠) ومحمد بن سايما (٢١) واحمد بن خليل الغساني (٢٢) ومحمد بن نصر الغنيمي (٢٣) وابو بكر بن بشير المعلم (٢٤) وميمون ابن عمرو (٢٥) وابو جعفر القصري (٢٦) وعبد الوهاب بن عبد (٢٧) وابو العرب التميمي (٢٨) ومحمد بن الفتح المؤذن (٢٩) وحمدان بن نزار (٣٠) ومروان بن نصر الانصاري (٣١) وعلي المؤدب (٣٢) ومحمد بن مسعود التميمي (٣٣) ومحمد بن الفتح (٣٤) والنضل بن نصر (٣٥) واحمد بن محمد (٣٦) ومحمد البرانسي (٣٧) وجعفر بن نصيف (٣٨) وابو الحسن بن نصر الزعفراني (٣٩) وعبدالله بن هشام (٤٠) وواصل بن عبدالله (٤١) ومحمد بن الحسن الزويدي (٤٢) ومحمد بن الشيخ ابو سعيد (٤٣) وعبدالله الاجدابي (٤٤) وجابر بن عبدالله (٤٥) واحمد بن ابي بكر الزويدي (٤٦) ومحمد بن عبدالله بن حاتم (٤٧) وابو الحسن بن الساجي (٤٨) وعبدالله بن هاشم (٤٩) وابو الفضل العراقي (٥٠) ومحمد بن اللحام (٥١) وابو القاسم بن عبد الرحمن الغافقي (٥٢) وحسن بن خلدون البلوي (٥٣) ومحمد بن ابي موسى الاوتاني (٥٤) والحسين بن عبدالله الاجدابي (٥٥) وعلي بن محمد .

المسجد الجامع

لا ريب في أن أقدم وأبرز المنشآت في القيروان هو الجامع الذي كان عقبة بن نافع أول شيء أقامه عند تأسيسه القيروان واقتدى جميع المغرب بقبائه^(١).

ويتول ابن عذاري أن عقبة اختط دار الإمارة والمسجد الجامع ولم يحدث فيه بناء ، وكان يصلى فيه وهو كذلك^(٢) وينقل المالكي عن محمد بن

(١) معلم الايمان ١/ ١٠ ، ١١ ، ٤٧ . وانظر الدراسة القيمة للدكتور احمد فكري عن جامع القيروان .

(٢) البيان المغرب ١/ ١٥ .

يوسف الوراق أن عقبة لخط مدينة القيروان فتحول بها أياماً ، ثم قدم أبو المهاجر فضال عقبة وقيده وجسه ، وخرب ما كان خطه وبناء بالقيروان ، فاختط مدينة تاكروان ، وهي بجوفي افريقية على نحو ميلين ، وجد في بنائها وتشيدها ، ويذكر المالكي أيضاً أن عقبة عندما أعيدت ولايته جدد بناء القيروان وشيدها وقتل الناس إليها ، فعمرت وصلح شأنها وعلا قدرها (٢) .

ذكر البكري التطورات التي حدثت على جامع عقبة فقال إن حسان بن النعمان هدمه ، حاشا المحراب ، وبناء وحمل إليه السارتين الحمراءين الموشاتين بصفرة اللتين لم ير الراؤون مثلاً ، من كنيسة كانت للأول في الموضع المعروف اليوم بالقيسارية بسوق الضرب ، ويقولون إن صاحب القسطنطينية بذل لهم فيهما قبل نقلهما إلى الجامع ، فابتنوا الجامع بهما ، ويذكر كل من رأهما أنه لم ير في البلاد ما يقرن بهما .

فلما كانت خلافة هشام بن عبد الملك كتب إليه عامله على القيروان يعلمه أن الجامع يضيق بأهله ، وإن بجوفيه جنة كبيرة لقوم من فهر ، فكتب إليه هشام يأمر بشرائها وأن يدخلها في المسجد الجامع ففعل ، وبنى في صحته ماجلاً وهو المعروف بالماجل القديم بالقرب من البلاطات . وبنى الصومعة في بير الجنان ونصب أساسها على الماء ، واتفق أن وقعت في نفس الحائط الجوفي ، وأهل الورع يكرهون الصلاة في هذه الزيادة ويقولون أنه أكره أهل الجنة على بيعها . والصومعة اليوم على بنائها ، طولها ستون ذراعاً وعرضها خمسة وعشرون ، ولها بابان شرقي وغربي ، وعضايد بابها رخام منقش ، وكذلك عتبتها ، فلما ولي افريقية يزيد بن حاتم سنة خمس وخمسين ومائة ، هدم الجامع كله حاشا المحراب وبناء واشترى العود الأخضر بمال عريض جزل ووضع فيه ، وهو الذي كان يصلي عليه القاضي أبو العباس بن عبدون . فلما ولي زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب هدم الجامع كله وأراد هدم المحراب ، فقبل له (٣) معالم الإيمان ١/٤٧ ، وانظر رياض النفوس ١/٢٢ وانظر تفاصيل وافية عن تطور بنائه في « الحلة السراء » ١/١٦٣ .

ان من تقدمك من الولاة توقيوا عن ذلك لما كان واضعه عقبه بن نافع ومن كان معه ، فليج في هدمه لئلا يكون في الجامع أثر لغيره حتى قال بعض البناءة انا ادخله بين حائطين ولا يظهر في الجامع أثر لغيرك ، فاستصوب ذلك وفعله ، فهو على بناءه الى اليوم . والمحراب كله وما يليه مبني بالرخام الأبيض من أعلاه الى أسفله مخرم منقوش كله ، منه كتابة تقرأ ومنه تدييج مختلف الصناعة يستدير به أعمدة رخام في غاية الحسن .

والعمودان الأحمران المذكوران يتابلان المحراب ، عليهما القبة المتصلة بالمحراب ؛ وعدد ما في الجامع من الأعمدة أربعمئة وأربعة عشر عموداً . وبلاطاته سبعة عشر بلاطاً ، وطوله مائتان وعشرون ذراعاً ، وعرضه مائة وخمسون ذراعاً ، وكانت فيه مقصورة ، فلم يزل بناء زيادة الله فيه .

والمقصورة اليوم انما هي دار بقبلي الجامع ، بابها في رحبة التمر ، لها باب عند المنبر يدخل منه الامام بعد أن ينزل في هذه الدار حين تقرب الصلاة . وبلغت النفقة في بنيانه ستة وثمانين ألف مثقال . ولما ولى ابراهيم بن أحمد بن الأغاب زاد في طول بلاطات الجامع ، وبني القبة المعروفة بباب البهو على اخر بلاط المحراب ، وفي دورها اثنان وثلاثون سديبة من بديع الرخام وفيها نقوش غريبة وصناعات مختلفة . وقد فرش للصحن بين ايدي البلاطات نحو خمسة عشر ذراعاً ، وللجامع عشرة أبواب ومقصورة للنساء في شرقيها ، وبينها وبين الجامع حائط اخر مخرم محكم العمل^(٤) .

ذكرت المصادر ما يؤيد ما ذكره البكري ، فنقل ابن الدباغ أن حسنة « قدم القيروان فامر بتجديد بناء المسجد الجامع فبناه بناءً حسناً »^(٥) وذكر ابن الابار ان حسناً هدم الجامع حاشا المحراب وبناه بالطوب^(٦) ، وذكر المالكي أن في الجامع صومعة كانت في الركن الغربي ، ثم أزيلت بعد ذلك ، وجعلت في

(٤) المسالك ٢٢ - ٢٤ .

(٥) معالم الايمان ٦٧/١ (١٥) الحلة السراء ١٦٣/١ .

المكان الذي هي فيه اليوم^(٦) وذكر أيضا أن الصومعة في مؤخرة الجامع كان يجلس فيها عكرمة^(٧) ، وأنه « كانت صومعة زياد في الناحية الشرقية »^(٨) .
وروي الواقدي أن محمد بن الأشعث ولي إفريقية للخليفة العباسي وسار إلى مدينة القيروان وأسس مسجدها^(٩) وهذا القول غير دقيق .

وذكر الرقيق أن يزيد بن حاتم جدد المسجد الجامع حتى قيل أنه الذي مصرها وحسنها وزاد في قدرها^(١٠) .

وذكر ابن العذاري أنه في سنة ١٥٧ هـ جدد يزيد بناء المسجد الجامع بالقيروان^(١١) وأنه في سنة ٢٤٨ هـ تمت الزيادة في جامع القيروان^(١٢) .

وذكر ابن الدباغ أن زيادة الله بنى في جامع القيروان القبة الخارجة على البهو ، مع الصفتين اللتين يليانها من جانبيها جميعاً ، وبلاطها الذي بين يديها مفروش ، وعمل المحراب ، وجلبت له تلك القراميد اليمنية لمجلس أراد أن يعمل . . وجلب له من بغداد خشب الساج ليعمل له منها عيدان . عملها منبراً للجامع وجاء بالمحراب مفصلاً رخاماً من العراق عمله في جامع القيروان ، وجعل تلك في وجهه المحراب . وعمل له رجل من بغداد قراميد زادها إليها ، وبعد تلك الزينة العجيبة بالرخام والذهب والآلة الحسنة^(١٣) ، وكان زيادة الله يفخر بهذه الزيادة ويعدها إحدى مآثره^(١٤) .

(٦) رياض النفوس ١ / ١٥ ، معالم الإيمان ١ / ٣٠٠ .

(٧) رياض النفوس ١ / ٩٣ .

(٨) رياض النفوس ١ / ٩٣ .

(٩) معالم الإيمان ١ / ١١١ .

(١٠) الرقيق ١٠٩ ؛ وانظر الحلة السراء ١ / ١٦٣ .

(١١) البيان المغرب ١ / ٩٥ .

(١٢) البيان المغرب ١ / ٢٤٨ .

(١٣) معالم الإيمان ١ / ٩٧ .

(١٤) معالم الإيمان ٢ / ٢٦ ، رياض النفوس ١ / ٣٩٨ ؛ وانظر : الحلة السراء ١ / ١٦٣ .

ويقول ابن البار ان زيادة الله « هو الذي بنى جامع القيروان بالصخر والاجر والرخام بعد ان هدمه ، وبنى المحراب كله بالرخام من اسفله الى اعلاه ، وهو منقوش بكتاب وبغير كتاب ، ويستدير به سورا حسان بعضها مجزعة باسود ناصعة البياض ، شديدة السواد ، ويقابل المحراب عمودان احمران وضعهما موشية بحمرة صافية من دون حمرة سائرهما يقول كل من رآهما من اهل المشرق والمغرب انه لم ير مثلهما ، وقد بذل فيها صاحب القسطنطينية وزنهما ذهباً فاهم يجب الناظر للاسلام الى ذلك^(١٥) .

كانت للجامع صومعة^(١٦) مكانها في الركن الغربي ، ثم ازيت بعد ذلك وجعلت في المكان الذي هي به اليوم^(١٧) .

ابواب الجامع والمعالم فيه : -

ذكر المقدسي ان جامع القيروان « في سرّة البلد ، اكبر من جامع ابن طولون ، وله باب السماط ، باب الصرافين ، باب الرهادرة ، باب الفضولين ، باب المأذنة ، باب الصباغين ، باب الحواريين ، باب سوق الخميس ، باب الميضة ، باب الخاصة في الثمانين »^(١٨) غير انه لم يحدد مواقع هذه الابواب ، وتدل تسميات الابواب على ان الجامع كان قرب السوق .

وذكر المالكي من أبواب المسجد باب الحدادين عند المصلى^(١٩) ، كما ذكر انه كانت عند سوارى المسجد قطرة قرب النحامين^(٢٠) وذكر أيضا الباب الأخير من أبواب الجامع ، وهو بابي درب النهرين^(٢١) .

(١٥) الحلة السراء ١٦٣/١ .

(١٦) البيان المغرب ٤٠٧/١ .

(١٧) رياض النفوس ١/ ١٥ ، معالم الايمان ٢٩٩/١ - ٣٠٠ .

(١٨) احسن التقاسيم .

(١٩) رياض النفوس ٣٤١/٢ .

(٢٠) رياض النفوس ٢٨٨/١ .

(٢١) رياض النفوس ٤٠٥/٢ ، معالم الايمان ٦١٥٤٩/٣ .

وذكر ابن عذاري ان أبا الفتح المنصور أمر في سنة ٣٧٥هـ بجعل ابواب
جامع القيروان من حديد (٢٢) .

وذكر ابن الدباغ ان عبدالله بن عبد العزيز الهاكوي اتفق مالا كثيراً في
جامع القيروان ، وبنى القبة العظمى التي على الباب الشرقي من ابواب البيت
اقامها على عمد الرخام ، وشقق الرخام ، اشتمل اعلاها واسفلها على النحو اربعين
عموداً ونيفاً ، اتفق عليها ما يزيد على الف دينار .

واجرى الحيار على اكثر مجنبات الجامع ، وكان قد تقلع حيارها .
وبنى الميضأة التي في قبلي الجامع الأعظم ، في غربي الموضع المعروف في
التقديم بدار الامارة ودعمها تدعيماً جيداً ، يققها بالمربع المنجور ، وجعل لها
أحواضاً من الحجر المنجور برسم الوضوء ، ويوتا للطهارة فيها أحواض من
خارجها ، وسعى في تحسيس حانوت عليها برسم تنويرها وما تحتاج الميضأة اليه
من خصال واد التيم (٢٣) .

وفي مسجد القيروان كان مجلس القضاء (٢٤) .
وفي مؤخرة المنارة ، وفي غربها موضع الركينة ، وهم جماعة من الناس
لا شغل لهم ، وكان الناس يداورونهم ويتقون ألسنتهم (٢٥) . وفي شماليه
منازل الفهرين (٢٦) .

وعند المسجد دار ابن دينار (٢٧) ، ومسجد المقرعة وهو يقرب
سماط القيروان (٢٨) .

(٢٢) البيان المقرب ١/ ٣٤٤ .

(٢٣) معالم الايمان ٩٩/٤ .

(٢٤) القضاة للخشني ٢١٩ ، معالم الايمان ١٢٥/٤ .

(٢٥) طبقات العلماء للخشني ٢٤٣ .

(٢٦) البكري ٢٣ .

(٢٧) معالم الايمان ٦١/٣ .

(٢٨) معالم الايمان ١٨٢/٤ .

مساجد في القيروان :

ذكرت المصادر عدداً كبيراً من المساجد في القيروان مسماة بأسماء أشخاص منهم عدد قليل ذكرت العشيرة التي ينتمي إليها صاحب المسجد ، وأكثرهم لم تذكر تفاصيل عن هوية من سمى المسجد باسمه أو معلومات عن مواقعها أو أحوالها غير المساجد الاولى .

والمساجد التي ذكرت بأسماء اشخاص ذكر اتسابهم القبلي هي :

١ - مسجد عبدالرحمن الجبلي بدرب أزهر قرب باب تونس ، ويسمى مسجد الرياض ، ويقع في الدرب المعروف باولاد غبة ، وكان قائماً في زمن ابن الدباغ .

٢ - مسجد حنش الصنعاني وموقعه بباب الريح وهو مسجد ابن اسحاق الباه ثم صار يدعى في ما بعد مسجد علي ، وهو على يمين المار بجبانة الشيخ ابي علي التابسي (معالم الايمان ٤ / ٢٣٧) .

٣ - مسجد علي بن رباح اللخمي .

٤ - مسجد عبدالله .

ان هذه المساجد الاربعة ، مع مسجد السبت ومسجد الخميس اختطها التابعون (معالم الايمان ١ / ٢٨ - ٣٠) .

٥ - مسجد ابن عبد الجليل الازدي (معالم الايمان ٤ / ٨١) .

٦ - مسجد ابن حنضلة الفساني (رياض النفوس ١ / ١٣١) .

٧ - مسجد زياد الشعباني (رياض النفوس ١ / ٠٩٢) .

٨ - مسجد يعقوب بن خليفة الرهماني (معالم الايمان ٤ / ١٩٩) .

٩ - مسجد احمد بن عبد الرحمن الخولاني وهو مسجد كبير قرب سور البلد بحارق الفراقطة (معالم الايمان ٣ / ١٦٩) .

- مسجد ابي عاي حسن بن خالدون (معالم الايمان ٤/ ١٤٠)
- مسجد احمد بن سليمان (رياض النفوس ١/ ٥٠٦)
- مسجد البدوية (رياض النفوس ٢/ ٣٩٠)
- مسجد بلج وكان فيه الميعاد (معالم الايمان ٤/ ١٤٢ ، ١٩٨) وصار
- يسمى بعدئذ مسجد الدباغ (معالم الايمان ٢/ ١٣١)
- مسجد ابي بكر بن ابي عقبة (معالم الايمان ٣/ ٨٦)
- مسجد البهلول بن راشد (رياض النفوس ٢/ ٢٠٧ ، ابن ابي العرب ١٣٧)
- مسجد ابن بشار الزيني (رياض النفوس ١/ ٣٦٣)
- مسجد التوفيق بالقرب من جبانة سلم (معالم الايمان ٤/ ١٠٢)
- مسجد ابن ابي حسان (رياض النفوس ١/ ٢٨٩)
- مسجد ابي الحكم (رياض النفوس ٢/ ٤٧٥)
- مسجد الحصريين (معالم الايمان ٤/ ٢٠٤)
- مسجد الخضر (رياض النفوس ٢/ ١٣٤٩)
- مسجد ابن حبرون (رياض النفوس ١/ ٤٣٠) المسجد الشريف
- والفنادق المجاورة للسجن (ابن عذاري ١/ ٢٣٥)
- مسجد الدباغ (معالم الايمان ٤/ ١٤٦ ، ١٨٩)
- مسجد ابي رحمة بن غيث خارج القيروان بجواره داره قبالة حمام ابي محمد
- (معالم الايمان ٣/ ١١٤)
- مسجد الداروني (معالم الايمان ٤/ ١٦٤)
- مسجد الزاوية (معالم الايمان ٤/ ٨٨)
- مسجد ابن زرجونة عنده دار ابي الحسن العقلي (رياض النفوس ٢/ ٢٠٤)
- مسجد السدرة (معالم الايمان ٣/ ٨٥ ، ١٦٤)
- مسجد ابن سحنون (رياض النفوس ١/ ٤٣٦)
- مسجد الشعاب (رياض النفوس ٢/ ١٣٣ ، معالم الايمان ١/ ٢٥١)

مسجد عباس كان يؤذن فيه عزون المؤذن صاحب بحنون (معالم
الايان ١٣/٣) •

مسجد عبدالجبار (رياض النفوس ١/٤٦٤ ، ٤٧٥ ، معالم الايمان ٢/١٢٤) •

مسجد ابن عياش (رياض النفوس ٢/١٥٢) •

مسجد عاي بن رباح (رياض النفوس ١/١١٩) •

مسجد عون بن يوسف (رياض النفوس ١/٢٧٥) •

مسجد ابي غانم (معالم الايمان ٣/٢١٩) •

مسجد فاطمة (رياض النفوس ١/١٥٦) •

مسجد ابن فهد (الريق ١٨٤) •

مسجد ابن قادم (القضاة للخشن ٥٥) •

مسجد القديد (معالم الايمان ٤/٢٣) •

مسجد ابن قطانية (رياض النفوس ٢/١٧٦ - ٧) •

مسجد الكناني (معالم الايمان ٤/١٨٠) •

مسجد المعلق (معالم الايمان ٤/١٥٠ ، ٢٠١) •

مسجد المفرعة (رياض النفوس ١/٣٩٦) •

مسجد ماسة (رياض النفوس ١/٤٠٠) •

مسجد نعمان من بني جرير (معالم الايمان ٤/١٨٠) •

مسجد ابي نصر (رياض النفوس ١/٣٣٦ ، ابو العرب ١٤٦) •

مسجد سمي بن عمر بجذاء حمام النعمان (رياض النفوس ١/٣٩٩ ، معالم

الايان ٢/١٢٤ ، ١٥٩) •

مسجد وكيع (رياض النفوس ١/٣٧٧ ، ٣٧٨) •

مسجد ابن اللحام (معالم الايمان ٣/٩١) •

السماط الأعظم : -

يتصل بالجامع السماط^(١) ، ويسمى السماط الأعظم ، ويقول المقدسي « الجامع بموضع يسمى السماط الكبير وسط الأسواق في سرة البلد^(٢) ، طوله من باب أبي الربيع ميلين غير ثلث ، ومن الجامع الى باب تونس ثلثا ميل^(٣) ، وكان هشام بن عبد الملك قد أمر بترتيبه متصلا من القبلة الى باب الجوق^(٤) ثم شق ابراهيم بن الاغلب سماط القيعان من باب ابي الربيع الى دار الامارة .. قبلة المسجد^(٥) .

كان السماط سطا متصلا فيه جميع المتاجر والبياعة^(٦) ووصف المالكي بعض ما فيه من الصناعات ومواقعها فذكر ان السماط يمتد الى دار الامارة « يأخذ من موضع السماط الى السقطين والى الابزارين الذي يقود الى دار ابي غانم التي تقع في زقاق ابن غانم^(٧) ، وعندها يقع دار ابن اسود^(٨) وزقاق السقطين^(٩) ، ولعل بقرب السماط تقع حوانيت الخطاطين الواقعة بقرب القصر^(١٠) ، والطارين التي فيها دار كل من ابي بكر الوكيل^(١١) وابي سعيد الوكيل^(١٢) .

وفي السماط تقع سقيفة المساكين^(١٣) ، وبقربه تقع رجة ابي داود ودار ابن اسود ، وسوق هشام ، وبثرام عياض^(١٤) .

-
- (١) رياض النفوس ٣٠٦/١ ، معالم الايمان ٢٩/٢ .
 - (٢) احسن التقاسيم ٢٢٥ . (٣) رياض النفوس ١٥٠/١ .
 - (٤) المسالك ٢٢٥ .
 - (٥)
 - (٦) رياض النفوس ١٠٠/١ .
 - (٧) رياض النفوس ١٢٠/١ ، وانظر : معالم الايمان ٢٤٥/١ .
 - (٨) معالم الايمان ٢١٧/٣ . (٩) معالم الايمان ٣٠٠/١ .
 - (١٠) رياض النفوس ٢٣٣/١ . (١١) الخشني علماء افريقية ٣٧٥/٢ .
 - (١٢) الخشني ٢٢٩ .
 - (١٣) معالم الايمان ٤٤/٢ . (١٤) معالم الايمان ٧٠/٣ .

لم تذكر المصادر اسواقا في القيروان في المعلومات التي اوردتها عن تأسيسها وما مرت بها من احداث في عهودها الاولى ، غير أن الاحوال كانت تتطلب وجود أماكن لمعاملات البيع والشراء كيما تسد حاجات المقاتلة ، حيث ان الدولة كانت تدفع عطاءً من النقود للمقاتلة وهم معظم سكانها الاولين ، فكان عليهم شراء ما يحتاجونه من الغذاء واللباس والسلاح ، وما تتطلبه بيوتهم التي يقيمون فيها ، وهذه الاحتياجات « شعبية » ومنوعة ، الا أنها لم تكن كبيرة ، وربما كان أكثرها يعتمد على ما ينتج في المناطق المحيطة بها ، ولم تسمح الأحوال في هذا الزمن المبكر بقيام أسواق واسعة تعتمد على التجارات العالمية ، لأن موقع القيروان في داخل البلاد بعيداً عن ساحل البحر لم يسر لها الاسهام في التجارة العالمية ، كما ان التهديدات المتتالية التي تعرضت لها كونت اسباباً اضافية لجمود التجارة الخارجية .

ولابد ان القيروان كانت فيها أماكن يتزود منها الأهليون بحاجاتهم ، والراجع أن هذه الأماكن كونت أسواقاً محلية غير مستقرة شأن ماحدث في الامصار العربية التي انشئت في العراق حيث كانت اعمال البيع تجري في ساحات يعرض فيها الباعة سلمهم دون ان يدفعوا عليها اجورا ، وكانت تبدل يومياً ، فاذا عرض شخص سلعة في مكان يوماً ما ، فانه قد يعرض آخر في ذلك المكان سلعته لان « السوق لمن غلب » .

ان الاستقرار العام في القيروان منذ ولاية حسان بن النعمان كان عاملاً في استقرار الاسواق ونموها في القيروان .

ومن ابرز الاسواق الاولى سوق اسماعيل ، نسبة الى منشئه اسماعيل بن عبيد الانصاري^(١) ، وهو يقع بجوار المسجد الكبير الذي يعرف بمسجد

الزيتون ، وكان اسماعيل يصلي في هذا الجامع ويعمره ، وقد ظل هذا السوق من أبرز أسواق القيروان (٢) .

وبالقرب من هذا المسجد كان السراجون ، ودرب السنجاري الذي كان يسكنه غوث بن سليمان الأنصاري (٣) ولما أعاد يزيد بن حاتم أعمار القيروان « رتب القيروان في أسواقها وجعل كل صناعة في مكانها (٤) » ولعل هذا هو سوق الإمارة (٥) .

وذكر ابن عذاري أن النار وقعت في سنة ٣٠٦ بالقيروان في سوقها (٦) . ومن أبرز أسواق القيروان سوق الرهادرة و « أصله للخزن كان خراباً ، وكان سوق الرهادرة الرعة الذي هو الآن للسواشين ومن معهم ، أمر من مضى من السلاطين ممن أدر كناه أن يبنى ذلك الخراب حوانيت وينقل له أصناف سوق الرهادرة جبراً ، وهذا ذلك من أراد أن يسكن خارجه ولو بقربه لا يترك ، ووبما يترك أشهر ثم يرد إلى سكنها كلالها ، وهذا لا يجوز ، وما يأخذه القضاة من كراء تلك الحوانيت في مرتباتهم لا يجوز ، وهو عكس سخرجه في أمانيهم وفيها ذائمتهم (٧) »

وفي الصف الثاني من الرهادرة الرفاؤنة وبعض حوانيت الكتانيين ، وما وراء ذلك كانت دور المقوم قبليت حوانيت وسميت الحوانيت الجندية ، وثقل الناس من أسواقهم إليها ، واخذوا يسكنها وعمارتها للإمير (٨) .

- (٢) أبو العرب ٨٠ ، معالم الإيمان ١٩٤/٢ .
- (٣) رياض النفوس ١٠٩/١ .
- (٤) الرقيق ١١٩ ، ابن عذاري ٩٣/١ .
- (٥) أبو العرب ١٣٥ ، رياض النفوس ٩٩/٢ .
- (٦) البيان المغرب ٢٥٣/١ .
- (٧) معالم الإيمان ٣٧/٢ ، والرهادرة هم باعة الجوخ ونسيج القطن والكتان و (أحسن التقياسيم ٣) ولم يذكروا فيها إلا في بفتح الهمزة ، ولا أعلم مصدر اشتقاق هذا الاسم . انظر : تكملة المعاجم العربية مادة « رهادرة » .

- (٨) رياض النفوس ٢٨٠/١ ، معالم الإيمان ٣٧/٢ .

ومن اسواق القيروان المشهورة سوق الاحد ، وكان مما يباع فيه الفخار^(٩) ،
والقطن^(١٠) ، ولعله كان عنده سوق القطنين حيث كان يعمل فيه محمد القطن
مع عبد الجبار بن خالد^(١١) .

وفي سوق الاحد درب ام ايوب ، وحفرة نسب اليها يحيى بن سليمان
الحفري^(١٢) ولعل لهذا الحفر علاقة بالبئر الواسعة التي حفرها يزيد بن حاتم
وجعل فوهتها من رخام وكانت غزيرة الماء وبني عندها امهلات للخيول فكانت
تسمى قبة الخيل^(١٣) ، وبقرّب هذا السوق ما جل مهروية ، وكانت حارة^(١٤) .
ومن اسواقها سوق اليهود^(١٥) وكان عنده درب ابي الطيفل التجيبي لانه
كان يسكنه^(١٦) .

وورد في المصادر السوق القديمة^(١٧) ، والسوق الكبير^(١٨) .
وذكرت المصادر اسواقا لاتحدد مواقعها من المدينة ، ومما ذكرته :
١ - سوق الغزل (رياض النفوس ١/٣٤٦ ، معالم الايمان ٢/٣٤٣) .
٢ - القطنين (معالم الايمان ٣/٢٤ ، ٢/٢٠٢) .
٣ - سوق البزازين ، وهي تنسلك الى درب وباح (ابو العرب ١٣٤ ، ولاظر :
الرقيق ٦٨) .

ويذكر ابو العرب ان ابراهيم بن الاغاب شق يوما « سماط القيروان ومعه
ابن غانم من باب الربيع ، فلما صار الى موضع البزازين زادت دابته في
المشي (٢٢٩) ، رياض النفوس ١/٢١٨ ، ٤٢١ ، معالم الايمان ١/٢٢٤ - ٥ .

- (٩) علماء افريقيه والمغرب للخشني ٢٣٢ .
- (١٠) معالم الايمان ٢/١٣٤ .
- (١١) معالم الايمان ٢/٢٠٥ .
- (١٢) ابو العرب ١٧٤ ، معالم الايمان ٣/٢ .
- (١٣) الرقيق ١٥٨ .
- (١٤) رياض النفوس ١/٣١٢ .
- (١٥) الرقيق ٢٠٧ ، ابو العرب ١٣٠ .
- (١٦) الرقيق ١٦٧ .
- (١٧) معجم البلدان ٢/٣٩٠ .
- (١٨) رياض النفوس ١/٤٢١ .

- ٤ - سوق الجزارين (رياض النفوس ١/٤٠٥)
- ٥ - سوق الرفائين والكتانين عند سوق الرهادرة (رياض النفوس ١/٢٨٠ ،
معالم الايمان ٢/٣٧) .
- ٦ - سوق السراجين (رياض النفوس ١/١٧١) .
- ٧ - السيورين (ابو العرب ١٣٥) .
- ٨ - سوق الزياتين ، ويقابل سوقهم رجة (معالم الايمان ٤/٢١٥) .
- ٩ - الابزارين (رياض النفوس ١/٢٣٥) .
- ١٠ - سوق الدجاج (رياض النفوس ١/١٤٦ ، معالم الايمان ٢/٣٤٣) .
- ١١ - اصحاب الشوك وعندهم مسجد ابي الفتح (رياض النفوس ١/١٤٦ ،
معالم الايمان ٢/٣٤٣) .
- ١٢ - سوق العربي (رياض النفوس ١/٣٤٦) .
- ١٣ - النباذين باعة الخمر (معالم الايمان ٤/٩٢) .
- ١٤ - سوق الزجاجين وفيه مسكن زرارة بن عبدالله (الرقيق ١٥٨) .
- ١٥ - سوق الكتب وعنده المسجد الذي بجوار حمام الفتح (رياض النفوس
١/٨٨) ولعلها حمام ابي اسحاق (رياض النفوس ٢/٥١ ! .
- ١٦ - سويقة ابي المغيرة بن عمران (ابو العرب ١٦٢) .
- ١٧ - السقطيين (رياض النفوس ١/٢٢٥) .
- ١٨ - الفحامين (رياض النفوس ١/٤٨٨) .
- ١٩ - سوق هشام (رياض النفوس ٢/١٨٨ ؛ معالم الايمان ٣/٨٧) .
- ٢٠ - سوق بني هاشم منسوبة الى صالح صاحب بني هاشم (معالم
الايمان ١/٢٤٧) .

الدمنة ومساجدها : -

الدمنة من معالم القيروان العمرانية البارزة، وكان فيها دار للمجذمين^(١) وحارة للمرضى^(٢) وعدد من اهل البلاء^(٣)، وفيها مقام خمسة عشر من الاولياء، منهم دحيم، كلهم مستجاب الدعاء^(٤) وكان الناس يخرجون من الجامع الى دور العبادة والعلماء والمحارس والدمنة بالصدقة، يلبثون بالقيروان يفرقون الاموال للمساكين والمستورين^(٥) وكان امراء بني الاغلب يخرجون من المسجد الجامع الى الدمنة يزورون ابا محمد الانصاري^(٦) وكان كثير من الناس يذهبون اليها في الاعياد^(٧).

وعند الدمنة مسجد عبدالله، سمي بعبدالله بن سعد وبه سمي المكان باب عبدالله، وهو عند السبخة التي في شرقي القيروان، وهو قريب الى المسجد المجاور لمقبرة سحنون الخراب، وقد اندرس الباب بانقراض رسوم القيروان^(٨). وفي الدمنة مسجد ابي ميسرة، وهو احد المساجد السبعة الاولى في القيروان، ولما بنى السور المحدث اخذ شيء منه فصار في الشارع، وقد جدده حسن بن محمد بن واصل التميمي، وكان الفقهاء يسمونه مسجد ابي ميسرة، اما العامة فيسمونه مسجد ابن غلاب، باسم الشيخ العدل ابي اسحاق محمد بن ابراهيم بن محمد الغلابي المراتي، وموقع المسجد من يسار الداخل من باب تونس^(٩).

ومن المساجد المشهورة في الدمنة مسجد الخميس، بناه ابراهيم بن مضاء الضير وكان يقرأ فيه الرقائق كل خميس^(١٠).

- (١) معالم الايمان ١٣٥/٢ .
- (٢) رياض النفوس ١٦٦/٢ .
- (٣) معالم الايمان ١١/٢ .
- (٤) معالم الايمان ٧٢/٢ ، ١١٦ .
- (٥) معالم الايمان ٧٥/٢ .
- (٦) رياض النفوس ١٧٠/١ .
- (٧) رياض النفوس ١٤٦/٢ .
- (٨) معالم الايمان ٢٨/١ - ٣٠ .
- (٩) معالم الايمان ٤/٣ .
- (١٠) معالم الايمان ١١٦/٢ .

واشهر مساجد الدمنة مسجد السبت ، وهو قُربُ مسجد الخميس^(١١) والمسجد ينسب الى ابي محمد الانصاري الضريتر^(١٢). وكان « يحضره الزهاد والعباد ، يقرأ فيه القارئ آية من كتاب الله عز وجل وبعض حكايات الصالحين .. كانوا يخرجون منه يوم السبت فيبقى اثره الى السبت الثاني .. فما سُمي بمسجد السبت الا لعمل الرقائق فيه كل سبت خاصة^(١٣) يعرف بمسجد السبت بمسجد الدمنة وهو يلاصق السور القديم من الجبلي^(١٤) ، ويقع خارج السور^(١٥) .. »

وقد لفت اجتماع الناس في مسجد السبت معارضة من بعض الاتقياء فكان يحيى بن يعمر « شديد الإنكار على من يحضر مسجد السبت ، وكان يرى ان هذا بدعة لم يكن في الزمان الاول ، فالف تأليفا في وجوب عدم حضوره ، فكان لا يحضره وينهى عن حضوره ، وكانت المشيخة في زمانه على خلافه ، وتأبى على قوله الشيخ ابو الحسن ابن الفاس رحمه الله تعالى ، وكان يقول يا قوم هذا القير ان تلتلى والاخبار النبوية ويسمع الانسان يشا من شاعر فينكي ، هذا عجيب ، وتبعه تلميذ الشيخ ابو عثمان النفاسي درج على ذلك^(١٦) ، ثم خرب مسجد السبت الذي ان جاء علي بن عبدالعزيز الهلواني ، فلأزم مسجد السبت وعمره بعد خرابه وانقطع فيه للعبادة ، وكان كثيرا ما يقضى ليله فيه ، وياتيه العلماء فيه للعبادة والانتطاع الى الله عز وجل^(١٧) وصار مسجد السبت يسمى في زمن ابن الدباغ « مسجد العربي » لرجل يقال له محمد العربي كان يقوم به ينشد شعريني معدن في الزهد ويقرأ آيات من كتاب الله وحكايات^(١٨) .. »

(١١) معالم الايمان ٣١١/١ .

(١٢) معالم الايمان ٧٣/٢ .

(١٣) معالم الايمان ١٥٩/٢ .

(١٤) معالم الايمان ٣١/١ .

(١٥) معالم الايمان ٧٣/٢ .

(١٦) معالم الايمان ٥٩/٢ ، ٢٧/٣ .

(١٧) معالم الايمان ١٩٠/٤ - ١٨٨/٣ ، ٢٤ ، وانظر ١٥٩/٢ .

عبد القاهر ونقد النص التشريعي

الدكتور احمد مطاوب

عضو الجمعية

(١٠)

النص : الرفع ، ونص الحديث نصه نصا رفعه ، وكل ما أظفر فقد نص . ونص المتاع نصا جعل بعضه على بعض . والنص : منتهى الاشياء ومبلغ أقصاها . والنص : التعيين على شيء ما . وكيل ذلك مجاز من النص بمعنى الرفع والظهور . ومنه أخذ نص القرآن والحديث ، وهبوا اللفظ البدال على معنى لا يحتمل غيره . وقيل : نص القرآن والسنة مادله ظاهر لفظهما على من الأحكام . وكذا نص الفقهاء الذي هو بمعنى الدليل بضرب من الجاز وفي حديث جرقل : « يتصهم » أي يستخرج رأيهم ويظهره . وقيل : ومنه نص القرآن والسنة . وتباص القوم ازدهوا .^(١) والنص : « ما لا يحتمل إلا معنى واحدا ، قيل : ما لا يحتمل التأويل »^(٢) وهذا المعنى مأخوذ من « الرفع البالغ ومنه منصنة العروس ثم نزل في الاصطلاح التي الكتاب والسنة والتي ما لا يحتمل إلا معنى واحدا » . والنص قد يطلق على كل كلام مفهوم المعنى سواء كان ظاهرا أم نصا أو مقصدا اعتبارا منه للغالب ، لان عامة ماورد من صاحب الشريعة نصوص^(٣) . وهناك « إثارة النص » وهي : ما عرف بنفس المكيلا لمكن بلوغه وضرب تفكر^(٤) .

- ١ - ينظر العين ج ٧ ص ٨٦ ، اللسان والقاموس وتاج العروس (نص) .
- ٢ - التعريفات ص ٣٦٠ .
- ٣ - الكليات ج ٤ ص ٣٦٦ وتنظر ص ٢٥٨ .
- ٤ - الكليات ج ١ ص ١٨٥ .

والنصّ : صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف ، والكلمة بهذا المعنى مولدة أي أنها ليست قديمة^(٥) ؛ لأن المعنى القديم ينصرف الى نص القرآن الكريم والسنة الشريفة .

والنصّ : هو الكلمات المطبوعة والمخطوطة التي يتألف منها الأثر الادبي ، أو اقتباس أجزاء من الكتب المقدسة والتعليق عليها في الوعظ ، أو الاقتباس الذي يعد نقطة انطلاق لبحث أو خطة .^(٦)

(٢)

وقد كان النص الشعري مدار دراسات اللغويين والنحاة والبلاغيين والنقاد ، اذ اتخذوا من البيت الواحد - في الاعم الغالب - شاهدا وققوا عنده فأوضحوا ألفاظه ، وبينوا تراكيبه ، وحلّلوا أسلوبه ، وحكم عليه اللغويون والنحاة بالصحة والصواب أو الخطأ والفساد ، وأعطى البلاغيون والنقاد حكما يتصل بحسنه وجودته أو رداءته وتهافته . وكانوا - جميعا - ينطلقون من النص إلا ما كان من اللغويين الذين اهتموا بفصاحته وأصالته فقد كانوا يدققون في نسبه ويقطعون البراري والقفار للاتصال بالأعراب وتوثيق ما يسمعون من كلام ، وإلا ما كان من المؤلفين الذين كانوا يدققون في النص خشية الاتحال كما فعل محمد بن سلام الجمحي (٣١٠ هـ) في كتابه «طبقات فحول الشعراء» .

ولم يعرف البلاغيون والنقاد ماسمي في هذا القرن «ماحول النص» مما شاع في البيئات الادبية والنقدية تأثرا بآراء النقاد الذين اهتموا بالبيئة والجنس والزمان ، وبحياة الشاعر وثقافته وتقسيمته ، وكان الاوائل لا يعنون إلا بالنص مهما كان قائله ، لان الهدف الذي سعوا اليه هو الصحة أو الخطأ ، والجودة

٥ - ينظر المعجم الوسيط والمعجم العربي الاساس (نص) .

٦ - ينظر معجم مصطلحات الادب ص ٥٦٦ ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب ص ٢٦٦ ، المعجم الادبي ص ٢٨٢ .

أو الرداءة أما ما وراء ذلك فلم يكن عندهم ذا بال ، وإن كانت لهم اشارات الى البيئة والثقافة والزمن وأثرها في الشعر (٧) .

وكان للبلاغيين والنقاد القدامى حس لغوي رفيع ، وثقافة واسعة، ومعرفة بالكلام ، فاحسنوا في تقديمهم وإن كانوا قد وقفوا عند البيت الواحد ولم يتجاوزوه الى القطعة أو القصيدة الا قليلا ، ولعل أبا بكر الباقلاني (٤٠٣هـ) من أشهر الذين نظروا في النص الكامل حينما حلل معلقة امرئ القيس ، وقصيدة البحري اللامية (٨) .

فالقديما لم يكونوا بمنأى عن النص الكامل اذ مارس بعضهم نقده، ولكن عنايتهم بالقواعد والأصول والتنظير ، جعلتهم يتخذون من البيت أو البيتين ميدانا لدراستهم، وإن نبهوا على أن البيت الواحد اذا ما ارتبط بالأبيات الأخرى كان أكثر دلالة ، وأشد وضوحا ، لأن اكتمال التصوير يحقق المعنى ويؤثر في المتلقي فيهتز طرباً إن كان النص رائعا ، ولا يجد في نفسه هزة إن كان رديئا .

ولم يكن عبدالقاهر الجرجاني (٧١٤هـ أو ٧٤٤هـ) بعيدا عن هذا الاتجاه فقد كان امتدادا للنقاد الاوائل ، وإن أتى بكثير مما حاموا حوله ولم يحققوه . وكان كالسابقين يهتم بالنص لا بما حوله ، ويقف عنده طويلا مفسرا وموضحا ومعللا ، ويومئ الى ما فيه من روعة وجمال ، إن وجد في نفسه هزة ، ويدعو المتلقي الى أن يشاركه الإعجاب فيطرب كما طرب ويهتز كما اهتز . وأول حقيقة يديها هي أن النص ليس واحدا وأن لكل نص مزية لا توجد في غيره ، يقول : « إن سبيل هذه المعاني في الكلام الذي هي مجاز فيه سبيلها في الأشياء التي هي حقيقة فيها ، وأنه كما يفضل هناك النظم النظم والتأليف ، التأليف ، والنسج النسج ، والصياغة الصياغة ثم يعظم الفضل

٧ - ينظر على سبيل المثال الوساطة ص ١٥ وما بعدها .

٨ - ينظر اعجاز القرآن ص ٣٧٣ وما بعدها .

وتكثر المزية حتى يفوق الشيء ظييره والمجانس له درجات كثيرة وحتى تتفاوت القيم التفاوت الشديد ، كذلك يفضل بعض الكلام بعضا ويتقدم منه الشيء ثم يزداد فضل ذلك ويترقى منزلة فوق منزلة ، ويعلو مرقبا بعد مرقب ، ويتألف له غاية بعد غاية حتى ينتهي الى حيث تنقطع الاطماع ، وتحسر الظنون ، وتسقط القوى ، وتستوي الأقدام في العجز» (٩) .

والنصّ عنده هو البيت - في الاعم الغالب - ومعظم شواهد آيات متفرقة ومن ذلك قول المتنبي :

وَقَيَّدَتْ نَفْسٌ فِي ذِرَاكِ مَجْبَةٍ وَمِنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيْدًا تَقِيدَا

يقول : « الاستعارة في أصلها مبتدلة معروفة ، فانك ترى العامي يقول للرجل يكثر احسانه اليه وبره له حتى يألفه ويختار المقام عنده : « قد قيدني بكثرة إحسانه اليّ » وجميل فعله معي حتى صارت نفسي لا تطاوعني على الخروج من عنده » . وانما كان مآثرى من الحسن بالمساك الذي ساك في الظم والتأليف » . (١٠) هذه النزعة هي الغالبة في نقده ، ولكنه كان يرى أن من الحسن ما لا يتم إلا بالنص كله ، وأن منه ما يهجم من البيت الاول ، يقول : « إن من الكلام ما أنت ترى المزية في ظلمه والحسن كالأجزاء من الصبغ تتلاحق وينضم بعضها الى بعض حتى تكثر في العين ، فأنت لذلك لا تكبر شأن صاحبه ولا تقضي له بالحق والاستاذية وسعة الذرع وشدة المنّة حتى تستوفي القطعة وتأتي على عدة آيات ، ومنه ما أنت ترى الحسن يهجم عليك دفعة ويأتيك منه ما يبذل العين ضربة حتى تعرف من البيت الواحد مكان الرجل من الفضل وموضعه من الحق ، وتشهد له بفضل المنّة وطول الباع وحتى تعلم - إن لم تعلم القائل - أنه من قبل شاعر فحل ، وأنه خرج من تحت يد صنّاع وذلك ما إذا أنشدته وضعت فيه اليد على الشيء فقلت : هذا هذا ، وما كان

٩ - دلائل الاعجاز ص ٣٤ - ٣٥

١٠ - دلائل ص ١٠٥ .

كذلك فهو الشعر الشاعر ، والكلام الفاخر ، والنمط العالي الشريف ، والذي لا تجده إلا في شعر الفحول البزل ثم المطبوعين الذين يلهمون القول الهاميا « (١١) » .

ويؤكد هذه الحقيقة ، ويردد أن البيت ربما لا يكون دالا على المعنى والغرض ، ومن ذلك قول المزدرد :

فما رقد الولدان حتى رأته على البكر يمر به بساقٍ وحافر
فالنظر في البيت المفرد يدل على أن الشاعر استعمل « حافر » مكان « قدم » حين لم تطاوعه النافية ، وهذا من الاستعارة غير المفيدة ، ولكن النظر فيما بعده يدل على أن الشاعر وفق في هذه الاستعارة لانه « قد قال بعد هذا البيت ما يدل على قصده أن يحسن القول في الضيف وتباعده من أن يكون قصد الزراية به أو يحول حول الجزء به والاحتقار له ، وذلك قوله :

فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً بهذا المحيا من محي وزائر
فليس بالبعيد أن يكون فيه شوب مما مضى وإن يكون الذي أفضى به إلى ذكر الحافر قصده أن يصفه بسوء الحال في مسيره ، وتقاذف نواحي الأرض به وأن يبالغ ذكره بشدة الحرص على تحريك بكره واستفراغ مجهوده في سيره ، ويؤنس بذلك أن تنظر إلى قوله قبل :

وأشعث مسترخي العلابي طوحت به الأرض من بادٍ عريض وحاضي
فأبصر ناري وهي شقراء أوقدت بعلياء نشز للعيون النواظر
وبعده : « فما رقد الولدان .. » فإنه جعله أشعث مسترخي العلابي ، فقد قربت المسافة بينه وبين أن يجعل قدمه حافرا ليعطيه من الصلابة وشدة الوقوع على جنب البكر حظا وافرا « (١٢) » .

لقد اختلف معنى البيت بالنظر فيما قبله وبعده ، وأصبح تصويرا بديعا لحالة ذلك الضيف الذي جاء يري بكره بساقٍ وحافر ، وكان أشعث طوحت

به الارض فسعى الى مضيفه الذي رحب به وسر أيما سرور •
وربما لا يتم معنى البيت إلا بما بعده يقول : « فانظر الى نحو
قول البحري :

دان على أيدي العفاة وشاسع عن كل ند في الندى وضرب
كالبدر أفرط في العلو وضوءه للعصبة السارين جد قريب

وفكر في حالك وحال المعنى معك وأنت في البيت الاول لم تسته الى
الثاني ، ولم تتدبر نصرته اياه وتمثيله له فيما يملئ على الانسان عيناه ، ويؤدي
اليه ناظره ، ثم قسمها على الحال وقد وقفت عليه وتأملت طرفيه فانك تعلم بعد
ما بين حالتك وشدة تفاوتهما في تمكن المعنى لديك وتحببه اليك ونبله في
تفكك وتوفيره لانك وتحكم لي بالصدق فيما قلت والحق فيما ادعيت» (١٣) •

ويقول عنها ايضا : « فان المعاني اللطيفة لا بد فيها من بناء ثانٍ
على أول ، وردّ تالٍ الى سابق • أفلست تحتاج في الوقوف على الغرض من
قوله : « كالبدر أفرط في العلو » الى أن تعرف البيت الاول فتتصور حقيقة
المراد منه ووجه المجاز في كونه دانيا شاسعا وترقم ذلك في قلبك ثم تعود الى
ما يعرض البيت عليك من حال البدر • ثم تقابل احدي الصورتين بالأخرى وترد
البصر من هذه الى تلك ، وتنظر اليه كيف شرط في العلو الافراط ليشاكل
قوله « شاسع » لان الشسوع هو الشديد من البعد ثم قابله بما لا يشاكله من
مراعاة التناهي في القرب فقال : « جد قريب » • فهذا هو الذي أردت بالحاجة
الى الفكر وبأن المعنى لا يحصل لك إلا بعد انبعاث منك في طلبه
واجتهاد فيه » (١٤) • فالربط بين البيتين والاشارة الى التصوير أوضحها المعنى ،
ولو نظر الى البيت الاول وحده لبقيت الصورة غامضة والمعنى بعيدا •

١٣ - اسرار ص ١٠٢ - ١٠٣ •

١٤ - اسرار ص ١٣٣ •

وقد يؤدي اقتطاع البيت من القصيدة الى الاغتراب وفقدان قيمته، ومن ذلك قول علي بن محمد بن جعفر :

دَمَنْ "كَأَنَّ" رِياضها	يكسِن أعلام المطارف
وكانما غدرانها	فيها عِشور من مصاحف
وكانما أنوارها	تمتز في نكباء عاصف
طرر الوصائف بلتفت	ن بها الى طرر الوصائف
وكان لمع بروقها	في الجو أسياف الماثق

يقول : « المقصود البيت الاخير ، ولكن البيت اذا قطع عن القطعة كان كالكماب تفرد عن الأتراب فيظهر فيها ذل الاغتراب ، والجوهرة الثمينة مع أخواتها في العقد أبهى في العين وأملأ بالزين منها اذا أفردت عن النظائر وبدت فذة للناظر » (١٥) .

والقراءات المتعددة للنص أو إعادة النظر فيه تهتج مغاليقه وتوضح أهدافه ، ولذلك ينبغي قراءة النص أكثر من مرة واجالة الفكر والتأمل فيه ، يقول : « وانك لتنظر في البيت دهرا طويلا وتفسره ولا ترى أَنَّ فيه شيئا لم تعلمه ، ثم يبدو لك فيه أمر خفي لم تكن قد علمته . مثال ذلك بيت المتنبي :

عجبا له حفظ العنان بأنمل ما حفظها الاشياء من عاداتها

مضى الدهر الطويل ونحن نقرؤه فلا نذكر منه شيئا ، ولا يقع لنا ان فيه خطأ ، ثم بان بأخرة أنه قد أخطأ » . (١٦)

ولا يعطي النص المغلق دلالة ما لم يبذل الناقد جهدا كبيرا ، ويتأمل فيه تأملا عظيما ، ويفوص الى أعماقه ليكشف أصيله من زائفه ، أي ان النقد معاناة وليس عملية سهلة يسيرة يتعاطاها كل من خط الالف . وعبدالقاهر يؤكد هذه الحقيقة ويكررها في كثير من المواطن ، يقول : « ومن المركوز في الطبع

إن الشيء إذا نيل بعد الطلب له أو الإشتياق إليه ومغااة الحنين نحوه ، كان نيله أحلى وبالمرية أولى ، فكان موقعه من النفس أجلى وألطف ، وكانت به أضن وأشغف ، ولذلك ضرب المثل لكل ما لطف موقعه يبرد الماء على الظما كما قال :

وهنَّ يتذَن من قول يصبن به مواقع الماء من ذى الغلة الصادي

وأشبه ذلك مما ينال بعد مكابدة الحاجة إليه وتقدم المطالبة من النفس به » . (١٧) ويقول : « لو كان الجنس الذي يوصف من المعاني باللطافة ، ويعد في وسائط العقود لا يحوجك الى الفكر ولا يحرك من حرصك على طلبه بمنع جانبه ويبيغض الادلال عليه واعطائك الوصل بعد الصدد وانقرب بعد البعد لكان « باقلى حار » وبيت معنى هو عين القلادة وواسطة العقد واحدا ، ولسقط تفاضل السامعين في الفهم والتصور والتبيين ، وكان كل من روى الشعر عالما به وكل من حفظه — اذا كان يعرف اللغة على الجملة — ناقدا في تمييز جيده من رديئة » (١٨) . ويقول : « فهو هذا الذي أردت بالحاجة الى الفكر وبأن المعنى لا يحصل لك الا بعد انبعاث منك في طلبه واجتهاد في نيله » (١٩) .

هذه الاقوال وغيرها تؤكد أن النقد عملية صعبة ، وانه يحتاج الى ثقافة واسعة ، والى كد للفكر ، وتأمل عميق ، ومن هنا كان أحسن النقاد من بذل جهدا في تقده ووقف طويلا يتأمل النص ويعيد قراءته ليصل الى رأي أوحكم . وقد كان عبدالقاهر ممن كدوا الفكر ، وأطالوا الوقوف عند النص ، والتأمل فيه وهو يتعرض لاعجاز القرآن الكريم في كتابه « دلائل الإعجاز » ولبلاغة الكلام في كتابه « أسرار البلاغة » .

وقرر أن نقد الشعر ليس صناعة إغرابه وغريبه وإنما هو « صناعة أخرى » .

١٧ - أسرار ص ١٢٦ - ١٢٧ .

١٨ - أسرار ص ١٣١ - ١٣٢ .

١٩ - أسرار ص ١٣٣ .

يعرف فيها الشعر « الذي فيه غرور الذهب » (٢٠) ، وهو ليس معرفة الصواب والخطأ ، وإنما هو فوق ذلك ، يقول : « أما والصواب — كما ترى — فلا ، لا بالسنا في ذكر تقويم اللسان والتحرز من اللحن وزينغ الاعراب فنعتد بهذا الصواب ، وإنما نحن في أمور تدرك بالفكر اللطيفة ، ودقائق يوصل إليها بثاقب الفهم ، فليس درك صواب دركا فيما نحن فيه حتى يشرف موضعه ويصعب الوصول اليه وكذلك لا يكون ترك خطأ تركا حتى يحتاج في التحفظ منه إلى لطف نظر ، وفضل روية ، وقوة ذهن ، وشدة تيقظ » (٢١) .

والنقد عملية صعبة لأن « من شأن الوجوه والفروق أن لا يزال تحدث بسببها وعلى حسب الأغراض والمعاني التي تقع فيها دقائق وخفايا لا إلى حد ونهاية ، وأنها خفايا تكتم أنفسها جهدها حتى لا يتنبه لأكثرها ، ولا يعلم أنها هي ، وحتى لا تزال ترى العالم يعرض له السهو فيه ، وحتى أنه ليقصد إلى الصواب فيقع في أثناء كلامه ما يوهنهم الخطأ ، كل ذلك لشدة الخفاء وفرط الغموض » (٢٢) .

والناقد — عنده — من عرف الخطأ والصواب ، والانساء والاحسان ، والمفاضلة بين الكلام . يقول : « وجملته الامر انك لن تعلم في شيء من الصناعات علما ثمر فيهِ وتُحاي حتى تكون ممن يعرف الخطأ فيها من الصواب ، ويفصل بين الاساءة والاحسان ، بل حتى تفاضل بين الاحسان والاحسان ، وتعرف طبقات المحسنين » (٢٣) . ولا بد للناقد من علم يعينه على النظر في النص والوقوف على تراكيبه والحكم عليه ومعرفة النظم الذي يتبين فيه الكلام ، ويختلف نص عن آخر (٢٤) ، ولا بد له من معرفة لطعم الشعر ، والتفريق بين التفه الذي لا طعم له ، والحلو اللذيذ . (٢٥)

٢٠ — دلائل ص ٢٥٣ . ٢١ — دلائل ص ٩٨ .

٢٢ — دلائل ص ٢٨٥ . ٢٣ — دلائل ص ٢٧ .

٢٤ — دلائل ص ٥٤٦ . ٢٥ — اسرار ص ٣٣٢ .

ولم يكن عبدالقاهر فاقداً مقلداً ، فهو يكره التقليد والحكم من غير روية وعلم ، يقول فيمن لا يستمعون اليه : « كأنهم قد قضى عليهم أن يكونوا في هذا الذي نحن بصده على التقليد البحت ، وعلى التوهم والتخيل ، واطلاق اللفظ من غير معرفة بالمعنى ، قد صار الدأب والديدن ، واستحكم الداء منه الاستحكام الشديد » (٢٦) . ويحذر من الوقوع في شرك التقليد والاتباع يقول : « ومن ذلك أنك ترى من العلماء من قد تأول في الشيء تأويلاً وقضى فيه بأمر فتعقده اتباعاً ولا ترتاب أنه على ما قضى وتأول ، وتبقى على ذلك الاعتقاد الزمان الطويل يلوح لك ماتعلم به أن الأمر على خلاف ما قدر » (٢٧) . ويمد خطاً النقاد داءً دوا ، (٢٨) وفي كتابيه كثير من النقد لاقوال السابقين وتصحيح لأرائهم وأحكامهم ، مما يدل على أنه لم يكن مقلداً في نقده ، وإنما كان مجدداً صاحب نظرية في نقد النص ، وصاحب منهج واضح . وقبل أن يخوض في النقد ويحكم على النصوص أرسى بعض الأسس التي كانت منطلقاً له وهي :

١ - دفاعه عن البيان .

٢ - دفاعه عن النحو .

٣ - دفاعه عن الشعر .

أما البيان فيقول عنه : « ثم أنك لا ترى علماً هو أرسخ أصلاً ، وأسبق فرعاً ، وأحلى جنى ، وأعذب ورداً ، وأكرم تاجاً ، وأنور سراجاً ، من علم البيان الذي لولاه لم تَرَ لساناً يحوك الوشي ، ويصوغ الحلي ، ويلفظ الدر ، وينثف السحر ، ويقرى الشهد ، ويريك بدائع من الزهر ، ويجنيك الحلوى اللينة من الشر ، والذي لولا تحفيه بالعلوم وعنايته بها وتصويره إيها ، لبقيت كأمينة مستورة ، ولما استبنت لها يد الدهر صورة ، ولا ستر السرار بأهلتها ،

واستولى الخفاء على جماتها الى فوائد لا يدركها الاحصاء ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء» (٢٩) . ويبدو أن البيان وصل في عهد، الى حالة لا تحمد ، وخاض المؤلفون فيه ولم يقفوا على حقيقته ، وأوضح عبد التاخر هذه الحالة ، بقوله : « إلا انك لن ترى على ذلك نوعا من العلم قد لقي من النسيم ما لقيه ، ومني من الحيف بما مني به ، ودخل على الناس من الغلط في معناه ما دخل عليهم فيه . فقد سبقت الى قوسهم اعتقادات فاسدة وظنون رديّة ، وركبهم فيه جيل عظيم وخطأ فاحش » (٣٠) .

وأما النحو فقد وصل في زمانه الى مرحلة النضج وإن كانت بعض مسائله قد لفتها التعقيد ، والاهتمام بالعامل ، واصطناع التمرينات غير العملية . مما زهد الناس فيه . وصوّر عبدالمقاهر هذه الحالة أحسن تصوير ، وأوضح موقف الزاهدين من النحو ، ودافع عنه ، ودعا الى الاهتمام به ، يقول : « وأما النحو فظنته ضربا من التكلف وبابا من التعسف ، وشيئا لا يستند الى أصل ، ولا يعتمد فيه على عقل ، وإن ما زاد منه على معرفة الرفع والنصب وما يتصل بذلك مما تجده في المبادئ فهو فضل لا يجدي نفعاً ، وتحصل منه على فائدة . وضربوا له المثل بالمالح - كما عرفت - الى أشباه لهذه الظنون في القبيلين وآراء لو علموا مغبتها وما تقود اليه لتعوزوا بالله منها ، ولأنفوا لانفسهم من الرضا بها ، ذلك لانهم بايثارهم الجهل بذلك على العلم في معنى الصاد عن سبيل الله والمبتغي اطفاء نور الله تعالى » (٣١) . وأوضح أهمية النحو وضرورته ، « اذ كان قد علم أن الالفاظ مغلفة على معانيها حتى يكون الاعراب هو الذي يفتدها ، وأن الاغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها ، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه ، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع اليه . لا ينكر ذلك إلا من ينكر حسه ، وإلا من غلط في الحقائق نفسه . واذا كان الامر كذلك فليت شعري ما عذر من تهاون

به وزهد فيه وامر أن يستقيه من مصبه ويأخذه من معدنه ، ورضي لنفسه بالنقص ، والكمال لها معرض ، وآثر الغيبة وهو يجد إلى الربح سبيلا» (٢٢) ، وذلك « أن الكلام لا يستقيم ولا تحصل منافع التي هي الدلالات على المقاصد إلا بمراعاة أحكام النحو فيه من الاعراب والترتيب الخاص » (٢٣) . وفساد التركيب النحوي يؤدي إلى فساد الكلام كما في قول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا ممالكا أبو أمه حيّ أبوه يقاربه

« فافترأ تصور أن يكون ذمه للفظ من حيث أنك انكرت شيئا من جزؤه أو صادفت وخشيا غريبا أو سوقيا ضعيفا ، أم ليس إلا لأنه لم يرتب الانطاف في الذكر على موجب ترتيب المعاني في الفكر ، فكدة وكدة ، ومنع البامع من أن يفهم الغرض إلا بأن يتقدم ويؤخر ، ثم أسرف في إبطال النظام وابعاد المرام ، وصار كمن رمى بأجزاء تتألف منها صورة ولكن بعد أن يراجع فيها باب من الهندسة لفرط ما عادي بين أشكالها وشدة ماخالف بين أوضاعها » (٢٤) . فالفساد والخلل في هذا البيت « كانا من أن تعاطى الشاعر ما تعاطاه من هذا الشأن على غير الصواب ، وصنع في تقديم أو تأخير ، أو حذف وإضمار مما ليس له أن يصنعه وما لا يسرغ ولا يصح على أصول هذا العلم . وإذا ثبت أن سبب فساد النظم واختلاله أن لا يعمل بتوانين هذا الشأن ثبت أن سبب صحته أن يعمل عايبا ، ثم إذا ثبت أن مستتبط صحته وفساده من هذا العلم ثبت أن الحكم كذلك في مزيتة والنضيلة التي تعرض فيه . وإذا ثبت جميع ذلك ، ثبت أن ليس هو شيئا غير توخي معاني هذا العلم وأحكامه فيها بين الكلام » . (٢٥)

وأما الشعر فقد زهد الناس فيه لأنه كما خيل إليهم « ليس فيه كثير طائل ، وأن ليس إلا ملحة ، أو فكاهة ، أو بكاء منزل ، أو وصف طائل : أو نعت

ثاقّة أو جمل ، أو اسراف قول في مدح أو هجاء ، وانه ليس بشيء تحسن الحاجة اليه في صلاح دين أو دنيا » (٣٦) . وبين أهميته وأشار الى الطائفة التي ساء اعتقادها فيه ، وهو معدن الفصاحة وعاليه المعوّل ، وهو « ديوان العرب وعنوان الادب » و « ميدان القوم اذا تجاروا في الفصاحة والبلاغة وتنازعوا فيهما قصب الرهان (٣٧) » . وتكلم على من زهد في روايته وحفظه ، وذم الاشتغال بعلمه وتبعه ، ورد أقوالهم وفندوها ، وذكر اهتمام النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - والخلفاء الراشدين والصحابة - رضي الله عنهم - به ، وأشار الى علمهم به وانشاده والاستشهاد به .

والشعر استعداد وقوة طبع ومن عدم ذلك ابتعد عن الشعرية ، وقد ذكر قصة حسان بن ثابت مع ابنه عبدالرحمن الذي قال : « لسعني طائر » فقال حسان : « صفه يا بني » فقال : « كأنه ماتف في بردي حبرة » وكان لسعه زنبور ، فقال حسان : « قال ابني الشعر ورب الكعبة » . وعاق عبدالقاهر على ذلك بقوله : « أفلا تراه جعل هذا التشبيه مما يستدل به على مقدار قوة الطبع ويجعل عيارا في الفرق بين الذهن المستعد للشعر وغير المستعد له ، وسره ذلك من ابنه كما سره نفس الشعر حين قال في وقت آخر :

الله يعلم أنني كنت مغتبطا في دار حسان اصطاد اليعاسيا (٣٨)

ولا يرى جودة الشعر بمعانيه نحسب ، وانما بما فيه من شعرية (٣٩) ، ولا بد للشاعر من أن يكد ذهنه للوصول الى المعاني الرفيعة والصور البديعة ، ويرتبها ترتيبا دقيقا ، ويبيّن ثانيا على أول ، وثالثا على ثانٍ حتى يستقيم الكلام ويخرج كله كأنه صيغ صياغة واحدة . (٤٠)

والشعر قوة ساحرة بما يصنعه من الصور ، ويشكل من البدع ، ويوقعه في النفوس من المعاني التي يتوهم بها الجامد الصامت في صورة الحي الناطق،

٣٧ - دلائل ص ٨ - ٩ .

٣٩ - اسرار ص ٢٤٩ .

٣٦ - دلائل ص ٨ .

٣٨ - اسرار ص ١٧٥ .

٤٠ - اسرار ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

والموات الاخرس في قضية النصيح العرب ، والمبين المميز والمعدوم المفقود في حكم الموجود المشاهد (٤١)، وذلك لما فيه من صنعة مؤثرة ، واسلوب رفيع ، وصور بديعة .

لقد نظر عبدالقاهر الى الشعر نظرة اجلال لانه ديوان العرب ، وان الناقد ينبغي أن يكون عارفا بأساليبه مطاعا على فنونه ، ولانه الشاهد الرفيع الذي يدل على البراعة والبلاغة ، ويعين المفسر والواقف على إعجاز كتاب الله . يقول : « وأردته لأعرف به مكان بلاغة ، وأجعله مثالا في براعة ، أو أحتج به في تفسير كتاب وسنة ، وأقتر الى قلمه ونظم القرآن ، فأرى موضع الإعجاز ، وأقف على الجبة التي منها كان ، وأبين الفصل والفرقان » (٤٢) .

لقد حدد عبدالقاهر موقفه من البيان ، والنحو ، والشعر ، واتخذها منطلقا للوقوف على إعجاز القرآن الكريم ونقد الشعر ، وتعد هذه الوقفة مدخلا أو تمهيدا للانطلاق الى دراسة بلاغة القرآن ونقد النص الشعري .

(٣)

ومنهجه النقدي يتسم بصفتين واضحتين هما :

الاولى : التحليل اللغوي القائم على نظرية النظم التي آمن بها ، وألح عليها في كتابه « دلائل الإعجاز » إلحاحاً عظيماً ، وجادل من أجليها جدالاً كبيراً . والنظم هو « تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض » (٤٣) وهو حكم « من أحكام النحو ومعنى من معانيه » (٤٤) .

فما لنظم كلام أنت ناظمه معنى سوى حكم إعراب تزجيئه
وقد علمنا بأن النظم ليس سوى حكم من النحو نمضي في توحيه (٤٥)
ويعيد القول في معنى النظم ، ويفرق بين نظم الحروف ونظم الكلام

- | | |
|------------------------------|---------------------------|
| ٤١ - اسرار ص ٣١٧ وما بعدها . | ٤٢ - دلائل ص ٢٦ . |
| ٤٣ - دلائل - المدخل ص ٤ . | ٤٤ - دلائل - المدخل ص ٨ . |
| ٤٥ - دلائل - المدخل ص ١٠ . | |

فيقول : « وذلك أن نظم الحروف هو تو اليها في النطق وايس نظمنا بمقتضى عن معنى ولا الناظم لها بمقتف في ذلك رسما من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ماتحراه . فلو أن واضع اللغة كان قد قال : (ربض) مكان (ضرب) لما كان في ذلك ما يؤدي الى فساد . وأما نظم الكلام فايس الأمر فيه كذلك لانك تقتني في نظمها آثار المعاني وترتبها على حسب ترتب المعاني في النفس ، فهو اذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض ، وايس هو النظم الذي معناه ضم الشيء الى الشيء كيف جاء واتفق ، ولذلك كان عندهم نظيرا للنسج ، والتأليف ، والصياغة ، والبناء ، والوشي والتجبير ، وما أشبه ذلك مما يوجب اعتبار الاجزاء بعضها مع بعض حتى يكون لوضع كل حيث وضع علة تقتضي كونه هناك وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصاح » . ثم يوضح هذا الفرق فيقول : « والفائدة في معرفة هذا الفرق : انك اذا عرفت عرفت أن ايس الغرض بنظم الكلام أن توات ألفاظها في النطق ، بل أن تناسقت دلالتها ، وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل . وكيف يتصور أن يقصد به الى توالي الالفاظ في النطق بعد أن ثبت أنه نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض ، وأنه نظير الصياغة ، والتجبير ، والتفويص ، والنقش وكل ما يقصد به التصوير » (٤٦) .

ويتف عند النظم طويلا ويقول : « اعلم ان ليس النظم الا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعديل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نوجت فلا تزيف عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها » (٤٧) . فالنظم هو توخي معاني النحر واحكامه وفروقه ووجوهه (٤٨) وهو أساس الكلام وبه يتميز ويتفاوت ، وتغير النظم يؤدي الى تغير المعنى او الصورة ، يقول « واعلم ان هذا كذلك مادام النظم واحدا ، فأما اذا تغير النظم فلا بد حينئذ من ان يتغير المعنى » (٤٩) . ويضرب لذلك مثلا بالعبارتين

٤٦ - دلائل ص ٤٩ - ٥٠ . ٤٧ - دلائل ص ٨١ .

٤٨ - ينظر دلائل ص ٣٦١ - ٣٦٢ ، ٣٧٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٤٥٢ ، ٥٢٥ .

٤٩ - دلائل ص ٢٦٥ .

« زيد كالاسد » و « كان زيدا الاسد » ويقول : « فتفيد تشبيهه ايضا بالاسد ، إلا أنك تزيد في معنى تشبيهه به زيادة لم تكن في الاولى ، وهي ان تجعله من فرط شجاعته وقوة قلبه لا يروعه شيء بحيث لا يتميز عن الاسد ولا يقصر عنه حتى يتوهم انه أسد في صورة آدمي . وإذا كان هذا كذلك فانظر دل كانت هذه الزيادة وهذا الفرق إلا بما توخي في ظم اللفظ وترتيبه حيث قدم الكاف الى صدر الكلام وركبت مع « أن »^(٥٠) . ثم يقول : « ذاك لانه لم يتغير من اللفظ شيء وانما تغير النظم فقط . وأما فتحك « أن » عند تقديم الكاف وكانت مكسورة فلا اعتداد بها لان معنى الكسر باق بحال »^(٥١) .

ويجيء التفاوت بين شاعر وشاعر عن طريق النظم . يقول : « وانما سبيل هذه المعاني سبيل الاصباغ التي تعمل منها الصور والنقوش ، فكما انك ترى الرجل قد تبدى في الاصباغ التي عمل منها الصورة والنقش في ثوبه الذي نسج الى ضرب من التخيير والتدبر في أنفص الاصباغ وفي مواقعها ومقاديرها وكيفية مزجه لها وترتيبه اياها الى مالم يتهدى اليه صاحبه ، فجاء نقشه من أجل ذلك أعجب وصررته أغرب ، كذلك حال الشاعر والشاعر في توخيها معاني النحو ووجوه التي علمت أنها يحصل النظم »^(٥٢) . ويحدث هذا التفاوت بسبب ترتيب المعاني في النفس ، يقول : « إنه لو كان القصد بالنظم الى اللفظ نفسه دون أن يكون الغرض ترتيب المعاني في النفس ثم النطق بالالفاظ على حذوها ، لكان ينبغي أن لا يختلف حال اثنين في العلم بحسن النظم أو غير الحسن فيه ، لانهما يحسان يتوالي الالفاظ في النطق احساسا واحدا ولا يعرف أحدهما في ذلك شيئا يجزله الاخر »^(٥٣) . فلما اني تترتب في النفس وتترتب معا الالفاظ : « فاذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتاج الى أن تستأنف فكرا في ترتيب الالفاظ ، بل تجدها تترتب لك بحكم انها خدوم للمعاني وتابعة لها ولا حقة بها وان العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الالفاظ الدالة عليها في النطق »^(٥٤) .

٥٠ - دلائل ص ٢٥٨ . ٥١ - دلائل ص ٢٦٥ . ٥٢ - دلائل ص ٨٧ - ٨٨ .

٥٣ - دلائل ص ٥١ . ٥٤ - دلائل ص ٥٤ ، وتنظر ص ٥٦ ، اسرار ص ٤ .

لقد آمن عبدالقاهر بالنظم ، وردّ اليه كل فضيلة للكلام ، وأدى هذا الايمان الى أن يتخذ من اللفظ والمعنى والصورة موقفا يختلف عن مواقف كثير من النقاد الذين فضل بعضهم اللفظ ، وآثر بعضهم المعنى . واللغة عنده « تجري مجرى العلامات والسمات »^(٥٥) فهي رموز أو اشارات « لم توضع لتعرف معانيها في أنفسنا ، ولكن لان يضم بعضها الى بعض ، فيعرف فيما بينهما فوائد »^(٥٦) . وهناك اللغة الاتعالية التي هي من أبرز سمات النص ؛ لان الالفاظ الموضوعية في اللغة لا تكون ذات تأثير الا اذا ضم بعضها الى بعض بطريقة مخصوصة تتوخى فيها أحكام النحو ووجوهه وهو ما سماه (النظم) ومن ذلك بيت بشار بن برد :

كأنّ مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

يقول : « اظنّ هل يتصور أن يكون بشار قد أخطر معاني هذه الكلم بياؤه أفرادا عارية من معاني النحو التي تراها فيها ، وأن يكون قد وقع « كأن » في نفسه من غير أن يكون قصد ايقاع التشبيه منه على شيء ، وأن يكون قد فكر في مثار النقع » من غير أن يكون أراد اضافة الأول الى الثاني ، وفكر في « فوق رؤوسنا » من غير أن يكون قد أراد أن يضيف « فوق » الى « الرؤوس » ، وفي « الاسياف » من دون أن يكون أراد عطفها بالواو على « مثار » ، وفي « الواو » من دون أن يكون أراد العطف بها ، وأن يكون كذلك فكر في « الليل » من دون أن يكون أراد أن يجعله خبرا لـ « كأن » وفي « تهاوى كواكبه » من دون أن يكون أراد أن يجعل « تهاوى » فعلا للكواكب ثم يجعل الجملة صفة ليل ليتم الذي أراد التشبيه ، أم لم يخطر هذه الاشياء بباله الا مرادا فيها هذه الاحكام والمعاني التي تراها فيها »^(٥٧) .

لقد وجد عبد القاهر أن بعضهم يميل الى اللفظ كل الميل ويجعل التزمية له ، فنار على هذا الاتجاه وناقش اصحابه وفند آراءهم ، وكان يعيد وييدي في

٥٥ - اسرار ص ٣٤٧ ، وينظر دلائل ص ٤١٧ ، ٥٤٠ .

٥٦ - دلائل ص ٥٣٩ . ٥٧ - دلائل ص ٤١١ - ٤١٢ .

هذه المسألة ليثبت أن التفاضل ليس باللفظ وانما بموقعه في الكلام أي « السياق » ، يقول : « ومن البين الجلي أن التباين في هذه الفضيلة ، والتباعد عنها الى ما ينافيها من الرذيلة ليس بمجرد اللفظ ، كيف والالفاظ لا تقيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف ، ويعمد بها الى وجه دون وجه من التركيب والترتيب . فلو ألك عمدت الى بيت شعر أو فصل نثر فعددت كلماته عدا كيف جاء واثن ، وأبطأت نضده ونظامه الذي عليه بني وفيه أفرغ المعنى وأجري ترتيبه الذي بخصوصيته أفاد ما أفاد وبنسقه المخصوص أبان اراد نحو أن تقول في :

قنابك من ذكرى حبيب ومنزل

« منزل قفا ذكرى من نك حبيب » أخرجه من كمال البيان الى محال الهذيان . نعم ، وأسقطت نسبه من صاحبه ، وقطعت الرحم بينه وبين منشئه ، بل أحلت أن يكون له اضافة الى قائل ونسب يختص له بمتكاسم . وفي ثبوت هذا الاصل ما تعلم به أن المعنى الذي له كانت هذه الكلم بيت شعر أو فصل خطاب هو ترتيبها على طريقة معلومة ، وحصولها على صورة من التأليف مخصوصة . وهذا الحكم - أعني الاختصاص في الترتيب - يقع في الالفاظ مرتبا على المعاني المرتبة في النفس المنتظمة فيها على قضية العقل^(٥٨) . ولا يكون استحسان الكلام بجرس الالفاظ وانما بما يقع من المرء في فؤاده ، يقول : « فاذا رأيت البصير بجواهر الكلام يستحسن شعراً أو يستجيد نثرا ثم يجعل الناء عليه من حيث اللفظ فيقول : حاو رشيق، وحسن أنيق ، وعذب سائغ ، وخلوب رائع ، فاعلم انه ليس ينبئك عن أحوال ترجع الى أجراس الحروف والى ظاهر الوضع اللغوي ، بل أمر يقع من المرء في فؤاده وفضل يقتدحه العقل من زناد^(٥٩) » أي : انه لاجمال للفظ « من حيث هو صوت

مسموع وحروف تتوالى في النطق وانما « لما بين معاني الالفاظ من الاتساق العجيب (٦٠) » .

ولا تتفاضل الالفاظ من حيث هي ألفاظ مفردة وانما من حيث هي كلم، أي أن السياق هو الذي يحدد قيمة اللفظة . يقول : « ودل يقع في وهم وأن جهد أن تتفاضل الكامتان المفردتان من غير أن ينظر الى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم باكثر من أن تكون هذه مألفة مستعملة وتلك غريبة وحشية أو أن تكون حروف هذه أخف ، وامتزاجها أحسن ، ومما يكد اللسان أبعد ؟ وهل تجد أحدا يقول : « هذه اللفظة فصيحة » إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها وفضل مؤانستها ؟ وهل قالوا :

« لفظة متمكنة ومقبولة » وفي خلافه « قلقة ونابية ومستكرهة » الا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما، وبالقلب والنبوة عن سوء التلاؤم ، وأن الاولى لم تاق بالثانية في معناها وأن السابقة لم تصاح أن تكون لنقا للتالية في مؤداهما « (٦١) . ويقول : « إن الالفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ، ولان من حيث هي كلم مفردة ، وان الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها ، وما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ » . ويضرب لذلك مثلا فيقول : « ومما يشهد لك أنك ترى الكلمة تروك وتؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر كلنظ « الاخدع » في بيت الحماسة :

تلفت نحو الحي قد وجدتني وجعت من الاصغاء ليتا وأخذعا
وبيت البحري :

وإني وإن باغتني شرف الغنى وأعتقت من رق المطامع أخدعي
فان لها في هذين المكانين مالا يخفى من الحسن ، ثم انك تتأملها في بيت أبي تمام :

يادهر قوم من أخدعك فقد أضججت هذا الانام من خرقك

فتجد لها من الثقل على النفس ، ومن التنغيص والتكدير أضعاف ما وجدت هناك من الروح والخفة ، ومن اليناس والبجّة • ومن أعجب ذلك لفظة « الشيء » فانك تراها مقبولة حسنة في موضع وضعيفة مستكرهة في موضع ، وإن أردت أن تعرف ذلك فانظر الى قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي :
ومن مالى عينيه من شيء غيره اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى
وقول أبي حية :

إذا ما تقاضى المرءَ يومٌ ليلة تقاضاه شيءٌ لا يدل التقاضيا

فانك تعرف حسنهما ومكانهما من القبول ، ثم انظر اليها في بيت المتنبي :

لو الفلكُ الدوار أعقب سعيه لعوقه شيءٌ عن الدوران

فانك تراها ثقل وتضوّل بحسب نبلها وحسنها فيما تقدم « • ثم ينتهي الى القول : « فلو كانت الكلمة اذا استحقت المزيّة والشرف استحقت ذلك في ذاتها وعلى افرادها دون أن يكون السبب في ذلك حال لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم ، لما اختلف بها الحال ، ولكانت اما أن تحسن أبداً أو لا تحسن أبداً » (٦٢) • فاللفظة لا تحسن ولا تضوّل من حيث هي لفظة ، وانما يظهر جمالها ويبين قبحها من انضمامها الى أخواتها الالفاظ ، وهي مرتبطة أشد الارتباط بالمعاني لانها أوعية لها ، يقول : « اعلم أن ما ترى انه لا بد منه من ترتب الالفاظ وتواليها على النظم الخاص ليس هو الذي طابته بالفكر ، ولكنه شيء يقع بسبب الاول ضرورة من حيث أن الالفاظ اذا كانت أوعية للمعاني فانها لا محالة تتبّع المعاني في مواقعها ، فاذا وجب لمعنى أن يكون أولاً في النفس وجب للنظ الدال عليه أن يكون مثله أولاً في النطق • نأما أن تتصور في الالفاظ أن تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب وان يكون الفكر في

النظم الذي يتواصله البلاغاء فكراً في نظم الالفاظ أو أن تحتاج بعد ترتيب المعاني الى فكر تستأنفه لان تجيء بالالفاظ على نسقها ، فباطل من الظن ، ووهم يتخيل الى من لا يوفي النظر حقه . وكيف تكون مفكرافي نظم الالفاظ وأنت لا تعقل لهما أوصافاً وأحوالاً اذا عرفت بما عرفت أن حتماً أن تنظم على وجه كذا (٦٣) . « فالالفاظ والمعاني تبرز في وقت واحد لانها متصلة بالفكر ، يقول : « ان هذا النظم الذي يتواصله البلاغاء ، وتتفاضل مراتب البلاغة من أجله صنعة يستعان عليها بالفكرة لاهجالة ، واذا كانت مما يستعان عليها بالفكرة ، ويستخرج بالروية ، فينبغي أن ينظر في الفكر بماذا تلبس ؟ أبا المعاني أم بالالفاظ ؟ فأبي شيء وجدته الذي تلبس به فكرك من بين المعاني والالفاظ فهو الذي تحدث فيه صنعتك وتقع فيه صياغتك وظنك وتصويرك ، فمحال أن تتفكر في شيء وأنت لاتصنع فيه شيئاً وانما تصنع في غيره ، لوجاز ذلك ليجاز أن يذكر البناء في المنزل ليجعل فكره فيه وصلة الى أن يصنع من الآجر وهو من الاحالة المفردة » (٦٤) . وانهى الى ان الالفاظ لاتسبق المعاني ، يقول : « هل كانت الالفاظ الا من أجل المعاني ؟ ودل هي الا خدم لها ومصرفة على حكمها ؟ أو ليست هي سمات لهما وأوضاعاً قد وضعت لتدل عليهما ؟ فكيف يتصور أن تسبق المعاني وأن تتقدمها في تصور النفس ؟ ان جاز ذلك جاز أن تكون أسامي الاشياء قد وضعت قبل أن عرفت الاشياء وقبل أن كانت » (٦٥) . ويكرر أن مزية الكلام ليس باللفظ وأن فصاحة اللفظ بحسب موقع الكلمة (٦٦) ، وان معاني الالفاظ ليست في أغسها ، يقول : « إن الالفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ، ولكن لان يضم بعضها الى بعض ، فيعرف فيما بينهما من فوائد ، وهذا علم شريف وأصل عظيم . والدليل على ذلك أنا إن زعمنا أن الالفاظ التي هي أوضاع اللغة انما وضعت ليعرف بها معانيها في أنفسها لأدى ذلك الى ما لا يشك عاقل في

٦٣ - دلائل ص ٥٢ - ٥٣ . ٦٤ - دلائل ص ٥١ .

٦٥ - دلائل ص ٤١٧ . ٦٦ - ينظر دلائل ص ٤٦٥ ، ٤٠١ ، ٥٣٩ .

استحالته ، وهو أن يكونوا قد وضعوا للاجناس الاسماء التي وضعوها لها لتعرفها بها حتى كأنهم لو لم يكونوا قالوا : « رجل » و « فرس » و « دار » لما كان يكون لنا علم بهذه الاجناس ، ولو لم يكونوا وضعوا أمثلة الافعال لما كان لنا علم بمعانيها ... والمواضعة لا تكون ولا تتصور إلا على معلوم فمحال أن يوضع اسم أو غير اسم لغير معلوم لان المواضعة كالاشارة ، فكما أنك اذا قلت : « خذ ذاك » لم تكن هذه الاشارة لتعرف السامع المشار اليه في نفسه ، ولكن ليعلم انه المقصود من بين سائر الاشياء التي تراها وتبصرها . كذلك حكم اللفظ مع ماوضع له ^(٦٧) » .

هذا موقعه من اللفظ ولكن أينكر مذاقة الحروف ؟ يقول : « واعم أنا لانا بى مذاقة الحروف وسلامتها مما يثقل على اللسان داخلا فيما يوجب الفضيلة وأن تكون مما يؤكد أمر الاعجاز ، وانما الذي تنكره وتقبل رأي من يذهب اليه أن يجعله معجزا به وحده ، ويجعله الأصل والعمدة » ^(٦٨) . واتتهى الى أن الالفاظ لا تنماز من حيث هي الفاظ مفردة ، وانما تكون لها المزية وخلافها حينما تنضم الى بعضها مكونة جملا وعبارات ، وان النصيحة والبلاغة وسائر مايجري في طريقتيها أوصاف راجعة الى المعاني والى مايدل عليه بالالفاظ دون أنفسها .

وهو لا يريد في النص المعنى الاول الذي يفهم من اللفظ وانما المعنى الثاني او « معنى المعنى » إذ الكلام على ضربين : ضرب يوصل منه الى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، وضرب لا يوصل منه الى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، ولكن اللفظ يدل على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ، ثم تكون لذلك المعنى دلالة ثانية توصل الى الغرض . ومدار هذا الامر على الكناية والاستعارة والتمثيل . يقول : « وإذ قد عرفت هذه الجملة ، فهنا عبارة مختصرة وهي أن تقول « المعنى » و « معنى المعنى » تعني بالمعنى المفهوم من

ظاهر اللفظ والذي تصل اليه بغير واسطة ، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى ثم ينفي بك ذلك المعنى الى معنى آخر (٦٩) » .

لقد عالج عبدالقاهر مسألة اللفظ والمعنى ، أو الشكل والمضمون (٧٠) ، وببدو للوهلة الاولى أنه متناقض فهو يذكر أحيانا أن المزية لمعنى اللفظ لا اللفظ نفسه ، ويذكر أحيانا أخرى أنه باللفظ والنظم لا بالمعنى ، يقول : « اعلم ان الماء الدوي والذي أعبى أمره في هذا الباب غاط من قدّم الشعر بسعناء ، وأقل الاحتفال باللفظ وجعل لا يعطيه من المزية إن هو أعطى إلا ما فضل عن المعنى يقول : « ما في اللفظ لو لا المعنى ؟ وهل الكلام إلا بمعناه ؟ » . فأنت تراه لا يتقدم شعرا حتى يكون قد أودع حكمة وأدبا ، واشتمل على تشبيه غريب ومعنى نادر ، فان مال الى اللفظ شيئا ورأى أن ينحله بعض الفضيلة لم يعرف غير الاستعارة ، ثم لا ينظر في حال تلك الاستعارة أحسنت بمجرد كونها استعارة أم من أجل فرق ووجه ؟ أم للامرين ؟ يحذل بهذا وشبهه ، قد قنع بظواهر الامور ، وبالجمل ، وبأن يكون كمن يجاب المتاع للبيع همه أن يروج عنه (٧١) » .

ويوضح هذه الفكرة كلامه على الايات :

ولما قضينا من مـنى كل حاجة ومسح بالاركان مـن هو ماسح
وشدت على دهم المهوري رحالنا ولم ينظر الغادي الذي هو رائج
أخذنا باطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق الطي الأباطح
يقول : « راجع فكرتك ، واشحذ بصيرتك ، وأحسن التأمل ، ودع عنك التجوز في الرأي ، ثم انظر هل تجد لاستحسانهم وحمدهم وثنائهم ومدحهم منصرفا إلا الى استعارة وقعت موقعها وأصابت غرضها ، او حسن ترتيب تكامل معه البيان حتى وصل المعنى الى القلب مع وصول اللفظ الى السمع واستقر في

٧٠ - دلائل ص ٢٤٩ وما بعدها .

٦٩ - دلائل ص ٢٦٣ .

٧١ - دلائل ص ٢٥٢ .

الفهم مع قوة العبارة في الاذن ، والا الى سلامة الكلم من الحشو غير المفيد والفضل الذي هو كالزيادة في التحديد ، وشيء داخل المعاني المقصودة مداخلة الطغياني الذي يستشغل مكانه ، والأجنبي الذي يكره حضوره ، وسلامته من التصير الذي يفتقر معه السامع الى تطاب زيادة بقيت في نفس المتكلم فلم يدل عليها بافظها الخاص بها واعتمد دليل حال غير مفصح أو نيابة مذكور ليس لتلك النيابة بمستصاح . وذلك ان أول ما يتلقاتك من محاسن هذا الشعر انه قال : « ولما قضينا من منى كل حاجة » فعبر عن قضاء المناسك بأجمعها والخروج من فروعها وسننها من طريق أمكنه أن يتصرع معه اللفظ وهو طريقة العموم ، ثم نبه بقوله : « ومسح بالأركان من هو مسح » على طواف الوداع الذي هو آخر الأمر ، ودليل المسير الذي هو مقصوده من الشعر . ثم قال : « أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا » فوصل بذكر مسح الأركان ما يليه من زجر الركاب وركوب الركبان ، ثم دل بالظنة « الأطراف » على الصفة التي يختص بها الرفاق في السفر من التصرف في فنون القول ، وشجون الحديث ، أو ما هو عادة المتطوفين من الإشارة والتأريخ والردز والايماء ، وأنبأ بذلك عن طيب النفوس وقوة النشاط وفضل الاغتباط كما توجه ألفة الاصحاب وأنسة الاحباب ، وكما يأتى بحال من وفق لقضاء العبادة الشريفة ، ورجا حسن الاياب ، وتنسم روائح الاحبة والاطوان ، واستماع التبانى والتحايا من الخلال والاخوان ، ثم زان ذلك كله باستعارة لطيفة طبقت فيها مفصل التشبيه ، وأفاد كثيرا من الفوائد بلطف الروحي والتشبيه ، فصرح أولا بما أوما اليه في الأخذ بأطراف الاحاديث من أنهم تنازعوا أحاديثهم على ظهور الرواحل وفي حال التوجه الى المنازل ، وأخبر بعد بسرعة السير ووطأة الظهر : إذ جعل سلامة سيرها بهم كالماء تسيل به الأباطح . وكان في ذلك ما يؤكد ما قبله ، لان الظهور اذا كانت وطيفة وكان سيرها السهل السريع زاد ذلك في نشاط الركبان ، ومع ازدياد النشاط يزداد الحديث طيبا .

ثم قال : « بأعناق المطي » ؛ لان السرعة والبطء يظوران غالباً في أعناقها ، ويبين أمرهما من هوائيهما وصدورها ، وسائر أجزائها تستند إليها في الحركة ، وتتبعها في الثقل والخفة ، ويعبر عن المرح والنشاط اذا كانا في أنفسها بأفانيل لها خاصة في العنق والرأس ويدل عليهما بشائيل مخصوصة في المقادير . فقل الآن هل بقيت عليك حسنة تحليل فيها على لفظة من ألفاظها حتى أن فضل تلك الحسنة يبقى لتلك اللفظة ولو ذكرت على الاتسار وأزيلت عن موقعها من نظم الشاعر ونسجه وتأليفه وترصيفه « (٧٢) » .

وتبدو في هذا التحليل نزعة عبد القاهر الادبية ، ورد المزية الى ما بين الالفاظ من اتفاق وارتباط ، وتتضح فكرته في المعنى الذي هو ليس محصولا فكرياً أو عقائياً أو حكمة ومثلاً وفكرة اخلاقية ، وانما هو ما تولد من ارتباط الكلام ببعضه ببعض وما تتج عنه من صور . وهذا التحليل يختلف كل الاختلاف عن تحليل ابن قتيبة (٢٧٦هـ) للآليات ، فقد قال انهما « أحسن شيء مخارج ومطالع ، وان نظرت الى ما تحتها من المعنى وجدته : » ولما قطعنا أيام منى واستلمنا الاركان وءالينا ابلنا الانضاء ، وهضى الناس لا ينتظر انفادي الرائح ابتدأنا في الحديث وسار المطي في الابطح « (٧٣) » . أين هذا من كلام عبد القاهر ؟ لقد نظر الى المعنى وحده فسأب الآليات صياغتها وما فيها من معان جميلة واستعارات رشيقة حينما قال متحدثاً عن أقسام الشعر : « وضرب منه حسن لفظة وحلا فاذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى » وكيف لا تكون فائدة في المعنى وأي فائدة وروعة اكثر مما أفصح عنه عبدالقاهر في تحليله للآليات ؟ وأين كلام ابن جني من كلام عبدالقاهر ؟ لقد تعرض للآليات وهو يتحدث عن تنميق الالفاظ فقال : « فقد ترى الى عار هذا اللفظ ومائه وصقاله

٧٢ - أسرار ص ٢١ - ٢٤ وينظر دلائل ص ٧٤ .

٧٣ - الشعر والشعراء ج ١ ص ٦٧ وينظر تعرض عبدالقاهر لابن قتيبة في تقسيم الشعر وان لم يذكر اسمه في دلائل الاعجاز ص ٣٦٥ .

وتلامح أنحائه ، ومعناه مع هذا ما تحسه وتراه إنما هو : لما فرغنا من الحج
ركبنا الطريق راجعين وتحدثنا على ظهور الابل « (٧٤) » .

ان عبدالقاهر في كل ما عرض ليس من أنصار الالفاظ من حيث هي كلم
مفردة ، وليس من أنصار المعاني بغض النظر عن تجانس الالفاظ وتلاحقها ،
وانما هو من أنصار الصياغة من حيث دلالة هذه الصياغة على جلاء الصورة
الادبية . يقول : « ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة ، وأن
سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يتمع التصوير والصوغ فيه ،
كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار ، فكما ان محالا اذا أنت أردت
النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل وردائه أن تنظر الى الفضة الحاملة
لتلك الصورة أو الذهب الذي وقع فيه ذلك العمل وتلك الصنعة ، كذلك
محال اذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد
معناه وكما أنا لو فضلنا خاتما على خاتم بان تكون فضة هذا أجود أو فضة
أقسى لم يكن ذلك تفضيلا له من حيث هو خاتم ، كذلك ينبغي اذا فضلنا بيتا
على بيت من أجل معناه أن لا يكون تفضيلا له من حيث هو شعر وكلام » (٧٥) .
وجره الحديث الى تميز التفاوت بين صورتين يظنهما الناس ممثلتين لمعنى واحد ،
وذكر أمثلة للصور المختلفة والمعاني المتحدة ، ثم ختم كلامه بقوله : « واعلم
ان قولنا « الصورة » انما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بمقولنا على الذي نراه
بأبصارنا ، فلما رأينا البيئونة بين آحاد الاجناس تكون من جهة الصورة فكان
تبين انسان من انسان ، وفرس من فرس بخصوصية تكون في صورة هذا
لا تكون في صورة ذاك ، وكذلك كان الامر في المصنوعات فكان تبين خاتم من
خاتم ، وسوار من سوار بذلك ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين وبينه في
الاخر بيئونة في عقولنا وفرقا عبرنا عن ذلك الفرق وتلك البيئونة بان قلنا :
« للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذاك » . وليس العبارة عن ذلك

٧٤ - الخصائص ج ١ ص ٢١٨ ، وتنظر ص ٢٨ ، ٢٢٠ ، والمثل السائر ج ١ ص ٣٥٣ ،
اذ نقل ابن الاثير كلام ابن جني . ٧٥ - دلائل ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

بالصورة شيئا نحن ابتدأناه فينكره منكر بل هو مستعمل مشهور في كلام العلماء ويكفيك قول الجاحظ : « وإنما الشعر صياغة وضرب من التصوير »^(٧٦) . والتصوير يزيد في قيمة الكلام ، وقد تكون المعاني غفلا لكنها تكتسب الروعة والجدة بالصياغة يقول : « ان سبيل المعاني سبيل أشكال الحلي كالخاتم والشنف والسوار ، فكما ان من شأن هذه الاشكال أن يكون الواحد منها غفلا ساذجا لم يعمل صانعه فيه شيئا اكثر من أن أتى بما يقع عليه اسم الخاتم إن كان خاتما ، والشنف إن كان شنفاً ، وأن يكون مصنوعا بديعا قد أغرب صانعه فيه ، كذلك سبيل المعاني أن ترى الواحد منها غفلا ساذجا عاميا موجودا في كلام الناس كلهم ثم تراه نفسه وقد عمد اليه البصير بشأن البلاغة واحداث الصور في المعاني ، فصنع فيه ما يصنع الصنع الحاذق حتى يغرب في الصنعة ، ويدق في العمل ، ويبدع في الصياغة . وشواهد ذلك حاضرة لك كيف شئت وأمثله نصب عينيك من أين ظرت تنظر الى قول الناس « الطبع لا يتغير » و « لست تستطيع أن تخرج الانسان عما جبل عليه » فترى معنى غفلا عاميا معروفا في كل جيل وأمة ، ثم تنظر اليه في قول المتنبي :

يُراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل

فتجده قد خرج في أحسن صورة وتراه قد تحول جوهرة بعد أن كان خرزة ، وصار أعجب شيء بعد ان لم يكن شيئا »^(٧٧) .

وعناصر الصورة عنده هي التمثيل والاستعارة والكناية ، وهي لا تبرز الا من خلال النظم يقول : « لان هذه المعاني التي هي الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز من بعدها من مقتضيات النظم وعنه يحدث وبه يكون ، لانه لا يتصور ان يدخل شيء منها في الكلم وهي أفراد لم يتوخ فيها بينها من أحكام النحو »^(٧٨) . ومثل ذلك الوان البديع كالتجنيس ، والسجع ، والحشو ،

٧٦ - دلائل ص ٥٠٨ .

٧٨ - دلائل ص ٣٩٣ .

٧٧ - دلائل ص ٤٢٢ - ٤٢٣ .

والتطبيق لا يرجع جمالها وأثرها الى جرس حروفها ، وانما الى ما فيها من معنى يقتضيه النظم ، ويتوحد اليه المعنى ، يقول : « وهما أقسام قد يتوهم في بدء الفكرة وقبل اتمام العبارة أن الحسن والقبح فيها لا يتعدى اللفظ والجرس الى ما يناعي فيه العقل والنفس . ولها اذا حقق النظر مرجع الى ذلك ومنصرف فيما هنالك ، منها التجنيس والحشو . أما التجنيس فانك لا تستحسن تجانس اللفظين الا اذا كان موقع معنيهما من العقل موقعا حيدا ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا » (٧٩) .

فالالفاظ والمعاني والصور بالنظم ولذلك كان عبدالقاهر يستند في تحليل النصوص اليه ، ومن أمثلة ذلك تحلياه لأبيات البحري :

بلونا ضرائب من قدرى	فما إن رأينا لفتح ضربيا
هو المرء أبدت له الحادثا	ت عزمنا وشيكا ورأيا صليبا
تقل في خلقي سؤدد	سماحا مرجى وبأسا مهيبا
فكالسيف إن جثته صارخا	وكالبحر إن جثته مستشيبا

يقول : « فاذا رأيتها قد راقتك ، وكثرت عندك ، ووجدت لها اهتزازا في نفسك ، فعد فانظر الى السبب واستقص في النظر ، فانك تعلم ضرورة أن ليس الا أنه قدّم وأخّر ، وعرف ونكّر ، وحذف وأضمر ، وأعاد وكرر ، وتوخى على الجملة وجها من الوجوه التي يقتضيها علم النحو فأصاب في ذلك كله ، ثم لطف موضع صوابه وأتى ما تى يوجب الفضيلة . أفلا ترى أن أول شيء يروئك منها قوله : « هو المرء أبدت له الحادثات » ثم قوله : « تنقل في خلقي سؤدد » بتذكير « السؤدد » وإضافة « الخلقين » اليه ، ثم قوله « فكالسيف » وعطفه بالفاء مع حذفه المتبدأ ، لان المعنى لامحالة « فهو كالسيف » ثم تكرير الكاف في قوله : « وكالبحر » ثم أن قرن الى كل واحد من التشبيهين شرطا جوابه فيه ، ثم أن أخرج من كل واحد من الشرطين حالا على

مثال ما أخرج وذلك قوله : « صارخا » هناك و « مستثيا » هنا ؟ لا ترى حسنا تنسبه الى النظم ليس سببه ما عددت ، أو ماهو في حكم ماعددت فاعرف ذلك » . (٨٠)

فهذا التحليل لغوي أظهر مزية الايات وبين مافيهما من نظم بديع واتساق عجيب ، ومثل ذلك يتضح في تحايله للبيت :

سالت عليه شعاب الحي حين دعا أنصاره بوجوه كالدنانير

يقول : « فانك ترى هذه الاستعارة على لطفها وغرابتها ، انما تم لها الحسن ، واتهى الى حيث انتهى بما توخي في وضع الكلام من التقديم والتأخير ، وتجدها قد ملحت ولطفت بمعاونة ذلك ومؤازرته لها . وإن شككت فأعمد الى الجارين والظرف فأزل كلا منها عن مكانه الذي وضعه الشاعر فيه فقل : « سالت شعاب الحي بوجوه كالدنانير عليه حين دعا أنصاره » ثم اظر كيف يكون الحال وكيف يذهب الحسن والحلاوة ؟ وكيف تعدم اريحيتك التي كانت ؟ وكيف تذهب النشوة التي كنت تجدها » (٨١) .

الثانية : الذوق والاحساس الروحاني ، وقد أولى عبدالقاهر هذا الجانب عناية كبيرة وأكد انه لا بد للناقد من ذوق رفيع يؤهله لفهم النص وادراك مافيه من معان وصور وجمال ، وليس كل من عرف شيئا في اللغة والنحو والادب بقادر على تحليل النص وسبر أغواره ، وكم من عالم لا يدرك مافي الكلام من هزة ونشوة ، ولا ينفع معه التنبيه أن به ولا التفسير ان شرح النص وأشير الى مجاسنه ، يقول : « فليس الداء فيه بالهين ولا هو بحيث اذا رمت العلاج منه وجدت الامكان فيه مع كل أحد مسعفا والسعي منجحا ، لان المزايما التي تحتاج أن تعلمهم مكانها ، وتصور لهم شأنها أمور خفية ومعان روحانية أنت لا تستطيع أن تنبه السامع لها وتحدث له علما بها حتى يكون مهيا لادراكها ، وتكون فيه طبيعة قابلة لها ، ويكون له ذوق وقريحة يجد لهما في نفسه إحساسا بان من

شأن هذه الوجوه والفروق أن تعرض فيها المزية على الجملة، ومن اذا تصفح الكلام وتدبر لشعر فرَّق بين موقع شيء منها وشيء» (٨٢). وهذا الاحساس قليل في الناس يقول : « فليست تملك من أمرك شيئا حتى تظفر بمن له طبع اذا قدحته وري ، وقلب اذا أريته رأى ، فأما وصاحبك من لا يرى ماتريه ولا يهتدي للذي تهديه ، فأنت رام معه في غير مرمى » (٨٣). ويؤكد أثر صفاء القريحة ، وصحة الذوق ، وتمام الآلة . في تذوق النص وتقده ، يقول : « ان البلاء والداء العياء أن ليس علم الفصاحة وتمييز بعض الكلام من بعض بالذي تستطيع أن تفهمه من شئت ومتى شئت ، وأن لست تملك من أمرك شيئا حتى تظفر بمن له طبع اذا قدحته وري ، وقلب اذا أريته رأى ، فأما وصاحبك من لا يرى ماتريه ولا يهتدي للذي تهديه فأنت معه كالنافخ في الفحم من غير فار ، وكالملتس الشم من أخشم . وكما لا تقيم الشعر في نفس من لا ذوق له كذلك لا يفهم هذا الباب من لم يؤت الآلة التي بنا يفهم » (٨٤) .

ويقول : « انه لا يصادف القول في هذا الباب موقعا من السامع ولا يجد لديه قبولا حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة ، وحتى يكون ممن تحدثه نفسه بان لما يؤمى اليه من الحسن والاطف أصلا ، وحتى يختلف الحال عليه عند تأمل الكلام فيجد الأريحية تارة ويعرى منها أخرى ، وحتى إذا عجبته عجب ، واذا نبهته لموضع المزية اتبه . فأما من كان الحالان والوجهان عنده أبدا على سواء ، وكان لا يتفقد من أمر النظم الا الصحة المطلقة ، والا اعرابا ظاهرا فما أقل ما يجدي الكلام معه . فليكن من هذه صفته عندك بمنزلة من عدم الاحساس بوزن الشعر والذوق الذي يقيمه به ، والطبع الذي يميز صحيحة من مكسوره ومزاحفه من ساله ، وما خرج من البحر مما لم يخرج منه ، في انك لاتصدى له ولا تتكلف تعريفه لعلك انه قد عدم الأداة التي معها يعرف

والحاسة التي بها يجد ، فليكن قد حك في زندواره ، والحك في عود أنت
تطمع منه في نار^(٨٥) » . ويقول : « وهذا موضع في غاية اللطف لا يبين الا اذا كان
المتصفح للكلام حساسا يعرف وحي طبع الشعر وخفي حركته التي هي كالخلس
وكمصرى النفس في النفس^(٨٦) » .

وكان عبدالقاهر في تحليله للآيات الشعرية ينبه المتلقي ليشاركه لذة
النص ، وهو في هذا يضرب على أوتار النفس تهتز عند تلقي الكلام يقول :
« فاعمد الى ما توافوه بالحسن ، وتشاهدوا له بالفضل ثم جملوه كذلك من
أجل النظم خصوصا دون غيره مما يستحسن له الشعر أو غير الشعر من معنى
لطيف ، أو حكمة ، أو أدب أو استعارة أو تجنيس أو غير ذلك مما لا يدخل في
النظم ، وتأمله فاذا رأيتك قد ارتحت واهتزت واستحسنْتَ فانظر الى حركات
الاريفية مما كانت وعند ماذا ظهرت ؟ فانك ترى عيانا أن الذي قلت لك كما
قلت^(٨٧) » . فالذوق عمدة النقد وزاد الناقد ، ولا يشترط أن يعال الناقد ويحلل
وانما قد يكتفي بالإشارة الى ما في النص من ملاحه وجمال ، يقول : « انك
ترى اللفظة المستعارة قد استعيرت في عدة مواضع ثم ترى لها في بعض ذلك
ملاحه لا تجدها في الباقي . مثال انك تنظر الى لفظة « الجسر » في قول
أبي تمام :

لا يطمح المرء أن يجتاب لجته بالقول مالم يكن جسرا له العمل
وقوله :

بصرت بالراحة العظمى فلم تَرَها تنال الاعلى جسر من التعب
فترى لها في الثاني حسنا لاتراه في الاول ، ثم تنظر اليها في قول
ربيعه الرقسي :

قولي نعم ونعم إن قلت واجبة قالت : عسى وعسى جسر الى نعم
فترى لها لطفا وخلافة وحسنا ليس الفضل فيه بقليل^(٨٨) » .

٨٦ - أسرار ص ٢٨٣ .

٨٥ - دلائل ص ٢٩١ .

٨٨ - دلائل ص ٧٨ - ٧٩ .

٨٧ - دلائل ص ٨٤ - ٨٥ .

وعبدالقاهر يرجع الى الذوق كثيرا وإن أشار الى علة الجودة والحسن ، فهو في البيتين :

سريع الى ابن العم يطم وجهه وليس الى داعي الندى سريع

حريص على الدنيا مضيع لدينه وليس لما في بيته بمضيع

وغيرهما يقول : « فتأمل الآن هذه الايات كلها واستقرها واحدا واحدا ، وانظر الى موقعها في نفسك والى ما تجده من النطف والظرف اذا أنت مررت بموضع الحذف منها ، ثم فليت النفس عما تجد ، والطفة النظر فيما تحس به ، ثم تكلف أن ترد ما حذف الشاعر وأن تخرجه الى لفظك وتوقعه في سمعك ، فانك تعلم أن الذي قالت كما قلت وان ربَّ حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد^(٨٩) » . فبعدالقاهر اتخذ من الذوق وسياسة للوقوف على روعة النص وجودته ، وكان في تحليله ينبه على مواطن الجمال ، وهو في ذلك يولي التأثير النفسي عناية كبيرة ، ومما يوضح هذه المسألة موقعه من التمثيل الذي أطلال الكلام عليه ونبه على سر جماله وتأثيره ، ومواطن الجودة والروعة فيه ، يقول : « إنَّ مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل اذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ، ونقلت عن صورها الاصلية الى صورته ، كساها أبية ، وكسبها منقبة ، ورفع من أقدارها ، وشب من نازرها ، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب اليها ، واستثار لزا من أقاصي الافئدة صباية وكلفا ، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا »^(٩٠) . ويضرب أمثلة كثيرة لتحقيق فكرته ، وتأكيد أهمية التمثيل ، يقول : « فتأمل بيت أبي تمام :

واذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

مقطوعا عن البيت الذي يليه والتمثيل الذي يؤديه ، واستقص في تعرف

قيمه على وضوح معناه وحسن بزمه ثم اتبعه اياه :

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عَرَف العود

واظر هل نشر المعنى تمام حاته ، وأظهر المكثون من حسنه وزينته وعطرك بعرف عوده ، وأراك النظرة في عوده ، وطلع عليك من مطالع سعوته واستكمل فضله في النفس ونبله ، واستحق التقديم كله الا بالبيت الاخير وما فيه من التمثيل والتصوير^(٩١) » فعبداقاهر اهتتم بالذوق في ابراز أهمية التمثيل وقيمته الجمالية وفعل مثل ذلك في معظم النصوص ، وبذلك كان ناقدا يستند الى القاعدة حينما يحال ويعلل ، والى الذوق حينما يدعو الى استبطان النص والتأثر به .

لقد انطقت في نقد النص من التحليل اللغوي المعتمد على نظرية النظم التي ربط بها الالفاظ والمعاني والصور ، ومن الذوق أو الاحساس الروحاني .

(٤)

واتخذ عدة وسائل في نقده منها :

١ - التعايل : وذلك أن النقد ليس استحسانا أو استهجانا فحسب ، وإنما هو تحليل وتعليل ، ولا بد أن يذكر الناقد أسباب جودة النص وروعه أو رداءته وهبوطه . وقد أكد عبداقاهر هذه المسألة كثيرا ، يقول لمن يظن أن النقد هو الاكتفاء بالاشارة الى النظم والترتيب والنسج : « بقي أن تعلمونا مكان المزية في الكلام وتصفوها لنا وتذكروها ذكرا كما ينص الشيء ويعين ويكشف عن وجهه ويبين ولا يكني أن تقولوا : « إنه خصوصية في كيفية النظم وطريقة مخصوصة في نسق الكلم بعضها على بعض » حتى تصفوا تلك الخصوصية وتبينوها وتذكروا لها أمثلة وتقولوا : « مثل كيت وكيت » كما يذكر لك من تستوصفه عمل الديباج المنقش ماتعلم به وجه دقة الصنعة ، أو يعمل بين يديك حتى ترى عيانا كيف تذهب تلك الخيوط وتجيء ؟ وماذا يذهب منها طولا وماذا يذهب منها عرضا ؟ وبم يبدأ وبم يشي وبم يثا ؟ وتبصر من الحساب الدقيق ومن عجيب تصرف اليد ماتعلم معه مكان الحدق وموضع الاستاذية »^(٩٢) .

ويقول : « انه لابد لكل كلام تستحسنه ولفظ تستجيده من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة وعلة معقولة وأن يكون لنا الى العبارة عن ذلك سبيل وعلى صحة ما ادعيناه من ذلك دليل » (٩٣) . ويؤكد هذه المسألة في مواطن كثيرة ، ويدعو الى المعرفة وذكر الاسباب يقول : « انه ليس اذا لم تمكن معرفة الكل وجب ترك النظر في الكل وان تعرف العلة والسبب فيما يمكنك معرفة ذلك فيه وان قل فتجعله شاهدا فيما لم تعرف أخرى من أن تسد باب المعرفة على نفسك وتأخذها عن الفهم والتفهم وتعودها الكل والهويناء » (٩٤) . هذا هو اساس ما يدعو اليه ولكنه لا يلتزم به ففي كتابيه « دلائل الاعجاز » و « اسرار البلاغة » كثير من الاستحسان او الاستهجان من غير تعليل .

٢ - التفسير : وقد يكتفي احيانا بتفسير النص ليظهر معناه ويعرضه واضحا جليا ، ومن ذلك تعليقه على الايات : « ولما قضينا من معنى كل حاجة » فقد أوضح ما فيها من معانٍ و « استعارة وقعت موقعها وأصابت غرضها أو حسن ترتيب تكامل معه البيان حتى وصل المعنى الى القلب مع وصول اللفظ الى السمع » (٩٥) .

ومنه تفسيره للبيت :

سالت عليه شعاب الحي حين دعا أنصاره بوجوه كالدنانير

يقول : « أراد أنه مطاع في الحي ، وأنهم يسرعون الى نصرته ، وأنه لا يدعوهم لحرب أو نازل خطب الا أتوه ، وكثروا عليه ، وازدحموا حواليه حتى تجدهم كالسيول تجيء من ههنا وههنا ، وتنصب من هذا المسيل وذلك حتى يفص بها الوادي ويطفح منها » (٩٦) .

٩٣ - دلائل ص ٤١ . ٩٤ - دلائل ص ٢٩٢ .

٩٥ - اسرار ص ٢٢ ، وينظر دلائل ص ٧٤ .

٩٦ - دلائل ص ٧٥ ، وينظر تفسيره لبعض الايات ص ١٢٩ ، ١٥٨ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٦٨ .

وقد يفسر ويعمل ومن ذلك كلامه على المجاز الحكي أو العقلي في بيت الخنساء :

ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي إقبال وإدبار

يقول : « وذاك أنها لم ترد بالاقبال والادبار غير معناهما ، فتكون قد تجوزت في نفس الكلمة ، وانما تجوزت في أن جعلتها لكثرة ما تقبل وتدبر ولغلبة ذاك عليها واتصاله منها وانه لم يكن لها حال غيرهما كأنها قد تجسمت من الاقبال والادبار • وانما كان يكون المجاز في نفس الكلمة لو انها كانت قد استعارت « الاقبال والادبار » لمعنى غير معناهما الذي وضع له في اللغة • ومعلوم أن ليس الاستعارة مما أرادته في شيء » (٩٧) •

٣- التفصيل : وهو سمة من سمات النص الجيد ، يقول : « ان معرفة الشيء من طريق الجملة غير معرفته من طريق التفصيل » (٩٨) • ويقول : « إن الجملة أبداً أسبق الى النفوس من التفصيل ، وانك تجد الرواية نفسها لاتصل بالبديهة الى التفصيل ولكنك ترى بالنظر الاول الوصف على الجملة ثم ترى التفصيل عند اعادة النظر ولذلك قالوا : « النظرة الاولى حمقاء » وقالوا : « لم ينعم النظر ولم يستقص لتأمل » وهكذا الحكم في السمع وغيره من الحواس •• واذا كانت هذه العبرة ثابتة في المشاهدة وما يجري مجراها مما تناله الحاسة فالامر في القلب كذلك ، تجد الجمل أبداً هي التي تسبق الى الاوهام وتقع في الخاطر أولاً وتجد التفاصيل مغمورة فيما بينها ، وتراها لاتحضر الا بعد إعمال للروية واستعانة بالتذكر » (٩٩) • فالتقد ليس نظرة عابرة أو كلاماً مجملاً ، وانما هو إعمال الروية والفكر ، والتأمل في النص ، والوقوف على قيمته ، يقول : « انك لاتشفي العلة ولا تنتهي الى ثاج اليقين حتى تتجاوز حد العلم بالشيء مجملاً الى العلم به مفصلاً ، وحتى لايقنعك الا النظر في زواياه والتغفل في

٩٨ - اسرار ص ١٤٣ •

٩٧ - دلائل ص ٣٠٠ - ٣٠١ •

٩٩ - اسرار ص ١٤٧ •

مكامله ، وحتى تكون كمن تتبع الماء حتى عرف منبعه ، وانتهى في البحث عن جوهر العود الذي يصنع فيه الى أن يعرف منبته ، ومجرى عروق الشجر الذي هو منه « (١٠٠) . ولكن عبدالقاهر لا يميل الى الافراط في التمثل والتأويل وتحميل النص اكثر مما يحتمل ، يقول : « فاما الافراط فما يتعاطاه قوم يحبون الاغراب في التأويل ، ويحرصون على تكثير الوجوه ، وينسون أن احتمال اللفظ شرط في كل ما يعدل به عن الظاهر . فهم يستكثرون الالفاظ على ما لا تقله من المعاني ، يدعون السليم من المعنى الى السقيم ، ويرون الفائدة حاضرة قد أبدت صفحاتها ، وكشفت قنائها ، فيعرضون عنها حبا للتشوف ، أو قصدا الى التسمويه ، وذهابا في الضلالة » (١٠١) . ويقول : « وليس التسف الذي يرتكبه بعض من يجول التأويل من جنس ما يقصده أو لو الألفاظ وأصحاب الاحاجي ، بل هو شيء يخرج عن كل طريق ويباين كل مذهب ، وانما هو سوء نظر منهم ووضع الشيء في غير موضعه ، واخلال بالشرطة ، وخروج عن القانون ، وتوهم أن المعنى اذا دار في نفوسهم ، وعقل من تفسيرهم فقد فهم من لفظ المفسر ، وحتى كأن الالفاظ تنقلب عن سجيتهما ، وتزول عن موضوعها ، فتحمل ما ليس من شأنها ان تحتمله ، وتؤدي ما لا يوجب حكمها أن تؤديه » (١٠٢) .

٤ - الموازنة : وهي وسيلة من وسائل نقد عبدالقاهر اذ بها تتضح قيمة النص ، ومن ذلك موازنته بين قول بشار :

كأن مثارَ النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وقول المتنبي :

يزور الاعادي في سماء عجاجة أسنته في جانبيها الكواكب

أقول كلثوم بن عمرو :

تبني سناكبها من فوق رؤوسهم سقنا كواكبه البيض المباتير

يقول : « التفصيل في الايات الثلاثة كأنه شيء واحد ؛ لان كل واحد منهم يشبه لمعان السيوف في الغبار بالكواكب في الليل ، إلا أنك تجد لبيت بشار من الفضل ومن كرم الموقع ولطف التأثير في النفس مالا يـُـتـل مقداره ولا يمكن انكاره ، وذلك لانه راعى مالم يراعه غيره وهو أن جعل الكواكب تهاوى ، فأتمَّ الشبه ، وعبر عن هيئة السيوف وقد ساتت من الاغماد وهي تعاو وترسب ، وتجيء وتذهب ، ولم يقتصر على أن يريك لمعانها في أثناء العجاجة كما فعل الآخرون ، وكان لهذه الزيادة التي زادها حظ من الدقة تجعلها في حكم تفصيل بعد تفصيل ، وذلك انا وإن قلنا ان هذه الزيادة — وهي افادة هيئة السيوف في حركاتها — انما أتت في جملة لا تفصيل فيها فان حقيقة تلك الهيئة لا تقوم في النفس الا بالنظر الى اكثر من جهة واحدة ، وذلك ان تعلم ان لها في حال احتدام الحرب واختلاف الأيدي بها في الضرب اضطرابا شديدا وحركات بسرعة ، ثم ان لتلك الحركات جهات مختلفة وأحوالا تنقسم بين الاعوجاج والاستقامة والارتفاع والانخفاض ، وان السيوف باختلاف هذه الامور تتلاقى وتتداخل ، ويقع بعضها في بعض ، ويصدم بعضها بعضا ، ثم ان أشكال السيوف مستطيلة ، فقد ظم هذه الدقائق كلها في نفسه ثم أحضرك صورها بلفظة واحدة ، ونبه عليها بأحسن التنبيه واكمله بكامة وهي قوله : « تهاوى » لان الكواكب اذا تهاوت اختلفت جهات حركاتها وكان لها في تهاويها تواقع وتداخل ثم انها بالتهاوي تستطيل أشكالها فاذا لم تزل عن أماكنها فهي على صورة الاستدارة » (١٠٢) .

ووظف الموازنة في دراسة السرقات الشعرية ، وذكر أمثلة كثيرة تقوم على الموازنة بين المعنى المتحد واللفظ المتعدد ، أي الذي يكون المعنى في أحد البيتين غفلا وفي الآخر مصورا مصنوعا ، مثال ذلك قول المتنبي :

بئس الليالي سميت من طربي شوقا الى من يبيت يرقدها

مع بيت البحري :

ليل يصادفني ومرهفة الحشا ضدين أسهره لها وتنامه

والموازنة بين الشعرين والاجادة فيهما من الجانبين ، أي : أن في كل واحد من البيتين صنعة وتصويرا ومن ذلك قول لبيد :

واكذب النفس اذا حدثتها إن صدق النفس يزري بالامل

مع قول فافع بن لقيط :

واذا صدقت النفس لم تترك لها أملا ويأمل ما اشتهى المكذوب

ولم يوضح الاختلاف بين النصوص وانما اكتفى بقوله : « وقد أردت أن اكتب جملة من الشعر الذي أنت ترى الشاعرين فيه قد قالوا في معنى واحد ، وهو ينقسم قسمين : قسم أنت ترى أحد الشاعرين فيه أتى بالمعنى غفلا ساذجا ، وترى الآخر قد أخرجه في صورة تروق وتعجب . وقسم أنت ترى كل واحد من الشاعرين قد صنع المعنى وصور » (١٠٤) .

وهذا الموقف انكار للسرقة اذا لم تكن نسخا أو مسخا ، لان عبدالقاهر يؤمن بان لا سبيل الى اداء المعنى نفسه في عبارتين (١٠٥) ، و « لا سبيل الى أن تجيء الى معنى بيت من الشعر أو فصل من النثر فتؤديه بعينه وعن خاصيته وصفته بعبارة أخرى حتى يكون المفهوم من هذه هو المفهوم من تلك » (١٠٦) وذلك لتغير النظم يقول : « اذا تغير النظم فلا بد من أن يتغير المعنى » (١٠٧) . أي « أن المعنى ينقل من صورة الى صورة » (١٠٨) كما نقل ابو نواس معنى بيت النابغة :

اذا ماغزا بالجيش حطّق فوقه عصائب طير تهدي بعصائب

١٠٤ - دلائل ص ٤٨٩ .

١٠٦ - دلائل ص ٢٦١ .

١٠٥ - دلائل ص ٢٥٨ .

١٠٨ - دلائل ص ٥٠٢ .

١٠٧ - دلائل ص ٢٦٥ .

من صورته هذه الى صورة أخرى هي :

تأبى الطير غدوته ثقة بالشبع من جزره

وقد صدر عبدالقاهر في هذه الموازنة عن نظرية النظم التي اتخذها مقياسا للنصوص ، ولذلك لم يحكم على السرقعة بالمعاني العامة او بالالفاظ ، وانما بترتيب الكلام واخراجه في صورة جديدة ، وان بيت الشعر لو غيرت كلماته ووضعت وضعا آخر لسقطت نسبته الى الشاعر ، وبهذا الرأي حل مشكلة السرقات التي اهتم بها النقاد والبلاغيون .

(٥)

ومن مقاييس عبدالقاهر في نقد النص :

١ - أن يكون النص حسن السبك قد توخى صاحبه فيه معاني النحو واتحدت اجزأؤه حتى وضع وضعا واحداً ، « وهذا هو النمط العالي والباب الاعظم الذي لا ترى سلطان المزية يعظم في شيء كعظمه فيه » (١٠٩) وأمثله كثيرة ومن ذلك قول الفرزدق :

والشيب ينهض في الشباب كأنه ليل يصيح بجانبه نهار

وبخلاف هذا فهو مما يوصف بفساد النظم ، كقول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حيّ أبوه يقاربه

وقد عيب هذا البيت من جهة سوء التأليف ، والفساد والخلل فيه كانا « من أن تعاطى الشاعر ما تعاطاه من هذا الشأن على غير الصواب وصنع في تقديم أو تأخير ، أو حذف واضمار ، أو غير ذلك مما ليس له أن يصنعه ، وما لا يسوغ ، ولا يصح على أصول هذا العلم » (١١٠) .

وموضوعات علم المعاني التي بحثها عبدالقاهر في « دلائل الاعجاز » تدخل في النظم لأنها توحي معاني النحو كالتقديم والتأخير ، والحذف والذكر ، والتعريف والتكثير ، والفصل والوصل . وهذه الاساليب من أسباب الشعرية أو النص الرائع اذا حصل فيها انزياح وتكشف ماوراءها من معان جديدة وصور بديعة .

٢ - أن يثير النص المتلقي ويبحث في نفسه لذة تجعله يهتز طربا ، ويضع تأثير النص قبل تحليله ومعرفة ما فيه من اسباب جعلت المتلقي يهتز ويجد فيه نشوة وممتعة كبيرتين . يقول « واذا قد عرفت ذلك فاعمد الى ماتواصفوه بالحسن ، وتشاهدوا له بالنצל ، ثم جعلوه كذلك من اجل النظم خصوصا دون غيره مما يستحسن له الشعر او غير الشعر من معنى لطيف ، أو حكمة ، أو أدب ، أو استعارة ، أو تجنيس ، أو غير ذلك مما لا يدخل في النظم ، وتأمله فاذا رأيتك قد ارتحت واهترزت واستحسنْتَ فاطر الى حركات الاريحية مم كلنت ؟ وعندما ذا ظهرت » (١١) . والصيغة الرفيعة والصور الجميلة والمعاني اللطيفة هي التي تجعل المتلقي يهتز طربا قبل ان يعرف أسباب الطرب ودوافع الهزة التي تغريه إن كان ممن لهم ذوق رفيع واحساس روحاني . ويشير عبدالقاهر الى مايعتري المتلقي وهو يسمع نصا أو يقرأه من وهم أو تخيل مرده الصدمة الاولى التي تستفز وتثير . يقول : « أتراك استضعفت تجنيس أبي تمام في قوله :

ذَهَبَتْ بِمَذْهَبِ السَّاحَةِ فَالتَوَتْ فِيهِ الظُّنُونُ أَمْ مَذْهَبُ أَمْ مَذْهَبُ ؟
واستحسنْتَ تجنيس القائل :

حتى نجا من خوفه ومانجا .

وقول المحدث :

ناظراه فيما جنى ناظراه أَوْدَعَانِي أَمْتُ بَمَا أَوْدَعَانِي

لأمر يرجع الى اللفظ أم لانك رأيت الفائدة ضعفت عن الاول وقويت في الثاني ؟ ورأيتك لم يزدك بمذْهَب ومذْهَب عاى أن أسمعك حروفاً مكررة تروم لها فائدة فلا تجدها إلا مجهولة منكورة ، ورأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخذلك عن الفائدة وقد أعطاهما ، ويوهبك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاهما . فهذه السريرة صار التجنيس وخصوصا المستوفى منه المتفق في الصورة من حاشى الشعر ومذكوراً في أقسام البديع « (١١٢) » .

٣ - أن يكون النص مغلقاً لا يعطي قياده بسهولة ويسر ، وقد كان عبدالقاهر يرى أن التباعد في الربط بين الشيئين يكون أحسن وأعجب ، يقول : « إن لتصوير الشبه من الشيء في غير جنسه وشكله والتقاط ذلك له من غير محالته واجتلابه اليه من البتّ البعيد باباً آخر في الظرف والالطف ومذهباً من مذاهب الاحسان ... وهكذا اذا استقرت التشبيهات وجدت التباعد بين الشيئين كلما كان أشد كانت الى النفوس أعجب وكانت النفوس لها أطرب وكان مكانها الى أن تحدث الاريحية أقرب ، وذلك ان موضع الاستحسان ومكان الاستظراف والمثير للدفين من الارتياح والمتألف للنافر من المسرة والمؤلف لأطراف البهجة انك ترى بها الشيئين مثلين متباينين ومؤلفين مختلفين ، وترى الصورة الواحدة في السماء والارض وفي خلقه الانسان وخلال الروض ، وهكذا طرائف تنال عليك اذا فصّلت هذه الجملة وتتبع هذه اللمحة ولذلك تجد تشبيه البنفسج في قوله :

كأنها فوق قامات ضعفن بها أوائل النار في أطراف كبريت

ولا زوردية تزهو بزرقتهما بين الرياض على حُمر اليواقيت

أغرب وأعجب ، وأحق بالولوع وأجدر من تشبيه النرجس « بمداهن درخشوهن عتيق » لانه اراك شهما لنبات غض يرف ، وأوراق رطبة ترى الماء منها يشف من لهب نار في جسم مستول عليه اليبس ، وباد فيه الكلف . وببنى

الطباع وموضوع الجبلۃ علی أن الشیء اذا ظور من مكان لم یعهد ظهوره منه وخرج من موضع لیس بمعدن له كانت صباۃ النفوس به اكثر وكان بالشغف منها أجدر» (١١٣) فالغموض من موجبات التفضیل ، والغرابۃ من أسباب الشعریة ، والنص الجید هو الذی « یحوجك الی طلبه بالفکرۃ ، وتحریك الخاطر له ، والهمۃ فی طلبه ، وما كان منه ألطف كان امتناعه علیك اكثر ، وإبائؤه أظهر ، واحتجابه أشد . ومن المركوز فی الطباع أن الشیء اذا نیل بعد الطالب له أو الاشتیاق الیه ومعاناة الحین نحوه كان نیله أحلى وبالمزیة أولى فكان موقعه من النفس أجل وألطف وكانت به أضن وأشغف» (١١٤) .

والغموض لیس التعقید ، وقد أحسَّ عبدالقاهر بما یعترض به علیه فقال : « فان قلت : فیحجب عاى هذا أن یكون التعقید والتعمیة ما یکسب المعنى غموضا مشرفا له وزائدا فی فضله ... فالجواب انی لم أرد هذا الحد من الفکر والتعب وانما اردت القدر الذی یحتاج الیه » (١١٥) وهذا بخلاف التعقید الذی « كان مذموما لاجل أن اللفظ لم یرتب الترتیب الذی بمثله تحصل الدلالة عاى الغرض حتی احتاج السامع الی أن یطاب المعنى بالحیلة ویسعى الیه من غیر الطریق » (١١٦) . ویفیض فی ایضاح رأیه فیقول « المعقد من الشعر والکلام لم یذم لانه تقع حاجة فیله الی الفکر عاى الجملة ، بل لان صاحبه یعثر فکرك فی متصرفه ، ویشیک طریقتك الی المعنى ، ویوعر مذهبك نحوه ، بل ربما قسم فکرك ، وشعب ظنك حتی لاتدری من أين تتوصل وکیف تطلب » (١١٧) . فالغموض لیس التعقید الذی « یستهلك المعنى » (١١٨) . وانما هو ما كان دون ذلك ، أی أن النص لا یعرض سافرا وانما یحتاج الی الغوص فی ادراک معناه والوقوف علی سره ، وهو الغموض الشفاف الذی لا یأتی من غرابۃ الالفاظ وفساد النظم ، وانما من الغوص عاى المعانی ، واعطاء العبارة

١١٤ - أسرار ص ١٢٦ .

١١٦ - أسرار ص ١٢٩ .

١١٨ - دلائل ص ٢٧١ .

١١٢ - أسرار ١١٥ - ١١٧ .

١١٥ - أسرار ص ١٢٧ .

١١٧ - أسرار ص ١٣٥ .

ظلالا توحى بالكثير من معنى بحيث تذهب النفس كل مذهب في استخلاصها ، وهو من ملاحج الشعر الرائع البديع •

٤ - أن تألف المتنافرات والمتباينات وهو انتضاد الذي يجسد النجوة في الشعر ويولد من التميز صورا بديعة • يقول عبدالقاهر : « وانما الصنعة والحدق والنظر الذي يطف ويبدق في أن تجمع أعتاق المتنافرات والمتباينات في ربة ، وتعتقد بين الاجنبيات معاهد نسب وشبكة ، وما شرفت صنعة ولا ذكر بالفضيلة عمل إلا لانيما يحتاجان من دقة الفكر ولطف النظر ونفاذ الخاطر الى ما لا يحتاج اليه غيرهما ، ويحتكمان على من زاويتيها والطالب لهما من هذا المعنى ما لا يحتكم ما عداهما ، ولا يتضيان ذلك إلا من جهة ايجاد الائتلاف في المختلغات وذلك بيّن لك فيما تراء من الصناعات وسائر الاعمال التي تنسب الى الدقة ، فانك تجد الصورة المعمولة فيما كلما كانت أجزاؤها أشد اختلافا في الشكل والهيئة كان التلاؤم بينها مع ذلك أتم ، والائتلاف أبين كان شأننا أعجب والحدق لمصورها أوجب » (١١٩) •

٥ - ان تكون صور النص بارعة ، والمجاز هو الذي يصنع الصور ويجاوها لانه يقوم على التخيل (١٢٠) ، ويتمثل المجاز في التشبيه والتشيل والاستعارة والكناية • واللغة المجازية تبرز الكلام « أبداً في صورة مستجدة » و « تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر ، وتجنّي من الغصن الواحد أنواعا من الثمر » وبنّا « ترى انجماد حيا ناطقا ، والأعجم فصيحاً ، والاجسام الخرس مبينة » وهي « تريك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا القتل كأنها قد جست حتى رأتها العيون » وتلطف « الاوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لاتتألف الا الظنون » (١٢١) •

١١٩ - اسرار ص ١٣٦ ، وتنظر ص ١٣٨ وما بعدها •

١٢٠ - ينظر كلام عبد القاهر على التخيل في اسرار البلاغة ص ٢٤٩ وما بعدها وص ٢١٦ •

١٢١ - اسرار ص ٤١ •

ويكرن التشبيه من أسباب الشعرية اذا حدث فيه تفاوت بين المشبه والمثبه به وحصل اختلاف (١٢٢) كبير . والتمثيل « يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر لك بعد ما بين المشرق والمغرب ، ويجمع ما بين المثلث والمربع ، وهريرك للمعاني الممثلة بالالوهام شبيها في الاشخاص الماثلة والاشباح الثامنة ، وينطق لك الاخرس وينطق البيان من الاعجم ويريك الحياة في الجماد ويريك التمام عين الاضداد فيأتيك بالحياة والموت مجتمعين » (١٢٣) .

والاستعارة « أمد ميدانا ، وأشد افتتانا ، واكثر جريانا ، واعجب حسنا واحسانا ، وأوسع سعة ، وأبعد غورا ، وأذهب نجدا في الصناعة وغورا من ان تجمع شعبها وشعوبها ، وتحصر فنونها وضروبها . نعم وأسحر سحرا ، وأملأ بكل ما يملأ صدرا ، ويمتدح عقلا ، ويؤنس نفسا ، ويرفر أنسا ، وأهدى الى ان تندي اليك أبدا عذارى قد تخير لنا الجمال وعني بها الكمال ، وأن تخرج لك من بحرها جواهر إن باهتها الجواهر مدت في الشرف والفضيلة باعا لا يتصر ، وأبدت من الاوصاف الجالية محاسن لا تنكر ، وردت تلك بصفرة الخجل ، ووكنتها الى نسبتنا من الحجر ، وأن تثير من معدنها تبراً لم تر مثله ، ثم تصوغ فيها صياغات تعطل الحلي ، وتريك الحلي الحقيقي » (١٢٤) .

والكناية والتعريض والرمز والتأويل تحرف الكلام عن طبيعته وتخلق صورة جديدة وتكسبه رونقا (١٢٥) . وليست المزية لهذه الالوان « على الكلام المتروك على ظاهرة ، والمبالغة التي تدعى لها في أنس المعاني التي يقصد المتكلم اليها بخبره ، ولكنها في طريق إباته لها وتقريره إيها » (١٢٦) ، وبذلك تكون قادرة على الابداع والابتكار ، شأنها في ذلك شأن ألوان التصوير التي تزيد في قيمة النص وترفع من قدره (١٢٧) .

- | | |
|--------------------------|--------------------------|
| ١٢٢ - ينظر اسرار ص ١١٦ . | ١٢٣ - اسرار ص ١١٨ . |
| ١٢٤ - اسرار ص ٤٠ . | ١٢٥ - ينظر اسرار ص ٣١٠ . |
| ١٢٦ - دلائل ص ٧١ . | ١٢٧ - ينظر اسرار ص ٢٥ . |

لقد انطاق عبدالناهر في نقد النص من نظرية النظم ، والذوق والاحساس الروحاني ، وكان منهجه منبجا لغويا تحليليا ينبع من داخل النص لامن خارجه ، وهذه سمة النقد العربي القديم اذ لم يعرف الناقد ماءرُف بما حول النص • ولم يكن نقده جزئيا فحسب وانما كان يعمد الى النطعة فيحللها ، ويربط بين أجزائها متخذاً من التحليل اللغوي سبيلا ، لانه كان مؤمنا بان البيت ربما لا يكون دالا على المعنى والمرض ، وقد يؤدي اقتطاع البيت من القصيدة الى الاغتراب • وكان يؤمن بالقراءات المتعددة للنص الواحد ، فربما افتتح النص المغايات في القراءة الثانية او الثالثة ، ولا بد من بذل الجهد في نقد النص ونك مغاليقه • وهو قبل أن يدخل في مسارب النقد دافع عن البيان والنحو والشعر ودفع شبهة الزاهدين فيها ، ثم أرسى نظرية النظم وأكد أهمية الذوق ، واتخذ وسائل في نقد النص الى جانب التحليل اللغوي والتذوق منها : التعليل والتفسير والتفصيل والموازنة ، وأرسى بعض المقاييس التي تتجلى في جودة سبك النص ، وتأثيره في المتلقي ، وغموضه ، وجمعه بين المتنافرات والمتباينات ، وحسن تصويره وبديع انزياحه •

ولا تبعد كتب النقد الحديثة عما أرساه عبدالقاهر وإن اختلفت التسميات وأساليب العرض والتحليل ، وبذلك تبقى قيمة كبيرة لهذا الناقد الذي يعد من مفاخر العرب والمسلمين ، ويبقى كتاباه « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة » من معالم النقد الأصيل •



- ١ - اسرار البلاغة - عبدالقاهر الجرجاني . تحقيق هـ . ريتز .
استانبول ١٩٥٤ م .
- ٢ - اعجاز القرآن - ابو بكر محمد بن الطيب البلاقلاني . تحقيق احمد صقر .
القاهرة - دار المعارف .
- ٣ - تاج العروس من جواهر القاموس - محمد مرتضى الزبيدي .
- ٤ - التعريفات - علي بن محمد الشريف الجرجاني - بيروت ١٩٨٥ م .
- ٥ - الخصائص - ابو الفتح عثمان بن جني . تحقيق محمد علي النجار . القاهرة
١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .
- ٦ - دلائل الاعجاز - عبدالقاهر الجرجاني . تحقيق محمود شاكر . القاهرة
١٩٨٤ م .
- ٧ - الرسالة الشافية - عبدالقاهر الجرجاني . ضمن دلائل الاعجاز طبعة : محمود
محمد شاكر ، وثلاث رسائل في اعجاز القرآن بتحقيق محمد خلف الله
والدكتور محمد زغول سلام .
- ٨ - الشعر والشعراء - عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي الدينوري . تحقيق
احمد محبو شاكر . القاهرة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .
- ٩ - العدين - الخليل بن احمد الفراهيدي (ج ٧) . تحقيق الدكتور مهدي
المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي - بغداد ١٩٨٤ م .
- ١٠ - القاموس المحيط - مجد الدين الفيروزآبادي .
- ١١ - الكليات - ابو البقاء الكفوي . تحقيق الدكتور عدنان درويش ومحمد
المصري . الطبعة الثانية - دمشق ١٩٨١ م .
- ١٢ - لسان العرب - ابن منظور .
- ١٣ - المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر - ضياء الدين بن الاثير . تحقيق
محمد محيي الدين عبد الحميد . القاهرة ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م .
- ١٤ - المعجم الادبي - جبرور عبدالنور . بيروت ١٩٧٩ م .
- ١٥ - المعجم العربي الاساس (لاروس) - المنظمة العربية للتربية
والثقافة والعلوم .
- ١٦ - معجم مصطلحات الادب - مجدي وهبة بيروت ١٩٧٤ م .
- ١٧ - معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب - مجدي وهبة وكامل المهندس ،
بيروت ١٩٧٩ م .
- ١٨ - المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية في القاهرة .
- ١٩ - الوساطة بين المتنبي وخصوصه - علي بن عبدالعزيز الجرجاني . تحقيق
محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي . ط ٣ - القاهرة .

الأشهر الأَفْصح (يَأْنَسِي به قلبي) لا (يَأْنَسِي إليه قلبي)

د . جميل الملاذكة

(عضو المجمع العلمي)

يكاد يقتصر الكتاب والمحدثون في هذه الأيام على تعدية الفعل (أَنَسَ يَأْنَسُ) بحرف الجَرِّ (إِلَى) في مثل قولهم (فلان لا يَأْنَسُ إليه قلبي)، يريدون بذلك (تَنَزَّرَ منه نفسي ولا تَلَنَّهُ ولا يَكُنْ قلبي إليه)، مع أن الأشهر الأَفْصح تعدية هذا الفعل بالباء، أي أن يقال: (فلان لا يَأْنَسُ به قلبي). وهذا ما تكاد تجمع عليه أممات المعجمات وكتب اللغة:

يقول ابن عثمان سعيد بن محمد المَعَاذِرِيُّ السَّرْقَسْطِيُّ (المتوفى سنة ٤٠٠هـ) في كتاب الأفعال (تحقيق د . حسين محمد شرف، ود . د . محمد مهدي علام، ص ٧٥، البيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٥) في مادة (فَل) بكسر العين من فصل (فَعَلَ وأَفْعَلَ بمعنى) من (باب ما أوله همزة: «... وَأَنْسَتْ بِالشَّيْءِ...» ضدَّ تَوَحَّشْتُ، وَأَنْسَتْ به لغة...» أه . ولم يورد السرقسطي شيئاً عن تعدية هذا الفعل بالحرف (إِلَى) .

ويقتصر أيضاً الصَّغَانِيُّ (ت ٦٥٠هـ) في العباب على تعدية هذا الفعل بالباء، إذ يقول مانصّه: «... ابن الأعرابي: الأَنِيسَةُ والمَأْنُوسَةُ: النار... لأن الإنسان إذا أَنَسَا لِيلاً أَنَسَ بها وسكن إليها وزال عنه توحَّشه وإن كان بالأرض القفر» أه .

ويقول أيضاً: «... والأَنَسُ - بالتحريك - .. والأَنَسُ، خلاف الوحشة، وهو مصدر قولك: أَنَسْتُ به، وأَنَسْتُ به، وأُسْتُ به... بالجر كات الثلاث... وقال أبو زيد: أَنَسْتُ به إنساً - بالكسر - لا غير» أه .

(*) ناقشته واقرته لجنة الأصول بجاستيها في ١١/٨ و ١٥/١١/١٩٩٤ .

ويتول أيضا : « .. فأما المستأنس ، فهو الذي ذهب توحشه وفزعته وأنس بقاء الرجال ومعاينة الأبطال .. » أه .

وفي كلام ابن منظر (ت ٧١١هـ) في اللسان على الأُنس بالضم ، وهو ضد الوحشة ، يذكر أن ابن الأثير (ت ٦٣٧) يشير إلى صحة وروده أيضاً بفتح الهمزة والنون ، إذ يقول : « .. قال ابن الأثير : .. فإنه صدر أُنِسْتُ به أُنْسُ أُنْساً .. » أه .

وفي اللسان أيضاً : « .. أبو حاتم (ت ٢٤٨هـ) : أُنِسْتُ به إِنْساً بكسر الألف .. رواه أبو حاتم عن أبي زيد ، وأثبت به أُنْسُ أيضاً بمعنى واحد .. » أه .

وفيه أيضاً : « .. وقد أُنِسَ به وَأُنْسَ يَأْنَسُ ويَأْنِسُ وَأُنْسَ أُنْساً وأَنْسَةً .. » أه .

وفيه أيضاً : « .. والعرب تقول : أُنْسُ من حُمَى ، يريدون أنها لاتكاد تتارق الليل فكأنها أُنِسَتْ به .. » أه .

وفيه : « .. ابن الأعرابي : أُنِسْتُ بفلان أي فرحت به .. » أه .

وفيه : « ابن الأعرابي : الأُنيسة والمأنوسة : النار .. لأن الإنسان إذا أُنِسَ ليلاً أُنِسَ بها وسكن إليها وزالت عنه الوحشة .. » أه .

وفيه أيضاً : « أبو عمرو : ويتال لديك .. الأُنيس .. والأُنيس المؤانس وكل ما يُؤْنَسُ به .. » أه .

فهؤلاء كتبهم يتنصر على تعدية الفعل (أُنِسَ) بالباء ، ولا يعدّيه أي منهم بغيرها .

ويقول الفيومي (ت ٧٧٠هـ) في المصباح : « أَنَسْتُ به إنسا من باب عَاسِم ، وفي لغة من باب ضرب ... واستأنست به وتأنست إذا سكن إليه القلب ولم ينزير ... » أه . وليس في أقواله ما يشير إلى تعدّي هذا الفعل بحرف الجرّ (إلى) .

وجاء في القاموس الفيروزبادي (ت : ٨١٧هـ) مانصّه : « ... والأَنِيس الديك والمؤانس وكلّ مأنوس به ... » أه .

وفيه أيضا : « ... والأُنس بالضمّ ، وبالتحريك ، والأَنسة بحرّكة ، ضدّ الرحشة ، وقد أنس به مثلثة النون ... » أه . وهكذا لا يورد الفيروزبادي تعدية هذا الفعل بغير الباء .

ويقول الزبيديّ (ت ١٢٠٥) في التاج : « ... قال أبو عمرو : الأَنِيس كأمير الديك ... والأَنِيس المؤانس والأَنِيس كلّ مأنوس به وفي بعض الأصول كلّ ما يؤنس به ... » أه .

وفيه أيضاً « ... وقد أنس به مثلثة النون ، الضمّ نقله الصاغاني ... » أه .

وفيه أيضا : « ... وقد روى أبو حاتم عن أبي زيد أنست به إنسا بكسر الالف ولا يقال أنسا بالضمّ إنّما الأُنس حديث النساء ومؤانستن ... » أه . وفيه أيضا : « ... ما بالدار أنيس أي أحد ، وفي الأساس من يؤنس به ... » أه . (

وفي مستدركه : « ... وتدأنس به وإنسا : أنس وتأنس بمعنى ... » أه . وفيه أيضا ذكر " لما أورده ابن الأثير من صحة الأُنس بالتحريك إذ يقول « ... انه مصدر أنست به أنس أنسا ... » أه .

وفيه : « .. ومن أمثالهم : أنسٌ من حمى ، يريدون أنها لا تكاد تفارق العليل كأنها أنسة » به » •

وفيه أيضاً : « ... قال ابن الأعرابي : أنستُ بفلان فرحت به .. » أه •
ولا يورد الزبيدي أي إشارة الى تعدي هذا الفعل إلى

فيذ ، سبع وعشرون مرّةً يرد فيها تعدي الفعل (أنس) ، أو اسم فاعله ، أو اسم مفعوله ، بالباء ، في أقوال واستعمالات لأحد عشر من أوائل صانعي المعجمات وعلماء اللغة والمعنيين بنصاحتها ، وهم أبو عمرو الشيباني (ت ٢٠٦ هـ) ، وأبو زيد الأنصاري (ت ٢١٥ هـ) ، وابن الأعرابي (ت ٢٢١ هـ) ، وأبو حاتم السجستاني (ت ٢٤٨ هـ) ، والسرّ قسطلي ، ومجد الدين بن الأثير (ت ٦٠٦ هـ) ، والصّعاني ، وابن منظور ، والفيومي ، والفيروزباني ، والزبيدي •

ولكنّ الزمخشري (المتوفى سنة ٥٣٨ هـ) ينفرد بإيراد تعدي الفعل (أنس) بالباء وب (إلى) كاليهم • يقول في الأساس : « .. وأنستُ به واستأنستُ به وأنستُ إليه واستأنستُ إليه .. » أه •

وما تجدر ملاحظته أنّ الصّعاني ، وابن منظور ، والفيومي ، والفيروزباني ، والزبيدي ، كزعم جاء بعد الزمخشري • ولكنّ أحداً منوّم لم يأخذ بما قاله الزمخشريّ من تعدي (أنس) ب (إلى) ، ولم يوردوه في معجماتهم •

وتجدر الإشارة الى أنّ الزمخشريّ يندّيه بالباء في ثمرته لمعنى الأنيس • يقول في الأساس : « ... وما بالدار أنيس وهو ما يؤنّس به » •

وكذلك يدّعي الزمخشري هذا الفعل بالباء ، جرياً على السمتن المشهور ، عندما يشرح في الكشف عن حقائق التزيل معنى (الإيناس) في

قوله تعالى «.. إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَائِي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ ۖ ۝» (الآية ٢٠ من سورة طه) ، فيقول : « ۝ الإيناس الإِبصار البيِّن ۝ ۝ وقيل هو إِبصار ما يؤنَس به ۝ ۝ » أه .

وغير مستبعدٍ أن يكون بعضُ النُّسَخ أضاف الى نصِّ الأساس ،
سahياً أو عامداً ، عبارةً (وأنِسْت اليه) .

أو قد يكون الزمخشريّ اورد (أنِس اليه) بإرادة تضمينه معنى (سكن
إليه) ، نتكون إجازته من عنده .

وقد استند بعض المعجمين المعاصرين ، وأدلى التصحيح اللغويّ ، الى ما
اُترد به صاحب الأساس ، فأجازوا (أنِس إليه) . وعلى هذا أورده اصحاب
المنجد ، وأقرب الموارد ، والوسيط ، وغيرِها .

ومن المعاصرين الذين كتبوا في التصحيح اللغويّ يقول محمد العدناني
في كتابه معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة (مكتبة لبنان ، ١٩٨٤) :
« ۝ ويخطئون من يقول : أنِس الى الشَّيْء ويقولون إنَّ الصواب هو : أنِس به ،
والحقيقة هي أنَّ أنِس به ، وأنِس اليه ، واستأنس به ، واستأنس إليه ،
جميعها صحيحة ۝ ۝ ۝ » أه .

ويشهد العدناني ل (أنِس اليه) بيت لشاعر مغمور اسمه بشَّار
بن بشر المجاشعيّ ، وهو :

إذا غاب عنها بعائها لم أكن لها زؤوراً ولم تأنس إليّ كـلابُها

وقد يكون هذا ما استند اليه الزمخشريّ ايضاً في تعدية (أنِس) ب (إلى) .
ولكنَّ العدنانيّ يعدِّ آخرين من الأوائل الذين اقتصرُوا على تعدية
(أنِس) بالباء ، إضافةً الى الذين ذكرناهم . وهؤلاء هم الأزهري (ت ٨٣٧٠)

في تهذيب اللغة ، والجوهري (ت ٣٩٣ هـ) في الصّحاح ، وابن فارس
(ت ٣٩٥ هـ) في معجم مقاييس اللغة ، وابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) في المحكم
والمحيط الأعظم ، والراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) في المفردات في
غريب القرآن •

نخلص من كلّ هذا الى أنّ الأشهر ، والأفصح ، والذي عليه جُهور الأوائل
من المعنيين بالعريّة وفصاحتها هو تعديّة الفعل (أنس) بالباء • فيقال
(يأنس به قلبي) لا (يأنس اليه قلبي) ، والله أعلم •



الراجع

- (١) السرقسطي ، سعيد بن محمد - كتاب الأفعال ، بتحقيق د . حسين محمد شرف و د . محمد مهدي علام ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٩٧٥ م .
- (٢) الصفاني ، الحسن بن محمد - العباب الزاخر ، بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، حرف السنين ، دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، ١٩٨٧ م .
- (٣) ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم - لسان العرب ، ج ٧ ، (طبعه مصورة عن طبعة بولاق ١٣٠٨ هـ) ، مطابع كروستاتسوماس وشركاه ، القاهرة ، بلا تاريخ .
- (٤) الفيومي ، أحمد بن محمد - المصباح المنير ، المكتبة العلمية (نسخة مصورة بالأوفست) ، بيروت ، بلا تاريخ .
- (٥) الفيروزبادي ، مجد الدين - القاموس المحيط ، ج ٢ ، المكتبة التجارية ، مؤسسة فن الطباعة ، القاهرة ، ١٩١٣ م .
- (٦) الزبيدي ، محمد مرتضى - تاج العروس ، ج ٤ (منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت) ، عن طبعة المطبعة الخيرية ، القاهرة ، ١٣٠٦ هـ .
- (٧) الزمخشري ، جارالله محمود بن عمر - أساس البلاغة ، كتاب الشعب ، دار مطابع دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٦٠ م .
- (٨) عبد الباقي ، محمد فؤاد - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، كتاب الشعب ، دار مطابع دار الشعب ، القاهرة ، بلا تاريخ .
- (٩) الزمخشري ، جارالله محمود بن عمر - الكشاف عن حقائق التنزيل ، (نسخة مصورة ، دار المعرفة ، بيروت) بلا تاريخ .
- (١٠) اليسوعي ، اوييس معاوف - المنجد ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٥ م .
- (١١) مجمع اللغة العربية بالقاهرة - المعجم الوسيط ، ط ٢ ، ج ١ ، مطابع دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٢ م .
- (١٢) العدناني ، محمد - معجم الاغلاط اللغوية المعاصرة ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٤ م .
- (١٣) الزركاسي ، خير الدين - الاعلام ، ط ٣٠ (بالأوفست) ، ج ١ - ١٠ ، بيروت ، ١٩٦٩ م .
- (١٤) غربال ، محمد شفيق - الموسوعة العربية الميسرة ، دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .

جوهرة الجوهرة

للساحب اسماعيل بن عبّاد

٣٢٦ - ٣٨٥ هـ

بقلم

الشيخ محمد حسن آل ياسين

عضو الجمع العلمي

«جوهرة اللغة» لابن دريد - كما يعلم المعنيون - معجم لغوي قيم نفيس؛ يكاد يجمع علماء اللغة على علوّ شأنه ورفيع مقامه بين المعجمات ، وقد أملاه مؤلّنه في السنين الأخيرة من القرن الثالث الهجري وهو بعيد عن حواضر العلم العراقية ؛ فكان المعجم الثاني - بحق - في سلسلة معجمات الألفاظ في تاريخ العرب والعربية بعد (عين) الخليل ؛ إذ لم تكن المؤلفات اللغوية خلال المدة الفاصلة بين العين والجوهرة شاملةً في أبوابها ؛ ومستوعبة في مفرداتها ؛ كهذين المعجمين ، بل كان منها المعنيّ بموضوع معين من موضوعات اللغة كالشاء أو البئر أو الخيل أو غير ذلك ، أو المعنيّ بمفردات لغوية منتقاة بلا ذكر فعل أو اشتقاق ككتب النوادر وكتاب الجيم لابن عمرو الشيباني ، أو المعنيّ بالمفردات بلا ملاحظة جذرٍ أو أصل ككتاب التتقيّة للبندنجي •

أما المعجم بمعناه الاصطلاحي أو الفني فلم تعرفه العربية بعد العين إلا في كتاب الجوهرة المذكور ؛ الذي حاول مؤلّنه فيه بعض التغيير أو التيسير في خطة العين ومنزجه ؛ بعيداً عن الالتزام بترتيب الحروف صوتياً كما فعل الخليل ؛ فكان هذا الكتاب أسهل تناولاً وأيسر في المراجعة وأقرب إلى المراد في سرد الموادّ وتنظيمها وتبويبها ، وإن لم يخل ذلك من بعض الصعوبات والتعقيدات بل المؤاخذات أيضاً •

ومِمَّا يَكُن من أمر ؛ فإن بإمكاننا أن نعدَّ منوذج ابن دريد في هذا المعجم
نمطاً متطوراً — أو — توفيقياً بين منوذج الخليل القائم على نظام أصوات الحروف،
وتقليبات الكلمات — وهو نظام معقّد جداً — وبين منوذج بعض من أشرنا إليهم
كأبي عمرو ؛ ممن رتبوا المفردات ألفبائياً ولكن لم يرأوا التسلسل في الحروف
التي تلي الحرف الأول من تلك المفردات ولم يذكروا الجذر وشيئاً من مشتقاته
وتفريعاته ؛ مما جعله أقرب الى العشوائية أو الالتوائية وألصق بكتب النوادر
المعروفة .

ويقول ابن دريد في بيان أسباب اختياره لمنبجه وخروجه على منوذج الخليل:
« وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفهردي — رضوان الله عليه —
كتاب العين ، فأتعب مَنْ تصدّى لغايته ، وعَتَى مَنْ سَمَا الى نهايته ،
فلمَ نصف له بالغاب معترف ، والمعاند متكاف ، وكلُّ مَنْ بعده له تبَعٌ ؛ أقرَّ
بذلك أم جحد » .

« ولكنّه — رحمه الله — ألّف كتابه مَشْاكِلًا لِتَقْوِب فهمه وذكاء فطنته
وحدة أذهان أهل دهره . وأملينا هذا الكتاب والنقص في الناس ناشئ
والعجز لهم شامل ؛ الاختصاص كدراريّ النجوم في أطراف الافق ، فسوّلنا
وعره ووطئنا شأزه ، وأجريناه على تأليف الحروف المعجمة ؛ إذ كانت بالقلوب
أعقب (أعلق) ؛ وفي الأسماع أنثى ، وكان عِلْمُ العامة بها كعلم الخاصة ؛
ومَن لَبِثُوا من هذه الجهة بعيداً من الحيرة ؛ مشفياً على المراد » . (١)

ثم يقول معاتلاً اختياره كلمة (الجميرة) اسماً للكتاب :
« وانما أعرناء هذا الاسم ؛ لأننا اخترنا له الجمهور من كلام العرب ؛
وأرجأنا الوحشي المستنكر » (٢) .

ومع أن ابن دريد قد أعان — كما تقدم — إجراء كتابه على تأليف الحروف
المعجمة ، فإنه قسمه على الأبنية أيضاً ، وافترضها — كما يستفاد من مقدمات
الكتاب — ستة :

(١) جمهرة اللغة : ٣/١ . (٢) المصدر نفسه : ٤/١ .

الثنائي المضعف ، والثلاثي ، والرابعي ، والخماسي ، والملحق بالسداسي بحرفٍ من الزوائد ، واللفيف •

ثم قسم كل بناء منها على أبواب وفصول •

وكلمة الحق التي يجب أن يقال في شأن هذا المعجم الكبير الخطير أن مؤلفه - وهو ابن عصر السماع والرواية والتلقي - لم يكن فيه مجرد راوٍ لما يتلقى ويسمع ؛ أو محض ناقلٍ لما يقال ويؤثر ، بل كان له في كثير من فقرات الكتاب ومطالبه وقمات رأيٍ وشكٍّ وتردد وتعايق ، وهو برهان جلي على التحقيق والتثبت والتدقيق ، وقد تكرر منه مآت المرات تردد مثل « زعموا » و « ليس بثبت » و « ما أدري ماصحته » و « لا أحسبه صحيحاً » و « أنا أو جل من هذا الحرف » وما شاكل ذلك من العبارات والتعاليقات ، مما لا مجال للخوض في تفاصيله في هذه المقدمة •



ونالت « الجميرة » منذ تأليفها وبدء انتشارها وعلى مدى العصور التالية لذلك ؛ اهتماماً واسعاً ومنزلة رفيعة لدى علماء العربية عامة والمعجميين منهم خاصة ، روايةً وتداولاً ، وتعليقاً واستدراكاً ، وشرحاً وتبييناً ، بل اختصاراً وتلخيصاً أيضاً لاستخراج زبدة ما فيها مما تعم الحاجة إليه •

وذكر المؤرخون من هذه الكتب المغنيّة بالجميرة :

- ١ - « فائت الجمهرة » لأبي عمر الزاهد غلام ثعاب ، المتوفى سنة ٣٤٥ هـ •
- ٢ - « جرهرة الجمهرة » : للصاحب أبي القاسم اسماعيل بن عباد ، المتوفى سنة ٣٨٥ هـ •

- ٣ - « الموئب » : لأبي غالب تمام بن غالب ، المعروف بابن التيانى ، الأندلسي ، المتوفى سنة ٤٣٦ هـ ، جمع فيه بين العين والجمهرة •
- وقيل : ان اسمه « تلقيح العين » أو « فتح العين » •

٤ - «نثر» (نثر) شواهد الجمهرة : لأبي العلاء المعري ، المتوفى سنة ٤٤٩هـ - ثلاثة أجزاء - .

٥ - «ظم الجمهرة» : ليحيى بن معط بن عبد النور ، زين الدين المغربي المتوفى سنة ٦٢٨هـ .

٦ - «مختصر الجمهرة» : لشرف الدين محمد بن نصر الله بن عني الأنصاري ، الشاعر ، المتوفى سنة ٦٣٠هـ (٣) .

وحدث السيوطي : أن كتاب الجمهرة قد حظي بثناء «كثير من العلماء ، وتوجد منه النسخ الصحيحة المروية عن أكابر العلماء . وقال بعضهم : انه من احسن الكتب المؤلفة على الحروف وأصحبها لغة» .

ثم روى طمعون الأزهري وابن جني فيها وقال معلقاً على ذلك :
« قلت : معاذ الله ، هو بريء مما رمي به ، ومن طالع الجمهرة رأى تحريه في روايته وقد تقرر في علم الحديث ان كلام الأقران في بعضهم لا يقدر » (٤) .

* * *

أما مؤلف «الجمهرة» فهو العالم اللغوي الشهير ، أبو بكر ، محمد ابن الحسن بن دريد بن عتاهية بن حنتم بن الحسن بن حكامي بن جبرو ابن واسع بن وهب بن سلمة بن جشم بن حاضر بن أسد بن عدي بن عمرو ابن مالك بن فقوم بن غانم بن دوس بن عدنان (عدنان) بن عبدالله بن زهيران (زهران) بن كعب بن الحارث بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث بن نبت ابن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان (٥) .

ولد في البصرة ، في سكة صالح ، سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، من سلالة

(٣) راجع في الجمهرة والكتب المتعلقة بها : الفهرست : ٨٣ والمزهر : ٨٨/١ و٨٩ و٩٢ وكشف الظنون : ١/٦٠٥ و٦٠٦ والذريعة : ١٤٦/٥ - ١٤٧

(٤) المزهر : ٨٩/١ و٩٣ - ٩٤ .

(٥) اختلفت المصادر في سلسلة ابن دريد اختلافاً كبيراً ، وما أثبتنا هو المروي في بعضها .

عربية عريقة ، ومن أبٍ معدود من الرؤساء وذوي اليسار . ونشأ هناك وتأدب وتعلم ، وقرأ على علماءها وفحول رجالها أمثال ابراهيم بن سفيان الزياتي المتوفى سنة ٢٤٩ هـ ؛ وأبي حاتم السجستاني المتوفى سنة ٢٥٠ هـ ؛ وعبد الرحمن بن عبدالله المعروف بابن أخ الأصمعي ؛ وأبي الفضل العباس ابن الفرج الرياشي المتوفى سنة ٢٥٧ هـ ؛ وأبي هفان عبدالله بن أحمد الموزني العبدي المتوفى سنة ٢٥٧ هـ ؛ وأبي عثمان سعيد بن هارون الاشنانداني المتوفى سنة ٢٨٨ هـ ؛ وغير هؤلاء أيضا ؛ ومنهم عمه الحسين بن دريد الذي تولّى تربيته وتعليمه ، وقد روى ابن اخيه فيما روى عنه كتاب «مسالمات الأشراف» . ثم انتقل عن البصرة مع عمه الحسين لما ظهر الزنج فيها سنة ٢٥٧ هـ وقتلوا استاذ الرياشي ؛ فأقام بعمّان اثنتي عشرة سنة ، وتنقّل بعد ذلك في جزائر البحر ، ثم عاد الى البصرة « وسكن بها زماناً » .

ثم خرج الى نواحي فارس قاصداً واليها الأديب عبدالله بن محمد بن ميكال بدعوة منه ليؤدّب ولده اسماعيل ، فأقام هناك مدة ، وتوطدت العلاقة بينه وبين الراي المذكور وابنه ، ومدحهما بمقصورته المشهورة ، وأما في سنة ٢٩٧ هـ كتابه «الجميرة» على الأمير أبي العباس اسماعيل بن عبدالله الميكالي . وقتلده الأمير ديزان الرسائل فكانت تصدر كتب ذلك الاقليم عنه ، ولا ينفذ أمر إلا بعد توقيعه . وحصل هناك على اموال جئمة ؛ ولكنه « كان مبيداً لا يمسك درهما سخاء وكرماً » .

ولما عزّل الأمير الميكالي عن ولايته في سنة ٣٠٨ هـ انتقل ابن دريد الى بغداد ، ونزل على عاي بن محمد الخواري — أو الجوري — فأفضل عليه ، وعرف به الخليفة العباسي المقتدر بالله فأجرى عليه في الشهر خمسين ديناراً الى أن مات .

وفي يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بتيت من شعبان سنة ٣٢١ هـ انتقل ابن دريد الى جوار ربه ، ودفن « بالعباسية من الجانب الشرقي » في ظهر سوق السلاح من الشارع الأعظم « ورؤي : انه « لما توفي حمات جنازته

الى مقبرة الخيزران ليدفن بها ، واذا بجنائز أخرى مع نثرٍ قد اقبلوا بها فنظروا اذا هي جنازة أبي هاشم الجبائي . فقال الناس : مات علم اللغة والكلام بموت ابن دريد والجبائي ، فدفنا جميعاً في الخيزرانية » .
وحسبنا في معرفة عبقرية هذا الرجل وعائز كعبه في اللغة والأدب وعلوم العربية أن نقرأ الشهادات الآتية :

قال المسعودي : « كان ممن قد برع في زمننا هذا في الشعر ؛ وانتهى في اللغة ؛ وقام مقام الخليل بن أحمد فيها ، وأورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين ، وكان يذهب في الشعر كل مذهب ؛ نظراً يجزل وطوراً يرق » .
وقال المرزباني : « كان رأس أهل العلم ؛ وانتقدم في الحفظ للغة والأنساب وأشعار العرب ، وهو غزير الشعر كثير الرواية سمح الأخلاق ، وكانت له نجدة في شبابه وشجاعة ؛ وسخاء وسماحة » .

وقال الزبيدي صاحب الطبقات « كان أعلم الناس في زمانه باللغة والشعر وأيام العرب وأنسابها » .

وقال أبو الطيب اللغوي : « انتبى اليه علم لغة البصريين ، وكان أحفظ الناس وأوسعهم علماً وأقدرهم على شعر ، وما ازدحم العلم والشعر في صدر واحد ازدحماهما في صدر خلف الأحمر وأبي بكر بن دريد » .
وقال أبو البركات ابن الأنباري : « كان من أكابر علماء العربية ، شاعراً كثير الشعر » .

وقال ياقوت : « روى من اخبار العرب وأشعارها ما لم يروه كثير من أهل العلم » ، وكان « واسع الحفظ جداً وكانت تقرأ عليه دواوين العرب كلها أو أكثرها فيسابق الى اتمامها ويحفظها » ، « وتصدّر في العلم ستين سنة » ، و « كان يقال : ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء » .

وقال الذهبي : « فاق أهل زمانه » ، و « كان آية من الآيات في قوة الحفظ » .

ومما يزيدنا ايماناً وتصديقاً بعبقرية هذا الرجل وتقدمه وخطر شأنه في ميدانه أن نقف على الكنز العظيم الذي خلفه من بعده ؛ وهو الكنز الذي يسمو على التقدير والتشمين ، ونعني به مؤلفاته القيمة التي ضمت عصارة إبداع فكره وعطاء موهبته ؛ وخلاصة ما أنتجه الدرس الأدبي واللغوي في العصور الإسلامية الاولى ، فكانت وما تزال المنبع الثراء والمصدر الأصل للبحوث اللغوية والدراسات الأدبية منذ جيل طلابه وإلى اليوم .

ونورد فيما يأتي أسماء تلك المؤلفات مرتبة على الحروف الهجائية :

- ١ - كتاب أخبار أبي بكر بن دريد : مطبوع .
- ٢ - كتاب الأخبار المنشورة : ولعله الكتاب السابق نفسه .
- ٣ - كتاب أدب الكتاب : « على مثال كتاب ابن قتيبة ، ولم يجردّه عن المسوّدّة ، فلم يخرج منه شيء يعوّل عليه » ، وقد يسمى : « أدب الكاتب » ، وربما كان هو المراد مما سمّاه بعضهم « تقويم اللسان » .
- ٤ - كتاب الأربعين .
- ٥ - كتاب الاشتقاق : وسمّاه بعضهم : « اشتقاق أسماء القبائل » ، وهو مطبوع أكثر من مرة .
- ٦ - كتاب الأمالي : روى عنه السيوطي كثيراً في المزمهر : (١/١٢٥-١٢٩ و ١٤٠ و ١٦١ و ١٦٣ - ١٦٤ و ٤٩٤ و ٤٩٦ و ٤٩٧ - ٥٠١ و ٥٠٢ ، و ٢ / ٣١٣ و ٣٤٦ - ٥٢٠ و ٥٢٢ و ٥٤٢) ، وذكره حاجي خايفة في الكشف : ان السيوطي قد لخصه وسمّى المالمخص : « قطف الوُرَيْد » .
- ٧ - كتاب الأنواء .
- ٨ - كتاب ايجاز المنطق وذخائر الحكمة : ذكره مؤلفه في كتابه المجتبي : ١٣ .

٩ - كتاب « البنون والبنات » : ذكره العلوي المعاصر جامع ديوان ابن دريد في مقدمة الديوان .

١٠ - كتاب جمهرة اللغة : وهو المعجم الغوي الضخم المعروف ، قال ابن النديم : « مختلف النسخ ، كثير الزيادة والنقصان ، لأنه أملاء بنارس ، وأملاء ببغداد من حفظه ، فلما اختلف الإملاء زاد ونقص ... والتامة التي عليها المعوّل هي النسخة الأخيرة ؛ وآخر ما صحّ من النسخ نسخة أبي الفتح عبيدالله بن أحمد النحوي ؛ لأنه كتبها من عدة نسخ وقرأها عليه » . وقد طبعت الجمهرة في حيدر آباد الهند في سنة ١٣٤٤هـ .

١١ - كتاب الخيل « الصغير » .

١٢ - كتاب الخيل « الكبير » .

١٣ - ديوان شعر ابن دريد : جمعه السيد محمد بدر الدين العلوي المعاصر ، وطبع في القاهرة في سنة ١٣٦٥هـ ، وهو غيظ من فيض من شعره ، فقد روى التقطبي في الإنباء أن « شعره كثير ؛ قال لي مَنْ رآه : في خمس جلدات ، وقيل : أكبر من ذلك » .

١٤ - كتاب رواد العرب : وورد اسمه في بعض المصادر : « زوار العرب » وفي بعض : « رواة العرب » ولعل ذلك من التصحيف ، والكتاب مطبوع في لندن في سنة ١٨٥٩م .

١٥ - كتاب السرج واللجام : وقد يسمى « صفة السرج واللجام » ، وهو مطبوع في لندن في سنة ١٨٥٩م .

١٦ - كتاب السلاح .

١٧ - شعر الحادرة : ذكره ابن النديم في باب الشعراء الذين عمل شعرهم العلماء من فهرسته ، ولم يذكره في ترجمة ابن دريد .

- ١٨ - كتاب صفة السحاب والغيث : وسماه بعضهم : كتاب المطر ، وهو مطبوع في ليدن في سنة ١٨٥٩ م .
- ١٩ - كتاب غريب القرآن : « لم يتمه » ، وربما كان هو المسمى كتاب « لغات القرآن » .
- ٢٠ - كتاب فعات وأفعات .
- ٢١ - كتاب لغات القرآن : ذكره ابن النديم وقال : « لم يتمه » ، وكأنته « غريب القرآن » المتقدم .
- ٢٢ - كتاب ماسئل عنه لفظاً فأجاب حفظاً : « جمعه علي بن اسماعيل بن حرب عنه » .
- ٢٣ - كتاب المتاهي في اللغة .
- ٢٤ - كتاب المجتنى : وصحّف في بعض المصادر الى « المجتبى » ، وهو مطبوع في الهند أكثر من مرة .
- ٢٥ - كتاب مجموعة أقوال لعلي بن أبي طالب (ع) .
- ٢٦ - كتاب المختار والمؤلف في الاشتقاق ، هكذا سماه عبداللطيف رياضي زادة في كتابه (أسماء الكتب : ٢٨٦) ، وأظنه « الاشتقاق » المتقدم نفسه .
- ٢٧ - كتاب المقتبس .
- ٢٨ - كتاب مقتل ابن هيرة : ذكره البغدادي في ذيل الكشف ، ولعل فيه وهماً أو لبساً .
- ٢٩ - كتاب المقتنى .
- ٣٠ - كتاب المقصور والمدود : هكذا سمي الكتاب في المصادر ، وكان المراد به قصيدة ابن دريد الهمزية التي جمع فيها المقصور والمدود ، وقد أوردتها جامع شعره في الديوان ، وذكر بروكلمان شروحاً لها وقصائد في محاكاتها ومعارضتها .

٣١ - المقصورة : في مدح ابني ميكال ، ومع أنها ليست في الحقيقة مؤلفاً أو مصنفاً ، فإن كثرة العناية والاهتمام بها جعلها في عداد المؤلفات . وتبلغ أبيات المقصورة كمانص عليه في خزانة الأدب (٢٣٩) بيتاً . وقد عارضها جماعة من الشعراء ، وعذني بشرحها عدد من المتقدمين والمتأخرين لعلمهم يلاغون (٣٥) شارحاً أوزيدون ، وبعض تلك الشروح مطبوع ، وخمسها عدد آخر من الشعراء ، وبعض تلك التخميسات مطبوع أيضاً .

٣٢ - كتاب الملاحن : وهو مطبوع أكثر من مرة .

٣٣ - كتاب نوادر ابن دريد : ذكره بهذا الاسم صاحب كشف الظنون ، وأظنه يعني به كتاب « أخبار ابن دريد » أو « أماليه » .

٣٤ - كتاب الوشاح : نقل السيوطي نصوصاً منه في المزهري : (١/٥٣٢ - ٥٣٣ ، و ٢/٤٣٤ و ٤٥٦ - ٤٥٧) (٦) .



(٦) رجعنا في ترجمة ابن دريد - سيرته ومؤلفاته - الى :
 مروج الذهب : ٢٤٦/٤ - ٢٤٨ ومعجم الشعراء : ٦١ - ٦٢ وطبقات
 النحويين : ٢٠١ ومراتب النحويين : ١٣٠ - ١٣٦ والفهرست : ٢٨ و ٦٧ و ١٧٩
 وتاريخ بغداد : ١٩٥/٢ - ١٩٧ ونور القبس : ٣٤٢ - ٣٤٤ ونزهة الالباء :
 ١٧٠ - ١٧٨ والانساب : ٣٤٢/٥ - ٣٤٤ والمنظوم : ٢٦١/٦ - ٢٦٢ ومعجم
 الادباء : ١٢٧/١٨ - ١٤٣ وانباء الرواة : ٩٢/٣ - ١٠٠ ووفيات الاعيان :
 ٤٤٨/٣ - ٤٥٣ وسير اعلام النبلاء : ٩٦/١٥ - ٩٨ والوافي بالوفيات ٢/٣٢٩ -
 ٣٤٣ وبغية الوعاة : ٣٠ - ٣٣ والمزهري : ٨٨/١ - ٩٤ و ٢/٤٠٩ وشذرات الذهب :
 ٢٨٩/٢ - ٢٩١ وخزانة الادب : ٤٩٠/١ - ٤٩١ وكشف الظنون (اسماء المؤلفات)
 واسماء الكتب : ٢٨٦ وذيل كشف الظنون المسمى ايضاح المكنون (اسماء المؤلفات
 التي لم ترد في الكشف) ومعجم المطبوعات العربية والعربية : ١٠١/١ - ١٠٣
 والذريعة : ١٢/٤ و ١٣ و ١٤ و ١٦ و ١٧ و ١٢٣ (واسماء المؤلفات) وتاريخ الادب العربي
 لبروكلمان - الترجمة العربية - : ١٧٧/٢ - ١٨٥ .

وبراجع في اسماء شيوخ ابن دريد وطلابه والرواة عنه : ماورده محققا
 الجهرة والاشتقاق في مقدمتيهما للكتابين المذكورين .

وأما مؤلف « الجوهرة » فهو الأديب اللغوي الوزير ، أبو القاسم ؛
الصاحب كافي الكفاة ؛ اسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد بن ادريس ،
الطلفاني ، الاصبهاني ، المولود في ١٦ ذي القعدة سنة ٣٢٦ هـ ، والمتوفى في
٢٤ صفر سنة ٣٨٥ هـ .

نشأ دارساً متعلماً ، واتصل في أوائل شبابه بأبي الفضل محمد بن العميد
وزير ركن الدولة بن بويه صلة التلميذ بالاستاذ ، ثم ازدادت هذه الصلة متانة
وقوة فأصبح ابن عباد كاتباً لابن العميد .

ولما عزم الأمير مؤيد الدولة أبو منصور على زيارة بغداد في سنة ٣٤٧ هـ
اختار ابن عباد صاحباً له ومرافقاً في هذه الرحلة ، فكانت هذه الصحبة مفتاحاً
لعلاقةٍ استحسنت وشائجها وتوطدت أُنسها على مرّ الأيام .

وأصبح ابن عباد بعد تولّي الأمير المذكور أبي منصور شؤونَ الدولة
اثر وفاة أبيه وزيراً له ومعتمداً ، ثم استمر في الوزارة أيضاً بعد وفاة مؤيد
الدولة وتولّي فخر الدولة زمام الحكم والإمرة ، وبقي كذلك حتى وفاته .

ونال هذا الرجل من المقام والاحترام والبيبة والرفعة وبعُد الصيت
وشيرة الاسم خلال أيام وزارته ما لم ينل مثله أحدٌ من نظرائه ، واحتفَّ
به - كما يقول الثعالبي - « من نجوم الأرض وأفراد العصر وأبناء الفضل
وفرسان الشعر ؛ مَنْ يربي عددهم على شعراء الرشيد ، ولا يقصرون عنهم
في الأخذ برقاب التوافي ومالكِ رقاب المعاني » .

وكان ابن عباد قد قرأ وتعلّم على يد عددٍ جَمٍّ من علماء عصره وادبائه ،
وروى عنهم ، و « سمع في العراق والريّ واصبغان الكثير » ، ومالك مكتبة
خافلة بأنفس الكتب وأغلاها وأندرها ، وبلغ تعدادها - فيما حدثت هو
نفسه - « مائتين وستة آلاف مجلد » ، ويقال : أنها كانت حمل سبعمائة بغير ،
وفي بعض الروايات : ان كتب اللغة وحدها كانت حمل ستين جملاً .

وأصبح الرجل بفضل تلك التلمذة الواعية وهذه المكتبة القيمة «أوحد زمانه علماً وفضلاً» ، ولم يعد من المبالغة أن يقال فيه ما قال ياقوت : من أنه «مع شهرته بالعلوم ، وأخذ من كل فن منها بالنصيب الوافر ، والحظ الزائد الظاهر ، وما أوتي من الفصاحة ، ووُفِّق لحسن السياسة والرجاحة ، مستغن عن الوصف ، مكتفٍ عن الإخبار عنه والوصف» .

وكان من أبرز شيوخه في الأدب واللغة وعلوم العربية : أبو بكر أحمد ابن كامل الناضي المتوفى سنة ٣٥٠ هـ ، وهو من كبار الرواة عن المبرد وثعلب والبحري وأبي العيلاء ، وأبو بكر ابن مقسم العطار النحوي المتوفى سنة ٣٥٤ هـ ، وأبو الفضل الوزير ابن العميد المتوفى سنة ٣٦٠ هـ ، وأبو سعيد الحسن بن عبدالله السيراقي المتوفى سنة ٣٦٨ هـ ، وأبو الحسين أحمد بن فارس الرازي المتوفى سنة ٣٩٥ هـ .

ولعل من أهم ما يجب تسجيله في تاريخ هذا الرجل وذكره بكثير من التقدير والاكبار : أن مشاغل الحكم والوزارة وشواغل الابهة وعظم المقام ، لم تقعد به عن اتوجه نحو التأليف والتصنيف ، واستقراغ الوسع في البحث والتحقيق ، وفي أكثر من موضوع وميدان من ميادين الفكر والمعرفة ، فترك من بعده مجموعة تيسية من المؤلفات ، وقد طبع في عصرنا الأخير عددٌ غير قليل منها ، مما لا مجال لعرضه هنا بالتفصيل . والذي يعنينا في هذه المقدمة ما يخص منها شؤون اللغة وموضوعاتها المختلفة ، وهي — فيما روى الرواة — أربعة :

١ — المحيط في اللغة : وهو من معجمات الألفاظ الكبرى في تاريخ العربية ، كثير المفردات ، وافر المعلومات ، قليل الشواهد ، نحافيه منحى الخلاب ابن أحمد في ترتيب الحروف وتنظيم الأبواب وأصوات الحروف وتقليبات الكلمات . وقد انتهت — بتوفيق الله تعالى — من تحمته بتمامه ، وتم طبعه ببيروت في سنة ١٤١٤ هـ — ١٩٩٤ م ، في عشرة أجزاء للأصل وجزء خاص بالقرآن هو الحادي عشر .

٢ - كتاب الفرق بين الضاد والظاء : وقد سبق لي تحقيقه ونشره عن مخطوطته التركية التي ربما كانت الفريدة الوحيدة ، وطبع ببغداد سنة ١٣٧٧ هـ ، ولعل ذلك هو الكتاب المختصر من الأصل الكبير المفقود .

٣ - كتاب الحَجَر : ذكره ابن فارس في الصحابي : ١٥ - ١٦ والعالبي في فقه اللغة : ٢٣٩ ، وهو مفقود .

٤ - جوهرة الجمهرة : وهو الكتاب الذي تتحدث عنه في هذه الصفحات .^(١)

★ ★ ★

ونعود الآن - بعد هذه الجولة السريعة في رحاب سيرتي ابن دريد وابن عباد - الى موضوع البحث الرئيس « جوهرة الجمهرة » ، وقد ورد ذكرها بهذا الاسم في عدد من المصادر والمراجع^(٨) ، وإن لم نجد في أيّ منها نقلاً من الكتاب أو نصّاً من نصوصه ، وليس في ذلك ما يبعث على شك أو يدعو الى تردد في صحة النسبة ، لأن وجود أصل « الجمهرة » في متناول يد الباحثين والمراجعين قد أغناهم عن الرجوع الى المختصرات والمختصات .

ويستفاد من المصادر ان صاحب ابن عباد قد قرأ هذا الكتاب في مطلع شبابه قراءة مستوعبة معمّنة ؛ وتمكن من اتقان ألفاظه وضبط نصّه خلال هذه

(٧) اقتبسنا ترجمة ابن عباد من المصادر الآتية :

اخبار اصفهان : ٢١٤/١ و ١٢٨/٢ وتجارب الامم : ١٦٨/٦ وذيله : ٩٣
وبتيمة الدهر : ١٦٩/٣ - ١٧٠ و ١٧٩ - ١٨٠ و ٢٦٧ ومحاسن اصفهان :
٩٨ و ١٣ ونزهة الالباء : ٤٠١ ومعالج العلماء : ١٣٦ ومعجم الادباء :
٢١٤ و ٨٣/٤ - ٢١٥ و ٢١٨/٦ و ١٦٨ - ٢٧٩ و ١٣/١٣ و ٢٢٧/١٤ و انباه الرواة :
٢٠٢/١ و وفيات الاعيان : ٢٠٦/١ - ٢٠٩ وبغية الوعاة : ١٩٦ وشذرات
الذهب : ١١٣/٣ - ١١٥ .

ولي في تاريخ حياة هذا الرجل وسيرته كتاب اسمه (الصاحب بن عباد)،
وفد طبع ببغداد سنة ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م .

(٨) نزهة الالباء : ٣٩٩ ومعجم الادباء : ٢٦٠/٦ و انباه الرواة : ٢٠٣/١
والوفاني بالوفيات : ١٣٨/٩ وبغية الوعاة : ١٩٧ والمزهر : ٩٦/١ وكشف
الظنون : ٦٠٦/١ و ٦١٩ و ٦٢١ وتاج العروس : ٣٩/١ والذريعة :
٢٩٢/٥ .

القراءة وفي تلك السن المبكرة ، فقد روى في يوميات رحلته الى بغداد في سنة ٣٤٧هـ - وكان حينذاك في الحادية والعشرين من العمر - اعتراضه على أبي سعيد السيرافي تلميذ أبي دريد في فقرة من فقر الجمهرة ، قال :

«وانتميت الى أبي سعيد السيرافي، وهو شيخ الباد ، وفرد الأدب؛ وحسن التصرف ؛ ووافر الحظ من علوم الأوائل ، فسألت عليه وقعدت اليه ، وبعضهم يقرأ الجمهرة ، فقرأ : أَلَمْ تَقْتُ ، فقلتُ : لَمْ تَقْتُ ، فدفعني الشيخ ساعة ثم رجع الى الأصل فوجد حكايتي صحيحة » .

ثم قال بعد استطرادٍ وتعليق :

«ورأيتُ الشيخ - بعد ذلك - غزيراً فاضلاً ؛ متوسعاً عالماً ، فعانقت عليه وأخذتُ منه ، وحصلت تفسيره لكتاب سيويه ، وقرأتُ صدرأ منه » (٩) .

ويبدو أن فرط إعجاب ابن عبادٍ بالجمهرة وشدة اهتمامه بها ؛ قد حملاه على محاولة تيسير الافادة منها لعموم الطلاب والمتعلمين ؛ باختصارها واستخراج زبدة ما فيها من اصول اللغة ومطالبها الرئيسية ؛ مجردة من الشواهد والتفاصيل ، وإبداع ذلك في معجم صغير يكون سهل التداول والتناول .

ومن طريف ما يروى بخصوص هذا المختصر : ان صاحب لما انتهى منه وأنجز عمله فيه ؛ أنشأ ثلاثة مشاطير بهذه المناسبة ، وهي :

لَمَّا فرغنا من ظام « الجوهرة » اعْوَرَّتِ العينُ وماتَ الجمهرة°

ووقف التصنيفُ عند القطره° (١٠)

* * *

(٩) الروزنامجة : ٢١ - ٢٣ .

(١٠) المزهرة : ٩٦/١ ، ووهم حاجي خليفة في كشف الظنون : ٢٠٥٣/٢ - ٢٠٥٤ فعزا المشاطير لأبي عمر الزاهد .

ومما يجدر ذكره بل يجب التنبيه عليه قبل ختم الحديث عن الجوهرة :
 ان مخطوطتها التي رجعت اليها في هذا البحث - وهي الفريدة في مكتبات
 العالم في الوقت الحاضر في أغاب الظن^(١١) - قد تضمنت اختصاراً شاملاً
 للجمهرة استوعب جميع الأبواب والفصول ، من أولها الى آخر الثلاثي بكل
 أقسامه وضروبه ، فضم السالم منه والمعتل واللفيف والمهموز والنوادر ، ثم
 انتهى الكتاب بذلك فلم يرد فيه أي ذكر لما يتعلق بـ «أبواب الرباعي الصحيح»
 وما تلاها من الأبواب الواردة في الأصل ، أي ان الجوهرة الماثلة أمامنا قد
 ختمت بما يقابل نهاية الصفحة ٢٩٤ من الجزء الثالث من الجمهرة المطبوعة ،
 وأغفل جميع مايلي ذلك من أبواب الرباعي وأبواب كثيرة أخرى من الخماسي
 والسداسي والنوادر وغيرها .

واذا افترضنا أن في بعض الأبواب « المتعقلة » من المصادر والمفردات
 المزيدة ما يمكن ذكره في بابه الأصيل من الثلاثي - كما في أبواب فَعْلَلٍ
 وفَعْلَلٍ مما فيه حرفان مثلاً ؛ وأبواب فَعَلَ وفَعْلٌ وفَعِلٌ وفَعِلٌ
 وفَعْلٌ وفَعِلٌ وفَعِلٌ وفَعِلٌ وفَعِلٌ وفَعِلٌ وفَعِلٌ وفَعِلٌ وفَعِلٌ وفَعِلٌ
 في الرباعي والخماسي الأصيلين مالا يمكن اقتحامه في الثلاثي بأي وجه من
 الوجوه .

ومن البعيد جداً بل من غير المقبول أن نعزو اسقاط تلك الأبواب السي
 المؤلف ، لأنه ينا في مقاله وألزم به نفسه في مقدمة كتابه من ايراد كل ماجاء

(١١) ذكر الباحث الشيخ محمد محسن انه رأى في اوائل هذا القرن نسخة من
 الجوهرة في إحدى المكتبات العراقية (الذريعة : ٢٩٢/٥ - ٢٩٣)، ولكنني
 لم اوفق للوصول اليها على الرغم من كثرة السؤال والبحث .
 وذكر الباحث السيد زين العابدين الموسوي محقق الجمهرة ان في مكتبة
 المتحف البريطاني مختصراً للجمهرة قديم الخط مجهول المؤلف ، وان
 المستشرق كرنكو قد قابل به اصل الجمهرة (مقدمة الجمهرة : ١٧/١ -
 ٢٠) . وليس هذا المختصر هو الجوهرة ؛ لان اسمها قد ورد في مقدمة
 المؤلف ؛ وكان قد وقف عليه المستشرق المذكور في مراجعته ومقابلته ،
 ولعله مختصر ابن عنين أو مختصر آخر لم نقف على خبره .

في الجمهرة من اصول اللغة وموادها وتراكيبها ، واعلانه : أنه لم يسقط من اللغة الموجودة فيها «حرفاً واحداً ، بل حذفنا ما كان تصرفاً مستغنى عنه أو شاهداً» ، ولذلك يكون خلو مخطوطتنا من الأبواب المذكورة باعثاً على الشك والتوقف بل الحكم بالنقص في أرجح الاعتقاد ، وربما سقط ذلك من الناسخ سهواً وغفلة أو بتوهم أن تلك الأبواب مرتبطة بكتاب آخر ، كما يحتمل أن يكون الأصل الذي نقل منه الناسخ ناقصاً ، وربما كان غير ذلك مما لا يمكننا الجزم به إلا إذا وفقنا الى العثور على نسخة أخرى من الكتاب للمقابلة والمقارنة .

وبانتظار ذلك تكون هذه النسخة مثالة لتطعة من «الجمهرة» يمكن أن نسميها «الجزء الأول» منها .



ولعل مما يزيد الحديث عن هذا الكتاب بياناً وجلاء أن يتف المعنيون على نصّ مقدمة صاحب لجوهرته ؛ فقد ضمنها من اللحات الموجزة لمنهجه في اختصاره ؛ وللنسخ التي رجع اليها ؛ ولأدب السالك مع العلماء من السلف ؛ مالا يخلو من ففءة لكل باحث ومتعلّم .

قال :

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله الذي أنطقمنا(*) الذي أنطق كل شيء بأفصح اللغات، وجعل اختلاف الألسنة إحدى الآيات ، وبعث رسوله محمداً - ع م^(١) - بأشرف الكلام موضوعاً ؛ وأحلام مسوعاً ؛ وأوسع مذاهب ؛ وأقرب مطالب ، وأنزل به كلامه المبين ، وكمل به المعجزات والبراهين .

(*) كذا في الأصل ، ولعل جملة (الذي انطقنا) او (الذي انطق كل شيء) من زيادات النسخ .

(١) كذا في الأصل ، ويأتي فيه مثل ذلك ايضاً، وكأنه يعني به (عليه السلام) .

ولمّا رأيت^(٢) الناس قد سبّقوا الى تكثير^(٣) اللغة ، حتى زهدوا
 الراغب ؛ وأتعبوا الطالب ، وكان المعوّل^(٤) عليها في معرفة القرآن وسنة
 الرسول - عم - ، وكان الاختصار مع الايضاح^(٥) والإفهام ؛ أوّلى من الاكثار
 مع الإصعاب^(٦) والابرام . فصنّفنا الكتاب « المحيط » لثلاث يشدّ عنه من
 اللغة إنسيثها ووحشيّتها ودانيها وقاصيها ، الأما عزّ وجوده وأعوز وضعف
 رواية فألغاه من احترز . وخرج في حجم ثلث كتاب « العيّن » ، وفضات
 لغته على ما في ذلك الكتاب ضعفين بعد ضعفين . علمنا أن في طالبي^(٧) اللغة من
 يصدف عطفه^(٨) عن قراءته واستقرائه ، ويميل الى ما يجري^(٩) في الایجاز
 مجرى جزء من أجزائه ، فاعتمدنا كتاب « الجهرة » باختصار لا يثقل^(١٠)
 ولا يخلّ إذ لم نُسقط^(١١) من اللغة الموجودة فيه حرفاً واحداً ، بل حذفنا
 ما كان تصرفاً مستغنى عنه أو شاهداً .

وقد كنّا رَوَيْنَاهُ عَلَى اخْتِلَافِ نَسْخِهِ :

أمّا النسخة البغدادية : فأخبر [ني]^(١٢) بها أبو سعيد الحسن بن عبد الله

-
- (٢) في الأصل : ولما رث ، وهو تحريف .
 - (٣) في الأصل : لى بكثر ، وهو تحريف .
 - (٤) في الأصل : المعمول ، وهو تحريف .
 - (٥) في الأصل : مع الاضاح ، وهو وهم .
 - (٦) في الأصل : الاصحاب . وكتب الناسخ في الحاشية : (الاصعاب . ظ) .
 - (٧) في الأصل : طالب ، وهو وهم .
 - (٨) في الأصل : من تصنيف عطفة ، وهو تحريف .
 - (٩) في الأصل : يجزى ، وهو تصحيف .
 - (١٠) في الأصل : لا يميل ، ولعل الصواب ما اثبتنا ، ولا يميل : اي لا يشق ولا يصعب .
 - (١١) في الأصل : تسقط ، وهو تصحيف .
 - (١٢) ما بين المعقوفين سقط من الأصل .

السِّيرافي^(١٣) النحوي - رحمة الله عليه - عن أبي بكر [ابن]^(١٤) دريد .
 وأما الشيرازية - وهي الأصل^(١٥) - فقرأتها على أبي محمد
 الإيجي^(١٧) صاحب أبي بكر وروايته^(١٨) ، وذكر أنه أملاها عليه من لفظه .
 [وأما]^(١٩) الأهوازية : فقرأتها - وقرئت^(٢٠) ونحن نسمع - على أبي
 أحمد الحسن^(٢١) بن عبدالله العسكري^(٢٢) ، وهو من المكثرين عن أبي بكر .
 وسَمَّيْنَا هذا المختصر : «جوهرة الجمهرة» .

(١٣) في الأصل : السيرفي ، وهو من أوهام النسخ . وهو أبو سعيد الحسن
 ابن عبدالله بن المرزبان النحوي المعروف بالقاضي السيرافي ، المولود قبل
 سنة ٢٩٠ هـ ، وقد سكن بغداد ولعب فيها ، وأسهم في علوم كثيرة درسا
 وتدريساً ، وكانت لديه نسخة من (الجمهرة) كتبها السيرافي بخطه ،
 وتوفي سنة ٣٦٨ هـ . يراجع : تاريخ بغداد : ٣٤١/٧ ومعجم الادباء :
 ١٤٥/٨ وانباء الرواة : ٣١٣/١ وبغية الوعاة : ٢٢١ .

(١٤) سقطت كلمة «ابن» من الأصل .

(١٥) انما عد المؤلف هذه النسخة أصلاً لأن ابن دريد املأ الكتاب لأول مرة
 هناك . يراجع ماوردناه من ذلك في ترجمته .

(١٦) في الأصل : أبو ، وهو وهم .

(١٧) في الأصل : الاحبى ، والصواب ماثبتنا ، وهو أبو محمد عبدالله بن
 محمد الإيجي الأديب النحوي ؛ تلميذ ابن دريد والمكثر في الرواية عنه .
 يراجع معجم البلدان : ٣٨٤/١ - ٣٨٥ واللباب لابن الأثير : ٧٨/١ وبغية
 الوعاة : ٢٩٠ .

(١٨) في الأصل : وروايته ، وهو وهم .

(١٩) سقط ما بين المعقوفين من الأصل .

(٢٠) في الأصل : وقرات ، والسياق يقتضي ماثبتنا .

(٢١) في الأصل : الحسين ، وهو وهم .

(٢٢) هو أبو أحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد العسكري اللغوي المحقق، المولود سنة
 ٢٩٣ هـ ، والمتوفى سنة ٣٨٢ هـ . يراجع : معجم الادباء : ٢٣٣/٨ وانباء
 الرواة : ٣١٠/١ وبغية الوعاة : ٢٢١ .

ولم نشتغل^(٢٣) باصلاح ما يُطعَن به [على]^(٢٤) أبى بكر من خال في
الإنبياء واضطراب في الترتيب ، إذ بنا في الأخذ عن العلماء من السلف ما لا
تفرغ^(٢٥) [معه]^(٢٦) الى اعتراض كتبهم بالرد .

ثفعنا الله بما علمنا ، وجعله لفظا^(٢٧) فيما ألزمتنا .
وصلاته على النبي محمد وآله الطاهرين ، وسلّم تسليماً كثيراً .



(٢٣) في الأصل : يشتغل ، وهو من سهو النسخ .

(٢٤) زيادة يقتضيها السياق .

(٢٥) في الأصل : ما لا يفرع ، ولعل الصواب ما أثبتنا .

(٢٦) زيادة يقتضيها السياق .

(٢٧) كذا في الأصل ، ولم نهتد الى الصواب فيها ؛ ولعله : ألفا لنا .

مصادر البحث

- اخبار اصبربان / لأبي نعيم
 اسماء الكتب / لعبد الايف رياضي زاده
 الاشتقاق / لابن دنيـد
 انباد الرواة / للقفاي
 الأنساب / للسمعاني
 بغية الوعاة / للسيوطي
 تاج العروس / احمد مرتضى الزبيدي
 تاريخ الأدب العربي / لبروكلمان -
 الترجمة العربية - ج ٢
 تاريخ بغداد / للخطيب البغدادي
 تجارب الامم / لمسكويه
 الجهرة / لابن دريد
 خزانة الأدب / للبغدادي
 النريمة / احمد محسن الهراني - ج ٤
 و ه واجزاء اخرى -
 ذيل تجارب الامم / للروذراوري
 ذيل كشف الظنون - ايضاح المكنون - /
 الروضات / للصاحب بن عباد
 سير اعلام النبلاء / للذهبي
 شذرات الذهب / لابن العماد الحنبلي
 الصاحبى / لابن فارس
 طبقات النحويين والثرين / للزبيدي
 فقه اللغة / للثعالبي
 الفهرست / لابن النديم
 كشف الظنون / لحاجي خليفة
- ليسانس ١٩٣١ م
 القاهرة ١٩٧٧ م
 القاهرة ١٣٧٨ هـ
 القاهرة ١٣٧٤ هـ
 الهند ١٣٨٢ هـ
 القاهرة ١٣٢٦ هـ
 القاهرة ١٣٠٦ هـ
 القاهرة ١٩٦١ م
 بيروت (طبعة مصورة)
 القاهرة ١٣٣٢ هـ
 الهند ١٣٤٤ هـ
 القاهرة ١٢٩٩ هـ
 طهران ١٣٦٢ هـ
 القاهرة ١٣٣٤ هـ
 استانبول ١٣٦٦ هـ
 بغداد ١٣٧٧ هـ
 بيروت ١٤٠٦ هـ
 القاهرة ١٣٥٠ هـ
 القاهرة ١٣٢٨ هـ
 القاهرة ١٣٧٣ هـ
 القاهرة ١٣٥٧ هـ
 طهران ١٣٩١ هـ
 استانبول ١٣٦٠ هـ

القاهرة ١٣٥٧هـ	الالباب / لعز الدين ابن الاثير
طهران ١٣٥٢هـ	محاسن اصفهان / للمافروخي
القاهرة ١٣٩٤هـ	مراتب النحويين / لأبي الطيب اللغوي
القاهرة ١٣٥٧هـ	مروج الذهب / للمعشعودي
القاهرة (بلا تاريخ)	الزهر / للسيوطي - طبعة البابي الحلبي
طهران ١٣٥٣هـ	معالم العاداء / لابن شهر اشوب
القاهرة ١٩٣٦م	معجم الادباء / لياقوت
القاهرة ١٣٢٢هـ	معجم البلدان / لياقوت
القاهرة ١٣٥٤هـ	معجم الشعراء / للدرزباني
القاهرة ١٣٤٦هـ	معجم الملبوعات العربية والمترية / ليوسف سركيس
الهند ١٣٥٧هـ	المنتظم / لابن الجوزي
بغداد ١٩٥٩م	نزهة الالباء / لابن الانباري
ببيروت ١٩٦٤م	نور القبس / لليغموري
طهران (طبعة مصورة)	الرافعي بالوفيات / للصفدي
القاهرة ١٣٦٧هـ	وفيات الاعيان / لابن خلكان
القاهرة ١٣٥٢هـ	يتيمة الدهر / للتحالبي



بناء قصيدة الشكوى في العصر الاموي

الدكتور نوري حمودي القيسي

عميد كلية الاداب : جامعة بغداد

لم يعد الحديث عن بناء القصيدة العربية حديثا بعد ان اتضحت معالم هذا البناء وهي تأخذ طريقها في كل غرض وتتوحد صياغتها عند مجاميع الشعراء وهم يواصلون طريقتهم التي التزموا بها حتى اصبح هذا البناء اسلوبا ومنهجيا وتقليدا تتحدد اجزاؤه وتتوافق اقسامه واصبح لكل غرض بناء تلتقي مفرداته وتتجانس ألوانه وتتسلسل افكاره وقد وقتت في بعض دراساتي على بعض هذه الاغراض (١) .

وتشكل محاورة الذئب في بعض قصائد الشعراء امتدادا قصصيا آخر وبناء فنيا اعتمد الحوار ولما جاة ، وتخلته الشاعر ، وتجلت في احداثه طبائع الكرم الذي لازم امثال هذه المحاورات (٢) ويمكن اعتبار قصيدتي المرقش الاكبر (٣) وامرؤ القيس (٤) من اوائل القصائد التي وصلت اليها وهي تحمل هذا النوع من المحاورات او المصاحبة ، فقد صور امرؤ القيس مقابلته للذئب وقد أضر به الجوع عند ماء آجن ، بعد ان امحل ما حوله من الكلا ، فكان يعوي عواء الخليع الذي طردته العشرة فبات لا يملك ما يسد به رمق الحياة ، ولا

(*) قدم فقيده المجمع هذا البحث لنشره في المجلة ، وفيه بعض ما كان ينوي اكماله او اصلاحه ثم عاجلته المنون ، فراينا نشره وفاء لمكانه ، واصلاحنا بعض ما فيه ، وتركنا ما لم نستطع على حاله ، تغمده الله برحمته .

١ - ينظر كتاب لمحات من الشعر القصصي في الادب العربي - الموسوعة الصغيرة - العدد (٧١) .

٢ - ينظر كتاب على الهامش للاستاذ هلال ناجي / ٢٩ .

٣ - شعر المرقش الاكبر . مجلة العرب / والمفضليات ٢٦/١ .

٤ - امرؤ القيس . الديوان ٣٦٣ - ٣٦٤ وتنسب القصيدة الى النجاشي الحارثي في حماسة ابن الشجري / ٧١٨ وينظر تخريجها فيها .

اهلا يصدون عنه عوامل الدهر فخطابه الشاعر برفق ، وسأله عن اخ يواسيه ، ثم دعاه الى الحوض الذي تركه له بعد ان اعتذر الذئب عن مشاركة الشاعر طعامه ، وبغدها يأخذ الذئب بالعواء مستدعيا بقية اصحابه لهذه المكرمة ، معلنا وفاءه لبني جنسه من الذئاب لتجد في هذا النبع ما يدفع عنها حرارة الجوع ، وقسوة الصحراء ، ولهيب وقدها اللافح . اما المرقش الاكبر فيقدم لنا صورة اخرى لهذا عراه مستضيفا فأكرمه كما يكرم الضيف ، ويصور لنا فكرة الكرم الاصيل الذي يقدم للضيف مهما كان شكله لا يفرق في تقديمه بين انسان وحيوان . . . وتلوح صورة الذئب عند كعب بن زهير ، وهي تحمل الموروث الشعري لها ، فقد استضاف الشاعر الذئب اثناء رحلته ، وحاول ان يصور المكان بدقة حيث كان الشاعر يسمع فيه همهمة لا يتبين فيها المعاني ، ولا تتميز الاصوات ثم يستمر في الحديث الذي يكشف عن حالة التفرد التي كان عليها الذئب ، والوصاف الدقيقة والالوان والاحوال ، وما يرجوه من الزاد ، ويضيف اليها صورة الغراب ، وهي استطراد جديد^(٥) . ولعل اضافة الغراب ، وما اعتب ذلك من ملامح في توسيع افق الصورة ، والعناصر الجديدة التي دخلتها هي التي حملت ابن قتيبة على اعتبار الشاعر من السابقين حتى ان بعض الشعراء قد اخذوا منه ذلك^(٦) .

وتتوحد في اللوحتين صورة الكرم الذي حاول الشاعر ان يعبر عنه ، والصورة الانسانية التي داخلتهما وهما يتقان امام حيوان لم يعرف غير الصحراء ميدانا ، ولم يجد غير الهواجر ظلا وملذا ، ولعل الصورة الكاملة التي رسمها الفرزدق للذئب في قصيدته^(٧) :

واطلس عسّال وما كان صاحبا

دعوت بناري موهبا فأتاني

٥ - كعب بن زهير . الديوان / ٤٦ - ٥٢ .

٦ - ابن قتيبة . الشعر والشعراء ١ / ١٤٦ .

٧ - الفرزدق : الديوان ٢ / ٣٢٩ .

فلما اتى قلت ادن دونك اني
 واياك في زادي لمشتركان
 فبت اسوي الزاد بيني وبينه
 على ضوء نار مرة ودخان
 فقلت له لما تكشر ضاحكا
 وقائم سيفي من يدي بمكان
 تعش فان واثقتني لا تخونني
 تكن مثل من يا ذئب يسطحبان
 وانت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما
 اخين كانا ارضعا بلبان
 ولو غيرنا نبهت تلتمس القرى
 اتاك بسهم او شاة سنان
 وكان رفيقي كل رحل وان هما
 تعاطى القنا قوما هما اخوان

تعبر عن الامتداد الفني لهذه المحاورات • وعلى الرغم من ان مقدمة
 القصيدة قد اشارت الى ان الفرزدق خرج في نفر من الكوفة يريد يزيد بن
 المهلب ، فلما عرسوا من آخر الليل عند الغريين على بعير لهم مسلوخة كان
 اجتزرها ، ثم اعجله المسير ، فسار بها فجاء الذئب فحركها ، وهي مربوطة على
 بعير ، فذعرت الابل ، وجفلت الركاب منه وثار الفرزدق . فأبصر الذئب ينهشها
 فقطع رجل الشاة ، فرمى بها الى الذئب ، فأخذها وتنحى ، ثم عاد فقطع اليد
 فرمى بها اليه فلما اصبح القوم خبرهم الفرزدق بما كان •• اقول : على الرغم
 من هذه المقدمة التي قدم بها لهذه الحادثة فإني اعتقد ان الصورة تقليدية
 لموروث شعري قصصي ، سلكه الشعراء في بعض مناسلكهم واتهجؤه في

جوانب من مناهجهم ، تعبيرا عن مشاركتهم لهذا الموروث ، وتأثرهم بما يحمله من مشاعر التعاطف في مواقف الكرم او استجابتهم لدواعي النفس عندما تجد نفسها في موضع يستحق التعبير ، او التزامهم بحدود الاغراض والمواقف والابنية الفنية لبعض ما يريدون التعبير عنه . ويمكن تأكيد هذه الفكرة عند مراجعتنا لقصيدة الفرزدق الثانية التي ذكر فيها الذئب مرة اخرى فقال (٨) :

وليلة يتنا بالغريين ضافنا

على الزاد مشوق الذراعين اطلس

ومن الغريب ان يقدم للقصيدتين بمضمون واحد ، وصياغة مقاربة . . وهذا يؤكد تحليلنا لما ذهبنا اليه من افتعال للحوادث (٩) ، ولعل تكرار امثال هذه القصائد وبالسرد القصصي التقليدي عند بقية الشعراء تحدد الصورة الفنية التي التزم بها الشعراء وعالجوا من خلالها الجوانب النفسية التي كانت تعتر بهم (١٠) ، وتمسكوا بالاسلوب الذي اصبح متبعاً في معالجة هذه الموضوعات ، لان معظم هذه المحاورات تدور في اطار واحد ، وتستخدم اسلوباً واحداً ، وتستقي حوارها من موضوع محدد ، ولا اغالي اذا قلت ان الافعال والصيغ والصور تكاد تكون متشابهة ، وقد تركت هذه المحاورات اثرها الواضح في الادب العربي ، وربما انتقلت هذه الصياغة الى محاورات حيوانات اخرى ، استمدت احداثها من معان وجد فيها الشعراء مجالا للتعبير عن دواخلهم النفسية ، او واقعهم الاجتماعي ، فأتخذوا منها طرقاً للتعبير ، وفي محادثتها صوراً من صور التعاطف الانساني ، وقد ظلت هذه المحاورات تحمل طابع السرد القصصي التقليدي ، وبقيت احداثها الداخلية مرتبطة بظاهرة الجوع

٨ - الفرزدق : الديوان ١/ ٣٨٧ .

٩ - ينظر : المعاني الكبير / ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

١٠ - الكميث : الديوان : ١/ ١٩٦ ، ١/ ٨٦ نقلاً عن المعاني الكبير / ٢٠٤ ، ٢٠٥ .
وينظر الديوان ١/ ٨٧ .

الصارخ ، والوحدة الكثيرة ، والظلام الغامر ، والتطلع الى ما تجود به اليد ، والمراقبة الشديدة ، والترصد الغادر ، والنهاية التي تحقق الرضا الى الطرفين وقد ظلت ظاهرة الحديث مع الذئب مرتبطة بالجوع والكرم والتعاطف الوجداني والاحساس المتبادل والضيافة ولا بد - وانا اتحدث عن هذا النوع من الحوار - ان اقف عند جانب آخر من جوانب الكرم كان يرتبط بسرد قصصي آخر ، يأخذ شكلا قريبا من الشكل الذي كانت تأخذه هذه المحاورات فالشعراء في حديثهم عن الاضياف كانوا يلتزمون نمطا قصصيا واحدا ، يستخدمون شكلا فنيا واحدا ، ويميلون الى استخدام صيغ لفظية واحدة ، من اجل الوصول الى الغاية التي تشرح الكيفية التي يتم بموجبها الكرم . وهو سرد متناسق من حيث التوجيه ، يبرز فيه التمهيد والتقديم ثم ينتقل الى الوقوف عند احداث القصة وما يقدمه الضيف ، والطريقة التي ينتهي بها ذبح الذبيحة وما يعقب ذلك من وقائع ..

ان هذا الجانب يشكل ظاهرة قصصية اخرى سأقف عندها قليلا لاؤكد هذا الجانب من حيث البناء والتوافق ، وأؤكد ان هذه الاساليب القصصية كانت تمثل رافدا ادبيا واضحا في الشعر العربي ..

وتأخذ مقدمات قصائد الاضياف جانبا واضحا من الحوار القصصي ، وهو جانب يتمثل بالضيف الذي يلجئه الضلال عن الطريق ليلا ، وجهد المسير الى ان يتكلف نباح الكلب ، وحكايته ، لتجاوبه كلاب الحي ، فيهتدي اليها بصياحها ، ويستعين على ضره وحيرته ويؤكد الشاعر بان الليلة من ليالي جمادى ، لانها من شهور البرد والمطر ، كما يؤكد شدة ظلامها وامتداده ، وتكامله وتراكمه ، ولا يبصر الكلب من ظلماتها الطنبا^(١١) ، وان العدى يستيه الى كل صوت يدركه ، ويستخدم الشعراء في هذه الحالة الصور الآتية :-

- ومستبج بات الصدى يستيهه .. (١٢)
 ومستبج قال الصدى مثل قوله .. (١٣)
 ومستبج يستكشط الريح ثوبه .. (١٤)
 ومستبج بعد الهدوء دعوته .. (١٥)
 ومستبج تهوي مساقط رأسه .. (١٦)
 ومستبج في لج ليل دعوته .. (١٧)
 ومستبج لهفان يضربه الندى .. (١٨)
 ومستبج بعد الهدوء دعوته .. (١٩)
 ومستبج والجون اهدب ماطر .. (٢٠)
 ومستبج طاوي المصير كأنما .. (٢١)

ان صيغة (ومستبج) التي افتتح بها الشعراء مقطعاتهم في هذه النماذج وفي غيرها ، تؤكد التزام الشعراء بها ، والتحدث بآثارها والحرص على الشكل الذي استخدمت فيه ، كما ان الصياغة التي اعقبت هذه العبارة ، كانت صياغة مقاربة من حيث الشكل ، ومتفقة من حيث الاداء والمعنى والدلالة ، وهذا يعني ان هيكلنا من البناء الموحد في المعنى والاستخدام والتوافق كان يسود انجو الشعري ، ويفرض وجوده على الشاعر ، وهو يعالج موضوعا او غرضا .
 واذا حاولنا متابعة الظاهرة في هذه النماذج وفي غيرها وجدنا ان الصورة التي

١٢ - حماسة ابي تمام ١٥٥٧/٤ .

١٣ - ن . م . ١٥٨٠ .

١٤ - ن . م . ١٦٤٣ .

١٥ - ن . م . ١٦٤٣ .

١٦ - ن . م . ١٦٤٥ .

١٧ -

١٨ - (ابقينا النص بفراغاته كما قدم في المسودة) .

١٩ -

٢٠ - ن . م . ٢٢٨ .

٢١ - ن . م . ٢٤١ / وينظر ٢٤٢ .

رسمت في النموذج الاول تظل صورة تهدي بقية النماذج ، وترشد الشعراء الى اقتفاءها وتدلهم على المعالم المتبقية والتي تترك على وجوه قصائدهم معالم الالتزام الفني في هذا البناء ، لان الشعراء يحرصون على ان يكون الشطر الثاني وما بعده جوابا (ارب) ويتضمن اشارة الى ما يرشد هذا المستنبح اليهم ، ولعلمهم وجدوا النار دليلا من ادلة الاهتداء ، بعد ان يوقدوها بغلائل الحطب وكبارها ، فكان الجواب « حضأت له نارا لها حطب جزل » (٢٢) ، و « بشقراء مثل النجر ذاك وقودها » (٢٣) ، « حضأت له ناري فأبصر ضوءها » (٢٤) ، و « بمشوبة في رأس صمد مقابل » (٢٥) ، و « رفعت له حمراء اخرق نورها » (٢٦) ، و « هدته لنا وردية اللون طيرت » (٢٧) ، و « دعوت بحمراء الفروع كأنها » (٢٨) ، و « رفعت له ناري فلما اهتدى بها » (٢٩) .

فالنار هنا اصبحت علامة من علامات الاهتداء ، واشارة من اشارات الشعراء اذا ارادوا ان يتحدثوا عن هذا الموضوع ، ومن الطريف هنا أن يلتزم الشعراء في هذا الموضوع ، وموضوع محاورة الذئب (البحر الطويل) لاسباب قد تدخل احيانا في البحر على استيعاب الصورة ، واتساع مقاطعه النغمية لامتداد المعنى المطلوب (٣٠) ، كما انهم ظلوا حريصين عليه حتى في القصائد التي جردوا فيها النساء للموهم على الاتفاق او الكرم او الجرأة والمغامرة او الموضوعات الاخرى التي استحدثوا فيها صيغ الحوار . ولعل ارجح الاسباب

٢٢ - الحماسة ١٥٦٩/٤ .

٢٣ - الحماسة ١٦٤٣/٤ .

٢٤ - الحماسة ١٦٤٦/٤ .

٢٥ - الحماسة ١٦٩٥/٤ .

٢٦ - الحماسة البصرية ٢٣٤/٢ .

٢٧ - الحماسة البصرية ٢٣٨/٢ .

٢٨ - الحماسة البصرية ٢٤٢/٢ .

٢٩ - الحماسة البصرية ٢٤٢/٢ .

٣٠ - ينظر كتاب المرشد الى فهم اشعار العرب وصناعتها للدكتور عبدالطيب المجذوب ٣٩٢ وما بعدها .

وافضلها يعود الى حرصهم على ابقاء الصورة التقليدية خاضعة حتى في الوزن، وهذا جانب فني يؤكد متابعة الصورة والحرص على استيفاء معظم اجزائها واستكمال ابعادها الفنية اطارا وبناء وتركيبا .

وقد وجدت من المناسب ان اضيف الى تلك الدراسات موضوعا آخر هو شكوى السعاة الذين اثقلوا الناس بما فرضوه من الضرائب وشكوى الناس حين تحقيق بهم سنوات الجذب وتنزل بهم اعوام القحط فيخف الزرع والضرع فلم يجد الشعراء امامهم غير طريق التعبير عن هذه الشكوى .. ان استقرائي لهذا البناء يأتي في سياق ابنية مختلفة استقرت عليها بعض الاغراض الشعرية والتزم بها الشعراء واخذوا على انفسهم السير بموجبها حتى اصبحت تقليدا يحتذى وبناء يقتدى . ويأتي حديث الراعي النميري في هذا السياق وهو يستوعب مضمون المعاني .

لقد اولى الشعراء حقوق الناس جانبا من قصائدهم ولم يتركوا فرصة الا عبروا عنها . فالراعي النميري استوعب مضمون المعاني التي كان يريد التعبير عنها استيعابا واعيا ، وحاول ان يدلل على ذلك من خلال المعاني التي حاول ان يوزعها في قصيدته اللامية ابتداء من المطلع ، وقد اخذت اشكال التعبير احوالا متناسقة مع طبيعة الغرض المقصود . وكثيرا ما كان الشاعر يرسم الصورة التي توحى بالاحساس ، وبلون القصيدة بما يعطي الدليل على وحدتها فكراً ومضمونا وتعبيراً ، وهو في هذه الحالة يختار المعاني المقصودة ، ويستقي الصور المعبرة ويربط بينهما ربطا محكما من حيث الاداء والتداخل ..

ان الاحساس بمصلحة القوم ، والالتزام بالدفاع عن قضاياهم وتنبه الحكام الى ما تعانيه الغالبية العظمى من جور السعاة الذين اوكل اليهم امر جباية الضرائب كانت موضع اهتمام الشعراء .. وقد حاول الشاعر ان يضع المناسب من اجل الحقيقة التي كان يدافع عنها .

وهو كعادة الشعراء الآخرين الذين حاولوا ان يجسدوا صورة الحديث عن الشكوى من خلال التشخيص الفني او التجريد الذاتي الذي حاول الشعراء ادخاله في قصائدهم ليتخذوا منه سبيلا الى الحديث او مجالا للتعبير عن الهموم المتراكمة ، والاحاسيس الصادقة التي كانت تعمل في النفس ، او الخصائص الذاتية التي تميزوا بها ، لقد اصبح المنهج واضحا عند كثير من الشعراء .. فالراعي يتحسس ظلم السعاة ، ويشعر بجورهم بعد ان كثرت همومه وهو يرى ظلمهم ، وهنا تجلت قدرته في وضع المطلع الذي اظهر فيه تقلبه على مضجعه ، واكد ارقه وطول هذا القلب ليستطيع ان يدخل الى مرحلة التساؤل الذي تركه لخليدة التي بدأت تتساءل عن همه وارقه وطول حيرته .. وهي اشارات تطوي في ثناياها الحيرة التي كانت تتابه وهو يرى جور العمال وظلم السعاة ، والوسيلة التي يمكن ان يعبر بها عن هذه الحيرة والاسلوب الذي يخاطب به الخليفة والاشكال التي يقدمها له لتكون حجة مقنعة ، واساسا لقبول الشكوى .. ان محاولة الشاعر في وضع هذا التساؤل في بداية القصيدة وعلى وفق المنهج التقليدي الذي يضع الحوار داخل القصيدة من اجل لاستفاضة في لحديث المطلوب وفسح المجال امام العرض الذي يريد ان يتقدم به ، والكشف عن الجانب الذاتي الذي يحرك الانسان من اجل الحقيقة ويدفعه من اجل لتعبير ويترك له مجال الحديث من خلال المخارج المقنعة ، والعلل المقبولة ، كل هذه المسائل هي التي حددت له هذا التساؤل وتركته امام الحقيقة التي يريد ان يتحدث عنها من اجل الهدف الاساس والغاية المتوخاة ..

.....

(*) ترك المرحوم مجالا ليستشهد بنص شعري الا انه لم يشبهه فتركناه على حاله وسوف نشير الى هذه النصوص بخط مقطع .

من ولدي فقد عقني والقصيدتان في معنى واحد ، وتجريان في غرض راحلته ، وقد حاول ان يضيف عليها ما يجعلها قادرة على الوصول امينة في حمل الرسالة التي اضطلعت بها ، وآمن بحق هذه المجاميع التي اکتوت بقسوة الجور وعانت من ظلامة ولاة الامور .. وهي وثيقة لها اهميتها لما تضمنته من صراحة ، واحتوته من حرية رأي ، واكتسبته من صدق معالجة ، ولم يكن الراعي وحده صاحب هذه الوثيقة وانما سبقه آخرون امثال يزيد بن الصعق الذي ارسل شكواه الى الخليفة عمر بن الخطاب (رض) وهو يرسم فيها جور القائمين على الاحكام^(٣١) وانس بن ابي اناس الذي خاطب حارثة بن بدر الغداني^(٣٢) وعبدالله بن همام السلولي الذي اكد ذلك في قصيدة مشهورة • حدد فيها اسماء الولاة الذين استغلوا مواقعهم ، والاعمال التي اقترفوها بشكل دقيق وقدمها الى ابن الزبير^(٣٣) .. وبعد هذه القافلة من الشعراء يقدم الراعي وثيقته الجريئة ، ويحمل هموم بني نمير ، من خلال قصيدته هذه التي اكتسبت موقعها حتى قال عنها الراعي نفسه : من لم يرو لي هذه القصيدة وقصيدتي^(٣٤):

بان الاحبة بالعهد الذي عهدوا

من ولدي فقد عقني والقصيدتان في معنى واحد ، وتجريان في غرض واحد ، وان حرص الشاعر على الالتزام بهاتين القصيدتين يشكل هدفا رئيساً في حياته • يضع الشاعر في مصاف اولئك الشعراء الذين نذروا نفوسهم من اجل امتهم ، وحققوا لها الحياة الكريمة ، وعبروا عن طموحها عندما تريد ان ترسم مستقبلها : ووقفوا عند مصائبها عندما نزلت بها النوازل فكانوا السنة صدق صريحة ، واوعية مشاعر امينة ..

٣١ - البلاذري . فتوح البلدان ٣٨٤ .

٣٢ - الجاحظ : الحيوان ١١٦/٣ .

٣٣ - ابن همام السلولي : الديوان / نشره الاستاذ حمد الجاسر .

٣٤ - البغدادي : الخزائن ٥٠٢/١ .

ان اطار القصيدة الواسع يحدد لنا كثيرا من الجوانب الانسانية التي عرف بها هذا الشاعر ويجدد كثيرا من الجوانب الاخلاقية التي اصبحت سمة من سماته ويحدد كثيرا من الجوانب الفكرية التي عبر من خلالها عن فلسفته في الحياة وعقيدته الحنيفية ، وايمانه بحق الدولة التي تؤمن للفرد العدالة وتدفع عنه المظالم ، وتتقذ بقيته من جور اولئك الذين ائتمنتهم الدولة على افرادها ..

ان الجانب الثاني من المسألة لا بد ان ينظر اليه من خلال هذه القصيدة فالعصر عصر حرية افراد يستطيعون ان يقولوا بحق العمال والولاة ما يقولون وان الدولة قد منحتهم هذا الحق من اجل الحرية التي تمسكت بها جماهير الأمة ، وآمنت بضرورتها ، وان القصائد حملت هموم هذه الجماهير وهي ترى ترف الحكام والولاة وعمال الخراج ، وقد كان الشعراء صريحين مع المسؤولين مباشرة . يتحدثون معهم وجها لوجه ، ويحددون لهم الاشخاص والاسباب ، ويبنون المخالفات بوثائقها واسمائها وطرقها . وان هذا الجانب من الشعر لا بد ان يشكل تيارا واضحا من التيارات الايجابية في حركة الشعر التي ازدهرت ..

والراعي في قصيدته (بان الاحبة بالعهد الذي عهدوا) التي مدح فيها عبدالملك بن مروان وشكا السعاة يمثل نموذجا آخر من نماذج المسألة التي حملها الشاعر وعبر عنها بأخلاص والتزم قضيتها بامانة ..

وقد حاول ان يفتتحها بثلاثين بيتا يتحدث فيها عن ناقته التي قطعت الفلاة ، وقد كان دقيقا في وصفها ، وفي متابعة سيرها ، وهي تشق انفيافي لتنتقل الشكوى . ان وقوف الشاعر عند هذه الناقة وتشبيهاه لها وهي ترعرع وتنتقل وتسلق المفاوز ، والدقة المتناهية في كل شارة او وصف ، والتزام التحديد في الخصائص الفنية التي رسمها الشعراء من قبل وابداعه في تجديد بعضها من خلال احاديثه المتميزة عن الناقة .. ثم تطاول الليل عليه . وتقربه من همه كما يتقلب المقرور ثم عودته الى الناقة التي ولع بوصفها ، وشغف بحبها تمثل النموذج المحب ، والصورة المثلى ، والرؤية الواضحة التي عبر من خلالها عن كل الهموم ورسم في صورتها اصناف المشاعر ..

وتعود اليه خليفة والصور هنا تكرر في تجسيد الشاعر لذاته في حديث خليفة ، محاولا ان يعبر عن الهم بعد ان وضع السؤال في عائق هذه المرأة ، ليشرح ما في نفسه من حاجات ، ويعبر عما يكتنف قلبه من هموم ..

.....

ان مفتاح الاستفسار الذي تضعه خليفة هو مفتاح الحديث الذي يريد ان يعبر عنه الشاعر وهو تجريد واضح وتجسيد لتساؤل مشروع درج عليه الشعراء فقلدوه ، فكان حوارا صريحا تناولوا فيه القضية الاساسية التي ارادوا التعبير عنها ، ثم تركوا لانفسهم مجال الحديث ، عن اولئك الذين ازروا باموال القوم وبدأوا باخذ الزكاة مضاعفة وقد عانى الفقير من ذلك معاناة صعبة لانه لا يملك من اللب الا قدر كفايته .. لقد حاول ان يعبر عن احوال قومه مخلصا ، وينقل احساسهم الى المسؤولين ملتزما ، ويرفع شكواهم اليه صريحا وامينا ، وقد استجاب الخليفة لطلبه ، ولعل صورة الالباء والترفع والشرف تتجلى في الحوار الذي دار بين الشاعر والخليفة فعندما تال له عبد الملك ، فتزيد ماذا ؟ قال : ترد عليهم صدقاتهم فتنعشهم . فقال عبد الملك : هذا كثير ، قال : انت اكثر منه قال : فسلي حاجة تخصك ، قال : قد قضيت حاجتي : قال : سل حاجتك لنفسك . قال : ما كنت لافسد هذه المكرمة . (٣٥)

ان صورة الشاعر وهي تحمل النقل الامين لهموم الجماعة ، والاحوال الجائرة التي ترتكب باسم السلطان ، وتبصير اولي الامر بها لوضع حد لها ، وتخليص هذه الجموع مما تعانيه ، وانقاذها مما تتجرعه على ايديهم تشل الريادة الحققة في اداء الرسالة ، والصيغة السليمة التي يجب ان يتشمل بها كل الشعراء الذين ترك لهم مجال التعبير ، وحملوا رسالة القلم ، واستوعبوا احساس المجاميع الكبيرة التي كانت تنظر اليهم باحترام ، وتسلم مقاليدها اليهم بثقة .

وكان الراعي من خلال هاتين القصيدتين صادقا مع نفسه لانه استطاع ان يحقق لها وظيفتها في العمل والاحساس ، وصادقا مع غيره لانه استوعب المسألة ، وادرك ابعادها ، وادى اماتها من دون ان يبالى بما يترتب عليها ، وقد كان موفقا في اختيار المعاني والتمهيد والانتقال ووضع الصور في المواضع المناسبة وهذا ما جعل هذه القصائد وغيرها صورة من صور الالتزام الحقيقي .

لقد حاول الشعراء الامويون ان يخلصوا النية في التعبير عن هموم الناس وهم يجدون في هذا الضرب الشعري مروءة الفوا خصائصها وشجاعة لم يتخلوا عنها وجرأة تعودوا على ممارستها يوثبهم حدس قومي ويحملهم شعور ديني ويلزمهم وجدان قلبي ويبقى الصوت الانساني الذي ظل قيمة عليا والوفاء العربي مثالا لا يمكن التفريط به هو الهاجس الذي يحرك الشعراء ليقى الالتزام عنوانا يدافعون عنه والدفاع عن الانسان نداء تستجيب له حواسهم والمشاركة الوجدانية لمعاناة الآخرين جزءا من كيانهم واستكمالا لما اخذوا انفسهم به وهم يدركون ان هذه الشكوى هي الصوت الوجداني الذي لا يمكن التخلي عنه وان هذا البناء اصبح جزءا من التكوين العام للقصيدة بعد ان اكتسب الهيكل العام بمفردات لزموا انفسهم باستعمالها وتسلسل توافقت فيه دلالات التعبير وهي تأخذ مداها النفسي من ابتداء بالمديح او استذكار بالسلف الصالح ودعاء لما يدخل الرضا الى قلب الخليفة ويرفق عاطفته وينزله المنزلة التي توجب عليه حماية الناس وحفظ ارواحهم وتهئية ارزاقهم وابعاد شبح الموت عنهم بعد ان تعرضوا لظلم فادح وجوع مقيت وهزال مرير .

لقد كان الجذب هاجسا يلح لانه لم يترك للناس ما يرضى وكان الفقر ونجها لهذا الهاجس تتجلى صورته بما تصاب به الحال الكريمة وهي انضاء هزلي يصعب عليها السير بعد ان اسودت حلما تضرعها . ويتمنى ان تنجلي غمة هؤلاء القوم وتذهب الشدائد التي احاقت بهم على يدي خير البرية ..

.....

ويجعل الشعراء هؤلاء من طلاب الحاجات الذين يشق عليهم الدرب بعد
ان لم تترك لهم الايام التي عرقت اثابها السقام المصعد .

وفي قصيدة اخرى يأتي على نياق ضوامر تطلب حاجات بطريق صعب
يقطعن ليلا حذاريا لم تترك سنوات القحط لهذه النياق سناما ولا طعاما
لليتامى الذين يهددون الى ظل قدر مهتدين بنار احد الاضيف ..

وتصل الشكوى الى احد الاستغاثة حين يكثر الشكاة وترتفع الصيحات
وهي تتضرع الى الله ان يفرج عنهم .

.....

وكان نداء الاستغاثة الى امير المؤمنين الذي احتجزته صحار تتمطى بقطعها
ظواهر المهاري بعد ان احب ماءها واستسلم القطا وهو المعروف باهتدائه الى
الماء للعطش لبعد الماء عنه وقد تاه الدليل .. اما المنادون الذين تكالبت عليهم
الذئاب بعد ان قذف بهم الجذب فكانوا يذودون الذئاب عن عيالهم وتتجلى
براعة الشاعر حين يصف هذا المنادي بما يعجز عنه التصوير وتتجدد فيه حالة
الهزال فاذا بالطائر يجد لحما على عظمه لما اعتراه من هزال وهي صورة جديدة
استطاع الشاعر ان يحرك فيها وجدانه ويطاق لخياله عنان البعد الذي توجيه
له حالة الفقر وتخلفه دواعي الفاقة هؤلاء المنادون رأوا الشاعر فارتفعت
اصواتهم وهو يسوق مطيته باصوات جائعة واجساد نحيفة .. طالبين اغاثته
وتبليغ دعوتهم الى خير الناس بعد ان عزموا وجهته وابقنوا انه سيصل اليه
ووجد الشاعر نفسه ملزما ان يبلغ الدعوة ويستجيب لنداء الموت الذي طوى
هؤلاء اذا بلغ الله فاقتة الخليفة وانه سيخبره بما سمع ورأى ويبلغه بصور
الذئب الذي كان يزورهم كل عشية والكيفية التي كان يراوح بهزلهم
وهي الصورة التي اعتاد الشعراء على ذكرها في هذه الحالة ليأخذ

من النياق التي اهلكها الجذب لانهم كانوا يجعلونها حولهم ليدفعوا بها الذئاب
عن الابل التي لاتزال حية وهنا يبرز الشاعر لوحة اخرى وكأنه يستدرج الجوع
الذي يتسلل الى كل مفصل من مفاصل حياتهم ويواكب غوائله وهي تنحت في
كل جسم لا يفرق بين انسان او حيوان ولم يترك لهم فرصة الا اهتبلها لبيان
كل عضو من الاعضاء ..

.....

لقد كان صور الفرزدق وهو يتحدث عن هذا الجانب وينتزع الصور
الحية من واقع الحياة المر ويكشف عن الجوانب المؤلمة التي بدأت تأكل الناس
وتوغل في ابدانهم وهم لا يملكون ما يدفعون به غائلة الجوع ومخمصة الفاقة
وقربة العدم .. كانت صورة حية تتحدث بلسان اصحابها ، مجسدة تدل على
العمق الذي تجلّى في شاعرية الشاعر وهو يوغل في اعماق هذا الانسان الذي
لم يبق امامه وهو يواجه الموت الا هذا الصوت ولم ير الا ذلك ..

واذا كان الراعي والفرزدق قد خصوا الناس بهذه الصور الشعرية وافرغوا
جزءاً من حياتهم لاولئك الذين استبد بهم الجوع فوجدوا في الموت نجاة وفي
الحشر راحة فان جريراً قد اهابت به مروءته وانتفضت في اعماقه عزة قومه
فكانت صرخة الى سليمان بن عبدالمك وقدم لها باربعة عشر بيتاً اوحى
فيها لوم العاذلة بعد ان تلى الرحيل الرواحل وقد اجهدها السير حتى علت
كواهلها على اسنامها وحشد من مفردات (النحول) والرحيل واللوم والعاذلة
والاخلاق والافناء وضمور الانسجة ويلي الاطلال والبعد والفراق واليأس ما
يوجي بما يعاينه اولئك الذين يتحدث عنهم ليصل الى سليمان المبارك الذي
سعى اليه ليحبر المظلومين وما الشاعر الا رسول عهدت اليه امانة واودعت
عنده ولا يجيد رسالة فأوصلها الى العادل الذي يوبع لثبات عهده واصبح في

ميزانية لاتميل وبعد ان يهيء هذا التقديم ، وينقل اليه الرسالة التي يصف فيها
حالة القوم بعد ان اضناهم الجوع واضربهم الجذب فأمسوا واكثرهم كلول ..
وقد عزت بهم الخيلة فاتجهوا وهم بين ارامل ويتامى اكثر زادهن سيور الجلد
وعصب المقيته المشوى في الملة وقد اسودت وجوههن كناية عن الجوع وبين
متعب اقعده الجهد واسير ناءت به القيود ونساء اودعن السجن ..

.....

وفي قصيدة يمدح فيها عمر بن عبد العزيز .. يدؤها بلوم امامة وجهد
الرواحل ثم يتهل الى الله لاصلاح قوام الدين على يد خليفة الله الذي يرمي
عند النوائب ويغاث به اذا المت نازلة او احاطت ازمة او وقعت بلوى .. ثم
يذكر الارامل الشعث واليتيم الضعيف وهم يدعون دعوة ملهوفين بصراخ
المخبولين ممن تأملوا في الخليفة كفاية لفقد الوالد ورجاء المطر وجاء عظم هيض
منكسر . وقد وضعوا فيه ما ظلوا يحلمون به ..

.....

وفي قصيدة اخرى يمدح الحجاج ويشكو اليه زمان المحل وشرب الماء في
زمن الجليد وانقطاع الدر والعيال شعاب والوجوه السفح التي اhalها القحط
الى محاجر سود ..

.....

لقد اكدت النماذج التي وقفنا عليها بناء قصيدة الشكوى وهي تبدأ بالمديح
عند جرير والفرزدق وحديث الناقة المتعبة والمجهدة التي تصل الى خير الناس
لتنقل اليه احوال اليتامى والارامل الذين اتعبهم القحط واجهدهم المحل وأضرت
بهم جباية السعاة وكأن الشعراء وجدوا في مقدمة المديح الذي يصلون من

خلاله الى صفات العدل التي عرف بها الخليفة وتعاق الناس به وهو المنقذ مما
آلت اليه الاحوال سببا من اسباب الاستغاثة وحيلا يتعلتون به ليلتفت الى هؤلاء
الذين جسد الشعراء احوالهم وعبروا عن واقعهم واستوحوا دواعي المجاعة ما
يكفى ليكونوا موضع رحمة الخليفة بعد ان جعلهم الله سبحانه وتعالى من
رغبته ولا يمكن ان يكونوا بعيدين عن حمايته وعنايته وكانت القصائد توحى
منذ البداية بحالة التعب والنحول والجزال والجهد وكأنهم ارادوا ان يمهّدوا
للموضوع بما يجعله مقبولا وقريبا من الحالة المطلوبة وفي هذا التمهيد
تستكمل ابعاد الصورة النفسية التي تجعل من الشاعر قادرا على ايصالها وهي
تتجسد اداء وتتضح تأثيرا وتتجلى تعبيرا .. واذا حاول الشعراء ان يختزلوا
هذا البناء فان الجو الواقعي الذي كانت تدور الاحداث فيه هو الذي يحدد
المدى الشعري والتناول الموضوعي ومن هنا كانت القصائد تأخذ مديات مختلفة
على وفق ما كان يقتضيه واقع الحال ..



رحلة ابن بطوطة

((دراسة في الجغرافيا الاقليمية))

الاستاذ الدكتور علي محمد المياح
عضو الجمع العلمي

المقدمة

ذكر محمد بن محمد بن جزي الكلبي في مقدمة تفاصيل اسم ابن بطوطة ونبذة عن حياته قائلاً : (هو عبدالله بن محمد بن عبدالله بن محمد بن ابراهيم اللواتي ثم الطنجي المعروف بابن بطوطة ، المعروف بالبلاد الشرقية بـشمس الدين ، وهو الذي طاف الأرض معتبراً ، وطوى الأمصار مختبراً ، وباحث فرق الأمم ، وسبر سائر العرب والمعجم ^(١) . ولد ابن بطوطة في طنجة في يوم الاثنين السابع عشر من رجب الفرد سنة (٧٠٣ هـ) وتوفي سنة (٧٧٠ هـ) وقيل سنة (٧٧٩ هـ) ^(٢) . وفيها درس العلوم الشرعية على ماعرف من أسرته من اهتمام بها دراسة وافية حتى جعله الحجاج المغاربة رفاقه في السفر وهم في الطريق الى مصر قاضياً لهم . وكان ابن بطوطة ينوي اداء فريضة الحج فحسب . وهو يتحدث عن ذلك قائلاً :

(كان خروجي من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس الثاني من شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة معتمداً حج بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، منفرداً عن رفيق آنس بصحبته ، وركب أكون في جملة ، لباعث على النفس شديد العزائم ، وسوق الى تلك المعاهد الشريفة كامن في الحيازم . فجزمت أمري على هجر الأحياب

(١) رحلة ابن بطوطة ، دار التراث ، بيروت سنة ١٩٦٨ م ص ٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠ .

من الاناث والذكور ، وفارقت وطني مفارقة الطيور للوكور . وكان والدائي بقيد الحياة فتحملت لبعدهما وصباً ، ولقيت كما لقيا من الفراق نصبا ، وسني يومئذ ثنتان وعشرون سنة) . (٣)

ولكنه لم يلق عصا الترحال ويستقر به المقام في بلده ثانية الا بعد أن أمضى مايزيد على عشرين سنة ، قضاها متنقلاً في مختلف بلاد العالم طاعماً حوالي مائة وخمسين وسبعين الف ميل . (٤) فارتحل براً الى بلاد العرب وأواسط آسيا والهند والصين ، وركب البحر الى جزر الهند الشرقية والمالدين (ذية المهل) وظفار وجنوب الجزيرة العربية . ولكنه ما كاد يستقر به الحال في بلده حتى عاودة الحنين الى السفر فزار الاندلس والسودان .

وعاش ابن بطوطة في عصر انقسمت فيه الدولة العربية الاسلامية الى ممالك ودويلات بعد انحلال الخلافة العباسية واجتياح المغول للمشرق وفي جملته العراق . وكانت القاهرة ودمشق تحت حكم المماليك وتخضع بلاد المغرب لحكم المرينيين ، منهم السلطان ابو عنان المريني . أما مناطق الشرق البعيد فكان يتولى شؤونها حاكم أو ملك من أهلها . ففي الهند مثلاً يحكم الملك (فيروز جوه) الذي استعمل ابن بطوطة في خطة القضاء . ولكن رغم ذلك بقي الاسلام سائداً وظلت اللغة العربية شائعة في أرجاء هذه البلاد . وبقي العلم سائراً في ظل الاسلام والعربية . لذا تميز القرن الثامن للهجرة بوجود كثير من اعلام الحفاظ الذين اعتنوا بحفظ الحديث وتبحروا في دراساته المتعددة الواسعة الى جانب تمكنهم من علوم مختلفة امثال ابن كثير ومؤلفاته العلمية في التفسير والحديث والفقه والتاريخ والتراجم . (٥)

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٠ .

(٤) اغناطيوس يوليا نوفتش كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، نقله الى العربية صلاح الدين عثمان هاشم ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، القسم الاول ، ص ٤٢١ .

(٥) مسعود الرحمن خان الندوي ، ابن كثير ، حياته ومؤلفاته ، مطبعة عمدم ، عليكره ، ١٩٧٩ ، ط ١ ، ص ٩ .

وازدادت العناية بالتأليف في هذا العصر وظهر سيل من المؤلفات العلمية الإسلامية أغلبها تتصل بالعلوم الدينية . وبذلك عوض علماء هذه العصر الثقافة العربية الإسلامية خير عوض عما أيد في نكبة بغداد على يد التتار ، وفي الشام على أيدي التتار والافرنج ، وفي الاندلس على أيدي الافرنج . وزخرت المكتبة العربية الإسلامية بثمار علمية وفكرية في دراسات وابحاث متنوعة .^(٦)

الا ان تقدم الحضارة العربية الإسلامية لم يكن طليقاً فقد حالت دون ذلك وقيدته عوامل معينة . ويصدق هنا ما أورده الشيخ أبو زهرة عن الحالة العلمية التي اتسم بها القرن السادس والسابع والثامن للهجرة حيث يقول : (واذا كانت القرون الثلاثة قد امتازت بشيء ، فقد امتازت بكثرة العلم لابعمق الفكر . فقد كانت المعلومات كثيرة ، وتحصيلها كان بقدر عظيم ، وعكوف الناس عليها كان كبيراً . ولكن التفكير المطلق في مصادرها ومواردها المقايسة بين صحيح الآراء وسقيمتها مقايسة حرة نزيهة لم تكن بقدر يتناسب مع تلك الثروة المثيرة التي توارثتها الاجيال) .^(٧)

ولعل هذا حمل احد الباحثين الى القول بان الحضارة العربية تبدو في صفحات ابن بطوطة قليلة الحركة والنشاط والتوثب .^(٨) وهذا قول له مأخذه . وازدهر عصر ابن بطوطة بكثرة الموسوعات واكبرها موسوعتا النويري والعسري . وتحتل الجغرافية مكانة مرموقة فيهما . ويتصل نمط الموسوعات الى كتاب (مباحج الفكر ومناهج العبر) لمؤلفه محمد بن ابراهيم الوطواط المتوفي سنة ٧١٨ هـ . ويعد شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب

(٦) المصدر نفسه ، ص ٩ - ١٠ .

(٧) محمد أبو زهرة ، ابن تيمية ، حياته وعصره ورائه وفقه ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٥٤ ، ص ١٥٤ .

(٨) نقولا زيادة ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، دار الكتاب اللبناني - دار الكتاب المصري للطباعة والنشر ، بيروت - القاهرة ، ، ١٩٦٢ ، ص ١٩٠ .

البكري النويري (ت / ٧٣٢هـ) خير ممثل للوسط الذي وضعت فيه الموسوعات . ويتناول مصنفه الاساسي الكبير المعنون (نهاية الأرب في فنون الادب) معلومات جغرافية واسعة تشمل الظواهر الجوية والفصول وأبعاد الأرض والاقاليم السبعة وتضاريس سطح الأرض من جبال وبحار وبحيرات وأنهار وجزر فضلاً عن الظواهر البشرية المصلة بالمدن وسكانها وآثار المنازل والمحال .^(٩)

ويعاصر النويري شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله العمري الدمشقي المتوفي سنة ٧٤٩هـ . وتقتصر مادة موسوعته (مالك الابصار في ممالك الامصار) على الجغرافيا والتاريخ وحدهما . ويبرز بين مؤلفي هذا القرن شهاب الدين ابو العباس احمد بن عاي الذي ولد عام ٧٥٦هـ وتوفي عام ٨٢١هـ . أي انه عاش بعد وفاة ابن بطوطة حوالي نصف قرن . وقد وضع كتابه في الاصل لكتاب الدواوين وأطلق عليه اسم (صبح الاعشى في صناعة الانشا) . ويذكر فيه معلومات جغرافية متنوعة مبتدئاً بوصف مفصل لمصر والشام ، ويتحدث عن اليمن والساحل الشرقي شبه الجزيرة العربية بما في ذلك عمان . وينتقل الى وصف الهند ، يعقبه وصف منظم للبلاد الواقعة الى غرب مصر وما يليها من الجنوب والشمال . وتحتل معلوماته الجغرافية عن مصر والشام أهمية خاصة لانه ينقل إنطباعاً مباشراً ويذكر معلومات جمعها عن دراسة ميدانية ومعاينة شخصية . ولكنه ينقل بعض مادته الجغرافية من ابن حوقل والمسعودي والبكر والادريسي والبيروني وغيرهم .^(١٠)

ومن هؤلاء كمال الدين بن عبدالرزاق بن أحمد الشيباني المشهور بأبن القوطي . ولد ببغداد في السابع عشر من المحرم سنة (٦٤٢هـ) وتوفي

(٩) كراتشكوفسكي ، تلخيص الادب الجغرافي ، القسم الاول ، ص ٤٠٨ .

(١٠) المصدر نفسه ، ص ٤١٦ .

سنة (٧٢٣هـ) . (١١) وكان وراقاً كثير التنقل والاسفار في ممالك المغول وخصوصاً بين العراق وأذربيجان أو بين أذربيجان وآران (ققاسيا) وما الى ذلك . وانه لايجاري في الاطلاع على شؤون ممالك المغول من أقاصي الصين وبلاد الترك الى بلاد الروم وفارس والهند سياسياً وجغرافياً وثقافياً . (١٢)

ويتفرد ابن بطوطة بين هؤلاء بدراسة جغرافية عملية عالمية اعتمد فيها على المشاهدة والمعاينة الشخصية ، ولم ينقل عن كتب غيره ممن سبقوه أو عاصروه . فقد كان رحالة نشيط العقل دقيق الوصف ، حتى ان بعض ما ذكره عن (سري لانكا) أصبح مادة اعتمدتها الدولة دعاية لمرافقتها السياحية الحالية . وقد اعتبر الجغرافيون العرب المشاهدة والمعاينة الشخصية وسيلة مهمة جداً من وسائل جمع المعلومات ، ومرحلة دراسية لا تتم للباحث أدوات بحثه بدونها . فلا غرو أن عاب المقدسي على بعض من سبقوه افتقارهم الى الدراسة الميدانية والمشاهدة العملية . فقال عن أبي عبدالله الجيهاني (انه صاحب فلسفة ونجوم وهياة ، أقتصر على سؤال الغرباء عن الممالك ودخلها وكيف المسالك اليها) . (١٣) ومثل هذا النقص ذكره عند أبي زيد البلخي فقال عنه (وما دوخ البلدان ولا وطىء الاعمال) . (*)

وطبق هذا النهج العلمي القائم على المشاهدة والمعرفة الشخصية ابن حوقل في وضع كتابه المعنون (صورة الأرض) حيث يقول : (واعانني عليه تواصل السفر وانزعاجي عن وطني مع ماسبق به القدر ، الى أن سلكت وجه

(١١) مصطفى جواد ، ابن الفوطي ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، المجلد التاسع ، سنة ١٩٦٢ ، ص ٤٣ .

(١٢) محمد رضا الشيببي ، مؤرخ العراق ابن الفوطي ، مطبعة التفيض ، بغداد ، ١٩٥٠ ، ج ١ ، ص ٥٠٤ .

(١٣) المقدسي (ت / ٣٩٠ هـ) ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، مطبعة ، بريل ، ليدن ، ١٩٠٦ ، ص ٣-٤ .

(*) المصدر نفسه ، ص ٤ .

الأرض بأجمعه في طولها وقطعت وتر الشمس على ظهرها) . (١٤) وهكذا يصبح ابن بطوطة ، وفقاً لهذا المعيار ، في عداد الجغرافيين شاء أم أبى . وإن ما كتبه ينفرد بمعلومات جغرافية تضعه في مكان خاص به وتميزه عن غيره . إن معرفة كل هذا والاحاطة به يقتضيان الوقوف على فحوى هذه الرحلة وقوفاً يفي بفرض البحث .

مضمون الرحلة :

تدرس الباحثون مضمون رحلة ابن بطوطة واستخلصوا منها معارف توزعت مادتها على مختلف حقول العلم والمعرفة . فقد وجد فيها اللغوي ألفاظاً لم يرد كثير منها في المعاجم العربية ذكر ، وما ورد منها فيها جاء بمعنى غير الذي عناه ابن بطوطة (١٥) وهي عند بعض المؤرخين سفر لتاريخ إجتماعي سجله المسلمون في عصره . (١٦) وما يجدر قوله أن ابن بطوطة قد اعتبر هذا التاريخ كلا متكاملًا وما يظهر من تباين في بعض جوانب الحياة من مكان لآخر يمكن أن نستشفه من الاثار القوية التي تتركها العادات والعناصر الحضارية المحلية المتأصلة في المجتمع . والواقع أن هذه الحقيقة تدفع للقول بأن الباحث في علم الانسان ، ولاسيما ذلك الذي يهتم بالجانب الحضاري ، Cultural Anthopology يجد بغيته في مضامين هذه الرحلة . فإن شيخ الرحالين يسهب في ذكر عادات الناس وتقاليدهم ولباسهم

(١٤) ابن حوقل (عاش في القرن الرابع الهجري) صورة الارض ، دار سكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ١٠ .

(١٥) سليم النعيمي ، الفاظ من رحلة ابن بطوطة ، مجلة المجمع العلمي العراقي بغداد ، المجلد الرابع والعشرين ، ١٩٧٤ ، ص ١٩ - ٥٠ ، المجلد الخامس والعشرين ، ص ٣ - ٤٨ ، المجلد السادس والعشرين ، ١٩٧٥ ، ص ٣٣ - ٧٠ .

(١٦) بقولاً زيادة ، الجغرافيا والرحلات عند العرب ، مصدر سابق ، ص ١١٠ .

وماكلهم وشربتهم • ولا يترك مظاهر الفرح في اعرسهم والاتراح في جنازهم
الا ذكرها وحركة تنقلهم • فهو يذكر لقاءه مع محمد بن عبدالله الدوري
التكريتي في الهند مشيراً الى استمرار ترابط ديار الدولة العربية الاسلامية
رغم انقسامها وتعدد حكامها وملوكها • وهذا سجل لانجد بين أيدينا اليوم
ما يضافه • فكتاب «روث بنيدكت» الذي ذاع صيته وتكررت طبعاته يقتصر
على ذكر عادات وتقاليد جماعات صغيرة دفعها القهر والتسلط الى العزلة مثل
الزوني Zuni من الهنود الحمر في صحراء «نيومكسيكو» بالولايات
المتحدة ، وامثالهم من بني جلدتهم في «فانكوفر» بكندا ، وجماعة
الدوبس Dobus في جزر ميلانيزيا بالمحيط الهادي ^(١٧) • وكتاب «سالي
كاريجار» المعنون (ضوء القمر في منتصف النهار) الذي قصرته على تتبع
مظاهر الحياة عند الاسكيمو في الاسكا • ^(١٨) وعلى غرار ذلك رحلة
« فان در پوست » الى صحراء كلهاري في غرب افريقيا متتبعا حياة جماعة
« البوشمن » الذين جاءوا الى هذه الارض المجربة فراراً من طغيان الاوروبيين
في الجنوب وسكان الغابات والهضاب في الشمال • ^(١٩) وليس الغرض هنا سرد
ما كتب في هذا الموضوع وانما موازنة مضمون رحلة ابن بطوطة ، على قدمها ،
مع نظيراتها في يومنا هذا • فرحلة ابن بطوطة تعكس صورة مشرقة لمجتمع له
تقاليد وعادات راسخة تنتشر فيه مؤسسات العلم والمعرفة وتحكمه قواعد
مقننة في تصريف أمور الادارة وشؤون المال • وهو من خلال تنوعها يحاول ان

(١٧)

Ruth Benedict, patterns of Culture, New York, Penguin Books,
1934.

(١٨)

Sally Carrighar, Moonlight At Midday, Penguin Books, 1958.

(١٩)

Laurens Van der Post, The Lost World of The Kalahari, penguin
Books, 1968.

يعرض أصل تكاملها على أساس من الدين الاسلامي واللغة العربية . في حين اقتصرت دراسات الآخرين ورحلاتهم على جماعات بدائية مقهورة منزلة ترى الحياة في ضوء صراعها الشخصي مع بيئة قاسية ، تخاف الطبيعة وتشك في من يجاورها .

ويبدو من سياق الرحلة ان ابن بطوطة كان عظيم الاهتمام بالناس قليل الخناوة بالأرض والمدن . (٢٠) ولكنه اذا ذكر الأرض أبرز معالمها وصفتها العامة . فيقول في وصف الطريق من بدر الى مكة : (ورحلنا من بدر الى الصحراء المعروفة بقاع البزاء ، وفي منتهاها وادي رابغ يتكون فيه بالمطر غدران يبقى بها الماء زماناً طويلاً ٠٠) . (٢١)

ويذكر ان وادي مُحسّر هو الحد بين مزدلفة ومنى . ولعرفة ثلاثة اسماء وهي : عرفة وجمع والمشرع الحرام . (٢٢) ويذكر ابن جبّير ان مزدلفة بين منى وعرفات : من منى اليها ما من مكة الى منى ، وذلك نحو خمسة أميال . ومنها الى عرفات مثل ذلك أو أشف قليلاً وتسمى "المشرع الحرام" ، وتسمى جميعاً ، فلها ثلاثة اسماء . وقبلها بنحو الميل وادي محسر ، وجرت العادة بالهرولة فيه ، وهو الحد بين مزدلفة منى ، لأنه معترض بينهما . (٢٣) ومن هنا يبدو واضحاً ان ابن بطوطة كتب ما شاهده ولم ينقل عن أحد سبقه . ويذكر وادي العروس قائلاً : (فتزودنا منه بالماء من حيات يخفرون عليها الأرض فينبطون ماءً عذباً معنيًا) . (٢٤) والحسي هو السؤل من الأرض يستتقع فيه الماء . ويذكر ابن جبّير هذا

(٢٠) نقولاً زيادة ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، مصدر سابق ، ص ١٩٠ .

(٢١) رحلة ابن بطوطة ، ص ١٢٣ .

(٢٢) المصدر نفسه ، ص ١٦٤ .

(٢٣) أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبّير (ت / ٦١٤ هـ) ، دار الكتاب اللبناني ،

بيروت - ص ١٢٩ .

(٢٤) ابن بطوطة ، ص ١٦٩ .

الوادي الذي يقع على طريق المدينة المنورة والعراق قائلًا : (فنزلنا يوم الاثنين ، ثالث يوم رحلنا المذكور ، بوادي العروس ، فتزود الناس منها الماء يحفرون عليه في الأرض بئراً فينبع منها ماء عذب معين يروي الأمة التي لا يحصى لها عدد ٠٠) . (٢٥) . ويذكر ابن بطوطة سميرة ، وهي أرض غائرة في بسيط يشبه حصن مسكون وماؤها كثير في آبار إلا أنه زعاق . ويأتي عرب تلك الأرض بالغنم والسمن واللبن فيبيعون ذلك من الحجاج بالثياب الخام ولا يبيعون بسوى ذلك . (٢٦) . ولا تختلف تفاصيل ابن جبير عما سلف ذكره حيث يقول : (سميرة ، وهي موضع معمور ، وفي بسيطها شبه حصن يطيف به خلق كبير ، مسكون . والماء فيه آبار كثيرة إلا أنها زعاق ومستنقعات وبرك . وتبايع العرب فيها مع الحاج فيما أخرجوه من لحم وسمن ولبن) . (٢٧) .

وقد يصف ابن بطوطة خصائص المدن وترتيب خططها فيتحدث عن مدينة حلب قائلًا : (وهي من أغز البلاد التي لا نظير لها في حسن الوضع واتقان الترتيب ، واتساع الأسواق ، وانتظام بعضها ببعض . واسواقها مسقفة بالخشب ، فاهلها دائماً في ظل ممدود ، وقياسريتها لا تماثل حسناً وكبراً ، وهي تحيط بمسجدها ٠٠٠ أما خارج المدينة فهو بسيط أفيح عريض به المزارع العظيمة وشجرات الاعناب منتظمة به ، والبساتين على شاطئ نهرها ، وهو الذي يمر بحماة ، ويسمى العاصي ، وقيل : انه سمي بذلك لأنه يخيل اننا نراه ان جريانه من اسفل الى علو) . (٢٨) .

وهكذا ينتقل ابن بطوطة من وصف الأرض الى الحديث عن معالم المدن ، فيذكر تخطيط مدينة حلب فاذا به لا يخرج عن التخطيط العربي

(٢٥) ابن جبير ، ص ١٤٩ .

(٢٦) ابن بطوطة ، ص ١٦٩ .

(٢٧) ابن جبير ، ص ١٥٠ .

(٢٨) ابن بطوطة ، ص ٦٦ .

الاسلامي المؤلف حيث يحتل المسجد موقعاً متوسطاً والسوق يجاوره • فمما لاسك فيه ان سعة اسواق المدينة وحن نظامها واتساقها يعكس إزدهار نشاطها التجاري • ولا يغفل ابن بطوطة أن يشير الى سهلها المجاور ونوع الزراعة السائدة فيه • فهي زراعة كثيفة تحتل حدائق الكروم وبساتين الزيتون أجود الأراضي لصغر مساحة السهل وارتفاع كلفة الري وقلة دخل محاصيل الجبوب إن زرعت • ثم ينل الى ذكر نهر العاصي ويشرح سر تسميته مقدماً لفظاً عربياً لنوع من تسميات الانهار لم يتفق على ايجاد ما يقابل اللفظ الانجليزي anticlinal river وقد أطلقت على هذا النهر عدة تسميات منها النهر المقلوب لانه يجري من الجنوب الى الشمال خلافاً لبقية أنهار بلاد الشام التي تجري من الشمال الى الجنوب • وقد أطلق الشاعر العربي ابو العلاء المعري عليه اسم نهر الميماس والنهر الكبير •

وعلى هذا النحو يصف ابن بطوطة قيسارية الموصل بأنها مليحة لها أبواب حديد ويدور بها دكاكين وبيوت بعضها فوق بعض • (٢٩)

هذه الصور الاقليمية المتنوعة تسبغ على مضمون رحلة ابن بطوطة سمة الدراسة الجغرافية ، لان هذا الحقل من حقول المعرفة يعنى بدراسة صور التباين الاقليمي وتحليل عوامل هذا التباين • وهكذا يحذو ابن بطوطة حذو الباحث الجغرافي في منهجه وجوهر مادته ولذلك فان مضمون هذه الرحلة يتيح للباحث الجغرافي ان يتقصى صور التنوع الجغرافي التي يزخر بها هذا المضمون ويوضح مقوماتها الاقليمية • وهذا أمر سيرد ذكره في مضامين هذه الدراسة •

يكشف مضمون رحلة ابن بطوطة عن غياب سلطة مركزية تتولى شؤون الدولة العربية الاسلامية وترعى حكمها كما كانت عليه الحال في القرون السابقة . فقد تبدل الحال في القرن الثامن الهجري واصبحت الدولة مقسمة الى اقاليم ينهض بشؤونها ملك أو سلطان يدين له بالولاء عدد من الاحكام يبعث اليه كل واحد منهم هدية سنوية والاّ عزله . ولا يتحدث ابن بطوطة عن شؤون هذه الاقاليم إلاّ اماماً حيث ينصب جلّ حديثه عن حكام ولاياتها واطوائهم . وتختلف تسميات الحاكّمين في هذه الاقاليم فهو (القان) في الصين ، و (السلطان) في الهند يتبعه ملوك وهو (الملك) في اليمن يتبعه سلاطين . ويظهر التباين الاداري جلياً من مكان لآخر تبعاً لاختلاف طريقة الحكم وسلوك الحاكّمين . والواقع ان كثرة صورة التنوع الاداري ترتبط بظروف اقليمية جغرافية محدّدة . وتزداد هذه المراكز عدداً كلما ازدادت وعورة الارض واسبغت على بعض المناطق منعة وحصانة بحيث يسهل على قلة من الناس الدفاع عنها والاستقلال بحكمها ، وان بقي حاكمها يدين بشيء من انولاء لملك البلاد او سلطانها . وينقل ابن بطوطة احياناً واقع بعض المناطق وظروفها الجغرافية فيتحدث عن ظفار قائلاً (. . . هي آخر بلاد اليمن على ساحل البحر الهندي . . . وبين ظفار وعدن في البر مسيرة شهر في صحراء ، وبينها وبين حضرموت ستة عشر يوماً وبينها وبين عمان عشرون يوماً ، ومدينة ظفار في صحراء منقطعة لاقرية بها ولا عمالة لها) . (٣٠) ومثل هذه الظروف الجغرافية تفرض شيئاً من العزلة والمنعة الطبيعية والابتعاد الاداري ، ومثل هذه الحال تتكرر في بلاد الروم (هضبة الاناضول وماجاورها) وان اختلفت مقومات البيئة هنا إذ ينقل ابن بطوطة أخباراً عن حكام (مغنيسية) و(برغمة) و(بلى كسرى) و(برصا) و(كردي بولي) و(قسطمونية) و(أنطاليا) . ويتحدث

ياقوت عن انطاليا قائلاً : (بلد كبير من مشاهير بلاد الروم . . حصن للروم على شط البحر منيع واسع الرستاق كثير الأهل ثم تنتهي الى خليج قسنطينة) . (٢١) وقد تحصل الجزر علي شيء من الحصانة والمناعة والعزلة مما يتيح المجال لاهلها إدارة شؤونهم بأنفسهم . ومثال ذلك جزر ذبية المهل (المالديف) التي يتكون من نحو ألفي جزيرة تنتشر في المحيط الهندي غرب الطرف الجنوبي من سواحل الهند . وهكذا عملت اوضاع الاقاليم على تعدد حکامها . فظفار وعمان عبارة عن مجموعة واحات تحيط بها صحراء منقطعة لايسهل الوصول اليها الا باعداد قليلة . ومثلها أحواض الاناضول وجبالها الوعرة . كما أتاح ظروف ذبية المهل مجالا جغرافيا منعزلا تقريبا حتى يومنا هذا . وفي جميع هذه الاحوال لايمتد نفوذ الحكام بعيداً عن اقليم الولاية بحيث ان مجال حکمهم يمثل مايعرف باسم المدينة - الدولة . والسى جانب هذه تظهر ممالك كبيرة مثل الصين . فالقان هو سلطان الصين الاعظم الذي تشمل مملكته بلاد الصين والخطا . (٢٢) ومثل ذلك يمكن ان يقال عن ملك الهند ، وملك مصر تخضع دمشق لأمرته ، وملك العراق يولّي على شيراز سلطاناً بأمره . وفي ابن بطوطة بحاجة المؤرخ فيذكر اسم حاكم الاقليم الذي زاره . ونظراً لطول سفره وترحاله فقد يتغير الحاكم عند دخوله الى المنطقة في زيارته الاولى وعودته اليها مرة ثانية . ونذكر امثلة من هؤلاء الحكام ، ابتداء من المغرب الى المشرق ، على النحو الآتي : -

- ملك غرناطة السلطان ابو الحجاج يوسف ابن السلطان ابي الوليد اسماعيل بن فرج بن اسماعيل بن يوسف بن نصر .
- سلطان تونس ابو يحيى ابن السلطان ابي زكريا ابن ابي حفص .
- سلطان مصر الملك الناصر ابو الفتح محمد بن الملك المنصور سيف الدين

(٢١) ياقوت الحموي ، (ت/٦٢٦هـ) معجم البلدان ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت . ج ١ ، ص ٢٧٠ .

(٢٢) ابن بطوطة ، ص ٦٣٠ .

قلاوون الصالحي . وكان قلاوون يعرف بالألّقي لان الملك الصالح اشتراه . بالف دينار ذهباً . وكان اللك في سنة (٧٤٩هـ) هو الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون .

— أمير المدينة كيش بن منصور بن جبار وتولى بعده أخوه طفيل بن منصور
— وكان ملك العراق في زيارته الاولى السلطان محمد خدابنده . ولكن سلطان بغداد والعراق كان الشيخ حسن ابن عمّة السلطان ابي سعيد عندما وصل بغداد في شوال سنة ٧٤٨هـ .

— سلطان مارد بن الملك الصالح ابن الملك المنصور .

— سلطان جزيرة سواكن الشرف زيد بن أبي نمي .

— سلطان حلي وتعرف باسم ابن يعقوب عامر بن ذؤيب من بني كنانة .

— سلطان اليمن المجاهد نور الدين ابن السلطان المؤيد هزبر الدين داود .

— سلطان مقدشو ابو بكر بن الشيخ عمر .

— سلطان كلوا ابو المظفر حسن .

— سلطان ظفار الملك المغيث ابن المك الفائز ابن عمم ملك اليمن .

— سلطان عمان عربي من قبيلة الأرد بن الغوث ويعرف بابي محمد بن نبهان

— سلطان انطاليا خضر بك يونس بك . وانطاليا مدينة تقع جنوب تركيا

على الخليج الذي يسمى باسمها .

— سلطان قل حصار محمد چلبى ، وهو أخو ابي اسحاق ملك اكريدور .

— سلطان ماوراء النهر علاء الدين طر مشيرين .

وكان للمرأة حظ في تولي السلطة والملك فقد كانت خديجة بنت جلال

عمر ابن السلطان صالح الدين صالح البنجالى تتولى حكم ذبية المهل . (٣٣)

(٣٣) المصدر نفسه ، ص ٦٥٦ ، ١٣ ، ٣٨ ، ٦٤١ ، ٢٠٢ ، ٦٣٧ ، ٦٣١ ، ٢٣١ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٤٧ ، ٢٦٣ ، ٢٧٧ ، ٢٨٧ ، ٢٥٥ ، ٥٦٩ .

يعرض ابن بطوطة رسوماً متنوعة واموراً متباينة يأخذ بها الحكام ويسرون على هديها في ادارة شؤون اقاليمهم وممالكهم . ولكل ملك من هؤلاء رجال يعملون في خدمتهم ويمثلون بأمرهم . وقد تختلف تسميات هؤلاء من بلد لآخر . فمنهم نائب الملك في مصر أو عمدة الملك كما يسمى في جاوه . ومنهم ساقى الملك وحاجبه وناظر جيشه والقضاة . وكان الملك أو السلطان يتولى أمر الرعية مباشرة وينظر في أمورهم ويبت فيها . ولكن بعض السلاطين ليس له مثل هؤلاء الرجال . فسلطان عمان لا حاجب له ولا وزير في حين ان ملك مصر له مثل هؤلاء الاعوان ، تتدرج مناصبهم ومكاتبهم وفق رسوم محددة . وتبعاً لذلك تحدد منزلتهم في الجلوس بالنسبة للملك أو من يلي الآخر اذا غاب احدهم عن شهود مجلسه .

وكان المشور مكان جلوس الحاكم ومقر دار عدله . والمشور لفظة مغربية تعني عندهم :

١ - المحل الذي يجلس فيه السلطان للتشاور مع اعوانه في شؤون الدولة وتصرف أمورها .

٢ - البهو الكبير الذي يستقبل به السلطان الناس وقيم فيه المآدب .

٣ - قسم من القصر منفصل عن باقي البناية حيث ينتظر فيه أعوان السلطان والقواد والجنود الذين يرافقون السلطان عند خروجه من القصر . (٣٤)

وتختلف اساليب الحكام في مراعاة شؤون رعيتهم وجلوسهم للقضاء . فسلطان عمان العربي الأزدي يجلس في العادة خارج باب داره في مجلس هناك دون حاجب أو وزير ولا يمنع أحداً من الدخول اليه من غريب أو غيره ، ويكرم

(٣٤) سليم النعيمي ، الفاظ من رحلة ابن بطوطة ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، المجلد السادس والعشرون ، ١٩٧٥ ، ص ٦١ .

الضيف على عادة العرب ، ويعين له الضيافة ، ويعطيه على قدره . (٢٥) اما سلطان ظفار فله عادة مختلفة فهو لا يخرج ولا يراه أحد الا في أيام الجمعة ولا يمنع أحد من دخول المشور وأمير جندار قاعد على بابه واليه ينتهي كل صاحب حاجة أو شكاية . ومن عادته أن لا يعارضه أحد في طريقه ولا يقف لرؤيته ولا شكاية أو غيرها ، ومن تعرض لذلك ضرب أشد الضرب . فتجد الناس إذا اسمعوا بخروج السلطان فروا من الطريق وتحاموه . (٢٦)

وتختلف الحال التي يعرضها ابن بطوطة عن الملك الناصر ، ملك مصر . فيقول انه يقعد للنظر في المظالم ورفع قصص المتشكين كل يوم اثنين وخميس ، ويقعد القضاة عن يساره وتقرأ القصص بين يديه ، ويعين من يسأل صاحب القصة عنها . وقد سلك في ذلك مسلكاً لم يسبق اليه ولا مزيد في العدل والتواضع . وهو سؤاله بذاته لكل مظلم وعرضه بين يديه ، أبى الله ان يحضرها سواه . (٢٧)

اما سلطان اليمن نور الدين علي فله ترتيب عجيب في قعوده وركوبه وترتيب قعوده حيث يجلس فوق دكانة مفروشة مزينة بشباب الحرير وعن يمينه ويساره أهل السلاح ويليهم منهم اصحاب السيوف والدرق ويليهم أصحاب القسي ، وبين أيديهم في الميمنة والميسرة الحاجب وأرباب الدولة وكاتب السر وأمير جندار على رأسه ، والشاوشية ، وهم الحجاب وحرس السلطان ، وقوف على بعد . فاذا قعد السلطان صاحوا صيحة واحدة : بسم الله ، فاذا قام فعلوا مثل ذلك ، فيعلم الجميع من بالمشور وقت قيامه وقعوده . فاذا قام قاعداً دخل كل من عادته ان يسلم عليه ، فسلم ووقف حيث رسم له في الميمنة او الميسرة لا يتعدى أحد موضعه ولا يقعد الا من أمر بالقعود . ويجلس

(٢٥) ابن بطوطة ، ص ٢٦٣ .

(٢٦) المصدر نفسه ، ص ٢٥٧ .

(٢٧) المصدر نفسه ، ص ٤١ .

السلطان لعامة الناس يوم الخميس . (٣٨) ويذكر ابن بطوطة ان سلطان كلوا
ابا المظفر حسن شديد التواضع يجلس مع الفقراء ويأكل معهم ويعظم اهل
الدين والشرف . (٣٩)

ومن عادة سلطان قسطنطينية سليمان باذشاه ان يجلس كل يوم
بمجلسه بعد صلاة العصر ويؤتى بالطعام فتفتح الابواب ، ولا يمنع احد من
حضري وبدوي او غريب او مسافر من الأكل . (٤٠) ثم تتغير حال هذه الرسوم
والتقاليد الادارية في بلاد الهند إذ يذكر ابن بطوطة ترتيب جلوس ملك الهند
والسند محمد شاه ابن السلطان غياث الدين تغلو شاه في مشور هائل فسيح
يقوم على الف سارية خشب مدهونة عليها سقف خشب منقوشة أبدع نقش
يجلس تحتها . وبهذا المشور يجلس السلطان الجلوس العام . فاذا جلس
وقف أمامه الوزير ووقف الكتاب خلف الوزير وخلفهم الحجاب ثم النقباء
ويقف في الميمنة والميسرة بطول المشور قاضي القضاة ويليهِ خطيب الخطباء
ثم كبار الفقهاء ثم كبار الشرفاء والمشايع ثم اخوه السلطان وأصهاره ، ثم
الامراء الكبار ثم كبار الأعزة وهم الغرباء ثم القواد . (٤١)

والواقع ان مقابلة الملك تمثل خاتمة مراحل سابقة . اذ له في كل بلد من
بلاده صاحب الخبر يكتب له بكل ما يجري في ذلك البلد من الأمور ومن
يرد عليه من الواردين ، واذا أتى الوارد كتبوا من أي بلاد ورد ، وكتبوا
اسمه ونعته ووثابه وأصحاب خيله وما يظهر منه من فضيلة أو ضدها ، فلا
يصل الوارد الى الملك الا وهو عارف بجميع حاله فتكون كرامته على مقدار
ما يستحق . (٤٢)

(٣٨) المصدر نفسه ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

(٣٩) المصدر نفسه ، ص ٢٥٠ .

(٤٠) المصدر نفسه ، ص ٣٠٥ .

(٤١) المصدر نفسه ، ص ٤٢٩ - ٤٣٠ .

(٤٢) المصدر نفسه ، ص ٣٦٤ .

ولا يختلف الحال كثيراً عما هو مألوف في مالي . اذ يجلس سلطانها (منيني) سليمان في بعض الأيام بالمشور وعند جلوسه تضرب الطبول والأبواق والانتفاخ ويقف الناس في شارع متسع فيه الأشجار . ويقف على باب المشور الترجمان (دوغا) وعليه ثياب فاخرة . فمن أراد أن يكلم السلطان كلم ذلك الواقف لينقل كلامه الى السلطان . (٤٣)

وهكذا تتنوع رسوم الادارة من بلد لآخر ولكن رغم ذلك بقي النظر بأمور الناس وحل مشاكلهم وخصوماتهم من المهام الأساسية التي يتولى أمرها حاكم البلاد سواء بقاء مباشر أم مروراً بالوزير وديوان صاحب المظالم كما كانت عليه الحال منذ قيام الدولة العربية الإسلامية . ويتحدث ابن بطوطة أحياناً عن مهام كل واحد من هؤلاء و حدود كل وظيفة منها . لقد ظهر اسم الوزير في زمن الدولة الأموية وكان صلة وصل بين الخليفة والناس ، ثم ازداد سمو الوزير في الدولة العباسية بمصير النيابة اليه في الحل والعقد ، وصار اسماً جامعاً لخطتي السيف والقلم وسائر معاني المعاونة . (٤٤)

والحجابه وظيفة أخرى كانت لها بداية اولية في زمن الخلافة الراشدية . فقد كان الخليفة عمر بن الخطاب (رض) يوكل غلاماً يباه لا يدفع ذوي الحاجات عنه اهتماماً لهم واطراحاً ، بل لما هو مأذون فيه مما لا تخفى صحة القصد اليه . (٤٥) وكان هذا اللقب مخصوصاً في الدولة الأموية والعباسية بمن

(٤٣) المصدر نفسه ، ص ٦٦٥ - ٦٦٧ .

(٤٤) ابو عبدالله ابن الازرق (ت/٨٩٦هـ) بدائع السلك طبايع الملك ، تحقيق وتعليق علي سامي النشار ، دار الحرية للطباعة ، بغداد- ١٩٧٧ ، ج ١ ، ص ١٨٠ - ١٨١ .

(٤٥) المصدر نفسه ، ص ٢٧٠ .

يحجب السلطان عن العامة ويفلق بابه دونهم أو يفتح لهم على قدره في مواعيته . وكان الوزير يتصرف بها بما يراه . (٤٦)

أما القضاء فقد كان الخلفاء في صدر الاسلام يباشرونه بأنفسهم ولا يجعلونه الى سواهم . وأول من دفعه الى غيره وفوضه فيه عمر (رض) فولى أبا الدرداء معه في المدينة وولى شريحاً بالبصرة ، وولى أبا موسى الأشعري بالكوفة . وكان القاضي في عصر الخلفاء يفصل بين الخصوم فقط ثم دفع لهم بعد ذلك أمور أخرى . واستقر منصب القضاء آخر الأمر على أنه يجمع مع الفصل بين الخصوم استيفاء بعض الحقوق العامة للمسلمين بالنظر في أموال المحجور عليهم من المجانين واليتامى والمفلسين وأهل السفة وقد كان الخلفاء من قبل يجعلون للقاضي النظر في المظالم وهي وظيفة متميزة من سطوة السلطنة ونسفة العقاد . (٤٧) ومن غير شك ان هذه الوظائف بقيت في القرن الثامن الهجري تحتفظ بجوهر مهامها وان تبدلت بعض الشيء من بلد لآخر . وكان ابن بطوطة لا يغفل عن ذكر أيام جلوس الحاكم في مشوره وترتيب جلوس أعوانه معه للنظر في أمور الناس . فسلطان عمان الأزدي العربي بقي ملتزماً بمظهر بسيط يستقبل فيه الناس دون حاجب أو وزير ، في حين تبدل الصورة كلياً في الهند وغيرها من البلاد البعيدة حيث تظهر آثار عادات أهل هذه البلاد وتقاليدهم الحضارية في فخامة بناء المشور وسعته وطريقة جلوس الحاكم وحاشيته . ويبدو ان النظر في أمور الناس تأخذ مراحل مختلفة في بعض البلاد إذ يذكر ابن بطوية عما يجري بهذا الشأن في مقدشو أيام السلطان ابو بكر ابن الشيخ عمر فيقول : (يقصد القاضي والوزراء وكاتب السر وأربعة من كبار الأمراء للفصل بين الناس وأهل

(٤٦) عبدالرحمن ابن خلدون ، المقدمة ، دار حياء التراث العربي ، بيروت ، بلا سنة ، ص ٢٤٠ .

(٤٧) المصدر نفسه ، ص ٢٢٠ - ٢٢٢ .

الشكايات ، فما كان متعلقاً بالأحكام الشرعية حكم فيه القاضي . وما كان من سوى ذلك حكم فيه أهل الشورى ، وهم الوزراء والأمراء ، وما كان مفتقراً الى مشاورة السلطان كتبوا اليه فيه ، فيخرج لهم الجواب من حينه ، على ظهر البطاقة ، بما يقتضيه ظره ، وتلك عاداتهم دائماً) . (٤٨) وعلى غرار هذا يحضر مجلس الحاكم في فاس الفقهاء والقضاة فيرد اليهم ما تعلق بالأحكام الشرعية ، أما فهو فيجلس للمشتكين من رعيته يوم الجمعة ولا سيما المساكين بادئاً بالنساء ليضعفهن فتقرأ قصصهن بعد صلاة الجمعة الى العصر . وهذا أمر يخالف ما سار عليه ملك الهند فقد عين بعض أمرائه لأخذ القصص من الناس وتلخيصها ورفعها اليه دون حضور اربابها بين يديه . (٤٩)

ويذكر ابن بطوطة نظاماً من الحكم يشيع في جميع البلاد التركمانية ، في كل بلد ومدينة وقرية . فمن عوائد هذه البلاد ما كان ليس به سلطان فالأخي هو الحاكم . وهو يركب الوارد ويكسوه ويحسن اليه على قدره .

والأخي عندهم : رجل يجتمع أهل صناعته وغيرهم من الشباب الاغراب والمتجردين ويقدمون على أنفسهم ، وتلك هي الفتوة أيضاً . ولا يوجد في الدنيا مثلهم أشد احتفالاً بالغرباء من الناس ، واسرع الى إطعام الطعام وقضاء الحوائج ، والأخذ على ايدي الظلمة ، وقتل الشرط ومن لحق بهم من أهل الشر . (٥٠)

وقد انتشر نظام الأخية في الأناضول في القرنين الثامن والتاسع الهجريين . ويرى البعض ان كلمة أخي تركية وهي محرفة عن كلمة أقي المستعملة في لغة الأيغور بمعنى الكريم . (٥١) وعلى خلاف ذلك جماعة القتاك أو ما يعرفون

(٤٨) المصدر نفسه ، ص ٢٤٨ .

(٤٩) المصدر نفسه ، ص ٦٤٦ .

(٥٠) المصدر نفسه ، ص ٢٧٥ .

(٥١) سليم النعيمي ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، المجلد الرابع والعشرين ، ١٩٧٤ ، ص ٢٥ .

بالمراق بالшطار والعيارين والصقورة بالمغرب • وتختلف أنساب العناصر التي تنظم صفوف الشطار والعيارين كما تتباين مكائهم الاجتماعية مما يدل على اتساع حركتهم • فقد قامت هذه الجماعة بعدة ثورات عنيفة موجهة الى اصحاب السلطة الحاكمة واصحاب الاموال أو الى السلطة الاجنبية البويهية اولاً ثم السلجوقية • (٥٢)

وكان هؤلاء من الكثرة بحيث أنهم اذا تحركوا ببغداد هلكوا • (٥٣) ويذكر ابن بطوطة الحرافيش : وهم طائفة كبيرة أهل صلابة وجاه ودعارة • (٥٤) ويحدثنا ابن كثير عما فعله هؤلاء في المحرم سنة ٧٢١ هـ قائلاً : (تسلط الحرافيش وغيرهم على الكنائس يهدمون ما قدروا عليه) • (٥٥) وينتظرد ابن كثير في الحديث عن احداث هذا الشهر فيقول ان الحرامية ببغداد نبوا سوق الثلاثاء وقت الظهر فثار الناس وراءهم قتلوا قريباً من مائة واسروا آخرين • (٥٦) ويذكر بان الخبر اشتهر عن الجيش في يوم الاثنين السابع من حزيران سنة ٧٦٤ هـ بان الاعراب اعترضوا الجريدة القاصدين الى الرحبة واوقفوهم وقتلوا منهم ونهبوا وجرحوا •

وكان للجند حظ في بعض الاحداث التي تشهدها المناطق التي زارها ابن بطوطة • فقد ذكر انه من عادة الجند في ظفار انه اذا تم الشهر ولم يأخذوا

(٥٢) بدري محمد فهد ، العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٦٧ ، ص ٢٨٦ .

(٥٣) المقدسي ، (ت ٣٧٥ هـ) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٠٦ ، ص ١٣٠ .

(٥٤) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٣٩ .

(٥٥) ابو الفدا الحافظ ابن كثير اللنبيقي (ت / ٧٧٤ هـ) ، البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٦٦ ، ج ١٤ ص ٩٨ .

(٥٦) المصدر نفسه ، ص ٩٩ (٥٧) - ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٢٥٣ .

أرزاقهم استجاروا بتربة سلف السلطان الملك المغيث وهي معظمة عندهم .
وأقاموا في جوارها الى ان يعطوا أرزاقهم . (٥٧)

وعلى نقيض هذه الاحوال المضطربة يقول ابن بطوطة الصين بلد آمن البلاد
وأحسنها للمسافرين فان الانسان يسافر منفرداً مسيرة تسعة أشهر ، وتكون
معه الأموال الطائلة ، فلا يخاف عليها وذلك لصرامة وسائل الأمن السائدة
في البر والبحر . (٥٨)

ولكن الانتقال بحراً من مكان لآخر لا يخلو من مخاطر ، فقد سرق لصوص
البحر ما كان يحمله ابن بطوطة من ابحار كريمة في سفره بحراً من سيلان .
وكانت جزيرة سقطرى سد البوارج . والبوارج ، مفردتها بارجة ، التي
يعترض بها أهل المنصورة (على نهر السند) المراكب المجتازة الى الهند والصين
وجدة والقلزم وغيرها . (٥٩) وقد تعرضت اموال الشيخ سعيد وما خلعه عليه
ملك الهند الى النهب والسرقة بعد ان وصلت السفينة التي تحملها جزيرة
سقطرى حيث خرج عليها لصوص الهند في مراكب كثيرة . (٦٠) واذا تركنا هذه
الحوادث الفردية فان الأمن الى حد كبير يسود مختلف البلدان من أقاص
مشرقها في الصين الى اعماق مغربها في السودان . فقد استحسن ابن بطوطة
بعض افعال السودان حيث يقول : (فمن أفعالهم الحسنة قلّة الظلم ، فهم أبعد
الناس عنه وسلطانهم لا يسمح احد في شيء منه ، ومنها شمول الأمن في
بلادهم فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاصب . (٦١)

(٥٨) المصدر نفسه ، ص ٦٢٠ - ٦٢١ .

(٥٩) المقدسل ، احسن التقاسيم (معرفة الاقاليم ، ص ١٤ .

(٦٠) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ١٥٠ .

(٦١) المصدر نفسه ، ص ٦٧٢ .

هذه الصورة الادارية وما صاحبها من أوضاع يغلب عليها الأمن والاستقرار ، ساعدت على تطور الحياة الاقتصادية وعملت على نشاط التجارة وانتقال السلع من بلد لآخر . وهو نشاط اقتصادي ملحوظ سنأتي على تفاصيله في الصفحات الآتية .

التجارة

رغم طابع القتر واسس الاكتفاء الذاتي التي يقوم عليها النشاط الاقتصادي في معظم البلاد ، فإن اختلاف الثروات من مكان لآخر وتباين خبرات الناس ومهاراتهم أدت الى وجود فائض من المواد السلع كان يجد له مسرباً في سبل التجارة . بعضها تخمله السفن من ساحل الى آخر ، وبعضها تسير به قوافل البر . تارة لاتذهب بعيداً واخرى تمر بها الشهور حتى تصل غايتها . اي أن حركة السلع ونقل المواد كانا يأخذان طابعاً محلياً احياناً ، وإقليمياً أو دولياً في حالات آخر . ولعل من المناسب في هذا المجال ان نعرض لبحث كل منها على انفراد .

١ - التجارة المحلية

وتدل التسمية على ان حركة نقل السلع والبضائع تتم في حيز محدود ومسافات قريبة مما يتيح المجال لتجارة تغلب المواد الغذائية على اكثر ما ينقل فيها . يقول ابن بطوطة عن رحيله من المدينة المنورة الى مكة المشرفة وبيروت من رابع ثلاثاً الى خليص وعرب تلك الناحية يقيمون هنالك سوقاً عظيمة يجلبون اليها الغنم والتمر والادام . (٦٢) ويقول مكة شرفها الله بواد غير ذي زرع ولكن سبقت لها الدعوة المباركة فكل طرفه تجلب اليها وثرات كل شيء تجي لها ، ولقد أكلت بها من الفواكه العنب والتين والخوخ والرطب مالا ظير له في الدنيا

(٦٢) المصدر نفسه ، ص ١٢٤ .

وكذلك البطيخ المحلوب اليها لا يمثله سواه طيباً وحلاوة ، واللحوم بها سمان
 لذينات الطعوم . وتجلب لها الفواكه والخضر من الطائف ووادي نخلة
 وبطن مر . (٦٣) وكان أهل البلاد الموالية لمكة مثل بجيلة وزهران وغامد يجلبون
 الى مكة الجوب والسمن والعسل والزيب والزيت واللوز . وبلاد السرو التي
 تسكنها هذه القبائل وسواهم مخصصة كثيرة الاعناب وافرة الغلات . (٦٤) وكان
 زيت نابلس حيث تكثر زراعة الزيتون ، يحمل الى مصر والشام . كما تحمل
 منها حلواء الخروب الى دمشق وغيرها . (٦٥)

ومن غير شك ان الفواكه كانت تنقل بوسيلة تحفظها طرية وتحول دون
 تلفها . فرغم قصر المسافة بين الطائف ومكة فان الرحلة بينهما كانت تستغرق
 وقتاً يطول أحياناً . وكان عرب سميرة يأتون بالغنم والسمن واللبن فيبيعون
 ذلك من الحجاج بالثياب الخام ، ولا يبيعون بسوى ذلك . (٦٦) ومن وادي مر
 تجلب الفواكه والخضر الى مكة . ويسمى أيضاً مر الظهران ، وهو وادي خصب
 كثير النخل ، ذو عين فوارة سيالة تسقي تلك الناحية . (٦٧)

اما اذا طالت المسافة وبعدت الشقة أصبح نقل مثل هذه المواد أمراً عسيراً
 واقتصرت على انواع تتحمل طول السفر دون ان تتعرض للتلف . فقد كان
 يجلب السمن والجرجور من سواكن الى مكة . والجرجور نوع من الذرة
 كبير الحب . (٦٨)

(٦٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٦ .

(٦٤) المصدر نفسه ، ص ١٦٠ .

(٦٥) المصدر نفسه ، ص ٥٦ .

(٦٦) المصدر نفسه ، ص ١٦٩ .

(٦٧) المصدر نفسه ، ص ١٢٤ .

(٦٨) المصدر نفسه ، ص ٢٣٨ .

التجارة الخارجية

ويقصد بها حركة السلع من مواطنها الى أخرى بعيدة عنها . وتقتصر هذه في العادة على سلع مصنوعة لا يفسدها مرور الوقت وطول المسافة . وهي في اكثر الاحوال مما خف جملة وغلا ثمنه كالثياب والعطور والاحجار الكريمة وغيرها . فقد كانت تحمل ثياب الحرير من النخ والكمخا وغيرها مما يصنع بنيسابور الى الهند .^(٦٩) وكان ملك الصين قد بعث الى السلطان محمد ملك الهند خمائة ثوب من الكمخا منها مائة من التي تصنع بمدينة الزيتون (نسيه - نونج الحالية) ومائة من التي تصنع بمدينة الخنسا (هغ - تشو - نو) . وهي نوع من القطيفة .^(٧٠)

ومن ظفار تحمل الخيل العتاق الى الهند . ويتطعم البحر بينها وبين قالقوط * من بلاد الهند ، مع مساعدة الريح ، في شهر كامل . ويأتي القطن من هذه البلاد اليها . ودراهم هذه المدينة من النحاس والتصدير ، ولا تنفق في سواها . وظفراً لجذب الأرض وشحة مواردها وموقعها البحري المتوسط بين ساحل شرق افريقيا والهند عمل اهل ظفار بالتجارة ولا عيش لهم إلا منها .^(٧١) ويبدو ان بعض أهلها كانت له مصالح تجارية في بلاد الهند وغيرها مما يضطر الى الاقامة فيها . إذ يذكر ابن بطوطة انه لقي رجلا اسمه محمد من أهل ظفار الحموض في ذيبة المهل . ومن هذه الجزائر تحمل المراكب السمك والنار جيل (جوز الهند) والقوط والوليان والعمائم، وهي من القطن ، ويحملون منها أواني النحاس فانها كثيرة عندهم . كما يحمل من هذه الجزائر الودع والقنبر وهو ليف جوز النارجيل . وهم يدبغونه في خمر

(٦٩) المصدر نفسه ، ص ٣٧٤ .

(٧٠) سليم النيعمي الفاظ من رحلة ابن بطوطة ، القسم الثالث ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، المجلد السادس والعشرون ، ١٩٧٥ ، ص ٥٣ .

(*) قالقوط أو كاليكوت وهي من مواني الهند المشهورة عند الطرف الجنوبي من ساحلها الغربي .

(٧١) ابن بطوطة ، ص ٢٥٧ .

على الساحل ثم يضربونه بالمرازب ثم يغزله النساء وتصنع منه الجبال لخياطة المراكب ، وتحمل الى الصين والهند واليمن . (٧٢) وفيما استدركه الزبيدي في تاج العروس (مادة قنبر) ((والقنيار كقنطار الحبل من ليف جوز الهند)) . (٧٣) هذا الليف خير من القنب ، وبهذه الجبال تخاط مراكب الهند واليمن لان ذلك البحر كثير الحجارة ، فان كان المركب مسمراً بمسامير الحديد صدم الحجارة فانكسر ، واذا كان مخيطاً بالجبال اعطي الرطوبة فلم ينكسر . (٧٤) وهذه هي القلافة حيث تخرز ألواح السفينة بالليف ويجعل القار خلالها . وهذه طريقة لا تزال شائعة في بناء السفن الشراعية في العراق واقطار الخليج العربي . وغالباً ما يستعاض عن الليف بقطن مفتول منقوع بزيت سمك القرش لحفظها من ملوحة ماء البحر .

والتمر من المواد الغذائية التي تجد لها سيلاً في التجارة الاقليمية . وكانت السفن تحمله في خفاف من البصرة وعمان الى هرمز (*) عند مدخل الخليج العربي . والخفاف قمة تعمل من خوص النخل للتمر ونحوه . ولا يزال هذا النوع من العبوات شائع الاستعمال حيث تنقل السفن الشراعية وغيرها خفاف التمر من البصرة الى اقطار الخليج العربي والهند .

وينقل ابن بطوطة شيئاً عن الحالة في غرب افريقيا . فبعد ان ترك سجلماسة وطيب تمرها وصل الى تغازي . وهي من قرى شمال النيجر في مرتفع من الأرض من حدود الجزائر الجنوبية الشرقية . وفيها معدن الملح يخفر عليه في الأرض فيوجد منه الواح ضخام متراكبة كأنها نحتت ووضعت

(٧٢) المصدر نفسه ، ص ٥٦٥ .

(٧٣) سليم النعيمي ، الفاظ من رحلة ابن بطوطة ، القسم الثالث ، مصدر سابق ، ص ٤٧ .

(٧٤) ابن بطوطة ، ص ٥٦٥ .

(*) هرمز يسميها العرب جزون والواقع ان ابن بطوطة هو الذي اطلق عليها هذا الاسم . وعملتها من الذهب والفضة (الاشرفي) على وجهيها كتابات عربية .

تحت الأرض يحمل الجمل منها لوحين • ويصل السودان من بلادهم فيحملون منها الملح • وبالملاح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب والفضة ، يقطعونه قطعاً ويتبايعون به •^(٧٥) والى جانب الملح يتصارفون بحلي الزجاج وبعض السلع العطرية •

ويعدنّ النحاس خارج تكدا يحفرون عليه في الأرض ويأتون به فيسكبونه في دورهم ويصنعون منه قضباناً في طول شبر ونصف ، بعضها رقاق وبعضها غلاظ • يشترون بالرقاق منها اللحم والحطب ، ويشتررون بغلاظها العبيد والخدم والذرة والسمن والقمح •^(٧٦) وهكذا أصبح تعدين النحاس وصناعته مصدر خير لسكان هذه المنطقة حيث لا تجود الأرض بزرع يقتاتون به •

وهكذا كانت قوافل التجارة وسفن البحر تنقل سلعاً متنوعة مما تنبتة الأرض ويستخرج من بطنها او مايجود به البحر من طعام وحلية فضلاً عما تخرجه يد الصانع من مختلف انواع المواد المصنوعة •

وكان أرباب المال واصحاب البضائع يرتحلون بعيداً عن مواطنهم للاطلاع على اماكن تجارتهم ومصادرها • فقد ذكر ابن بطوطة انه لقي محمد بن ظفار الحموض في ذبية المهل ومحمد عبدالله الدوري في الهند وشاهد قوافل أهل غلامس في ليبيا تنقل انواع السلع الى بلاد النيجر ومالي والسودان • ويحظى النشاط التجاري برعاية حكام البلاد وملوكها • فمن عادة سلطان ظفار ، والتجارة شغل أهل البلاد ، ان يرحب بالسفن القادمة من الهند وغيرها ويبعث بكسوة كاملة لصاحب المركب أو كيله والريان وكاتب المركب • ويؤتي اليهم بثلاثة أفراس يركبونها ، وتضرب أمامهم الأبطال والأبواق مسن ساحل البحر الى دار السلطان • وتبعث الضيافة لكل من بالمركب ثلاثاً ،

(٧٥) المصدر نفسه ، ص ٦٥٨ •

(٧٦) المصدر نفسه ، ص ٦٧٩ •

وبعدها يأكلون بدار السلطان . وهم يفعلون ذلك استجلاباً للراكب . (٧٧)
 وكان للمسافرين في منازل مصر خان ينزله المسافرين بدوابهم ، وبخارج كل
 خان ساقية للسبيل وحنوت يشتري منه المسافر ما يحتاجه لنفسه ودابته . (٧٨)
 ولكن التجارة وانتقال السلع بين بلد وآخر لم يكونا مجرد حركة عابرة
 تمر دون رسوم أو قيد ورد آتياً ان دخول المسافرين وخروجهم الى
 الهند كان يخضع لقواعد معينة تختلف مع اختلاف البلدان وحكامها . وكذلك
 حال التجارة فانها تمثل نشاطاً اقتصادياً يجلب الخير والمال كلما ازداد واتسع .
 يقول ابن بطوطة بهذا الشأن ان قطيا (قطية) من المنازل المشهورة التي مر بها بعد
 خروجه من مدينة بلبيس . وهذه من مدن دلتا النيل على مسافة قصيرة شمال
 شرق القاهرة . وبقطيا تؤخذ الزكاة من التجار ، وتفتش أمتعتهم ، ويبحث عما
 لديهم أشد البحث ، وفيها الدواوين والعمال والكتاب والشهود ، ومجباها في
 كل يوم الف دينار من الذهب . ولا يجوز عليها أحد من الشام الا براءة من
 مصر ولا الى مصر الا براءة من الشام ، احتياطاً على أموال الناس . (٧٩) وقطيا
 قرية صغيرة تقع في شمال سيناء بين بئر العبد شرقاً والقنطرة غرباً . وكثرة ما
 كان يجبي يدل على عظم التجارة بين بلاد الشام ومصر . ولم تكن زكاة التجار
 مما يعرقل حركة التجارة وانتقال السلع لان ذلك كان ينفق في أمور تحفظ أمن
 الطريق وسلامة المرور وتوفير الموافق والخدمات والسقاية . ولم يقتصر هذا
 الاجراء على السلع التي تأتي بها القوافل بل يصدق هذا على ما تحمله السفن .
 فقد كان في كوكو ملي (كاليكون) مسلحة لبلاد الهند وبها ماء عذب فاذا
 استعذبوا من هناك الماء أخذوا من المركب الصيني ألف درهم ومن غيرها عشرة

(٧٧) المصدر نفسه ، ص ٢٥١ - ١٥١

(٧٨) المصدر نفسه ، ص ٥٠ .

(٧٩) المصدر نفسه ، ص ٥٠ .

الى العشرين دينار وملي من بلاد الهند . (٨٠) ومن غير شك ان هذه الضريبة العالية تدل على كبر حجم السلع التي تنقلها السفن وجودة نوعيتها وغلاء ثمنها مثل المنسوجات الحريرية والعطور والأواني الخزفية .

وكان التعامل التجاري وتبادل البضائع والسلع يتمان بوسائل مختلفة تارة بنقود من الذهب والفضة ، أو النحاس والقصدير ، وتارة يصبح نوع من الوَدَع تقدأ يتداوله الناس في بيعهم وشرائهم كما هي الحال عند أهل ذيبة المهل . وكانت المقايضة ومبادلة السلعة بأخرى من الأمور الشائعة في كثير من الجهات لاسيما في تلك التي يعيش أهلها عيشة قفر وعزلة كما هي الحال في صحاري افريقية وهضابها الوعرة .

الصناعة : -

للصناعة حديث مسهب لايفك ابن بطوطة عن ترديده كلما مر في بلد واستقام فيه . إذ غالباً ما يذكر ما يصنعه الناس لطعامهم ولباسهم وشرايهم وعطريهم وحوائج حياتهم . وهو في كل ذلك يتحدث ، في واقع الأمر ، عن خبرة الناس في استغلال موارد ثروتهم على تصنيعها والانتفاع بها . وقد تبلغ خبرة بعضهم من الدقة والجودة الى حد أن منتجاتهم اكتسبت شهرة خاصة يتناقلها الناس من بلد لآخر . ويذكر ابن بطوطة معلومات وافية عن هذه جغرافية الصناعة التي تميز بها القرن الثامن للهجرة . وتطبيقاً لمنهج البحث من الصناعات وتنوعها من بلد لآخر مما يتيح مجالاً للباحث ان يتبين بوضوح جغرافية الصناعة التي تميز بها القرن الثامن للهجرة . وتطبيقاً لمنهج البحث من الناحية العلمية يكن تصنيف هذه الصناعات على النحو الآتي : -

(٨٠) ابن الفقيه (ت ٢٩٠هـ) مختصر كتاب البلدان ، مطبعة بريل ، لندن ،

١٣٠٢هـ ، ص ١١-٢١ .

يشمل هذا النوع من الصناعة وسائل حفظ الفاكهة وإدامة الاستمادة منها ، واستخراج الزيوت النباتية من الزيتون والسمسم وجوز الهند ، واستخلاص عسل الثمار الحلوة وصناعة الرب (المربى) والحلواء . ويمكن ان نضيف الى هذه صناعة الصابون والعمطور والاصباغ لصلتها الوثيقة بصناعة أو اكثر مما سلف ذكره . ويلاحظ ان تصنيع الفاكهة من الامور الشائعة في كل بلد تكثر فيه ولا يتسع سوقها المحلي لاستهلاك ما ينتج منها طرياً . أي أن هذه الصناعة تصبح وسيلة لتسويق الفائض منها والحيولة دون تدني اسعارها . ويتوسع ابن بطوطة في هذا المجال في الحديث عن هذه الصناعات في بلاد الشام حيث تنفرد بتجميع صناعي ليس له ما يماثله في أي بلد آخر زاره شيخ الرحالين . اذ تكون معاصر زيت الزيتون وصناعة الحلواء والصابون والعمطور والاصباغ كلاً متكاملاً تنتفع كل صناعة منها بوجودها قرية من الأخرى . وعن هذا الامر يتحدث ابن بطوطة مبتدئاً بمدينة نابلس قائلاً : (وهي مدينة عظيمة كثيرة الاشجار ، من اكثر بلاد الشام زيتوناً ، ومنها يحمل الزيت الى مصر ودمشق ، وبها تصنع حلواء الخروب ، وتجلب الى دمشق وغيرها وكيفية عملها : أن يطبخ الخروب ثم يعصر ويؤخذ ما يخرج منه الرب ، فتصنع منه الحلواء ، ويجلب ذلك الرب أيضاً الى مصر والشام) .^(٨١) ونابلس مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين ، مستطيلة لاعرض لها ، كثيرة المياه ، بينها وبين بيت المقدس عشرة فراسخ .^(٨٢) وتقع اليوم عند الطرف الشمالي لجبل نابلس الى الشمال من مدينة رام الله والقدس عند مفرق الطرف الذي يؤدي الى جنين شمالاً وطول كرم غرباً والقدس جنوباً . ولا تزال نابلس تشتهر بكثرة

(٨١) ابن بطوطة ، ص ٥٦ - ٥٧ .

(٨٢) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار صادر ، ج ٥ ، ص ٢٤٨ .

اشجار الزيتون ومعاصر الزيت وصناعة أنواع الحلوى • وتكثر زراعة اشجار الزيتون في أطراف مدينة سمرين وبها يصنع الصابون الاجري ويجلب الى مصر والشام ، ويصنع بها أيضاً الصابون المطيب لغسل الأيدي ، ويصفونة بالحمرة والصفرة • (٨٣) . ومن الغريب ان ابن بطوطة لا يأتي على ذكر صناعة الصابون في ديار اخرى •

وبعلبك مدينة حنة قديمة من أطيب مدن الشام ، تحدد بها البساتين وتخرق أرضها الانهار الجارية وتضاهي دمشق في خيراتنا المتناهية • وبها من حب الملوك (الكرز) ماليس في سواها ، وبها يصنع الدبس المنسوب اليها ، وهو نوع من الرب يصنعونه من العنب ، ولهم تربة يضعونها فيه ، فيجمد وتكسر القلة التي يكون بها فيبقى قطعة واحدة ، وتصنع منه الحلواء ، ويجعل فيها الفستق واللوز ويسموننا حلواء بالملين ، ويسموننا أيضاً بجلد الفرس وهي كثيرة الألبان • (٨٤) وبعلبك في حاضرها من مدن لبنان المعروفة تقع في الطرف الشرقي من سهل البقاع ويصفها ياقوت بأنها مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة قصور على أساطين الرخام لا نظير لها في الدنيا ، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وقيل اثنا عشر فرسخاً من جهة الساحل • (٨٥)

ويذكر ابن بطوطة وادي الفرات الاوسط في العراق ويصف خصب أرضه اذ يقول : (ثم رحلت من بغداد فوصلت الى مدينة الانبار ، ثم الى هيت ، ثم الى الحديثة ثم الى عانة ، وهذه البلاد من أحسن البلاد وأخصبها) • (٨٦)

(٨٣) ابن بطوطة ، ص ٦٣ ويقول ياقوت ان سمرين بلدة مشهورة من اعمال حلب ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢١٥ . وقوله من اعمال حلب اي انها كانت مركزاً ادارياً مالياً صغيراً .

(٨٤) المصدر نفسه ، ص ٧٨ - ٧٩ .

(٨٥) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار صادر ، ج ١ ، ص ٤٥٣ - ٤٥٤ .

(٨٦) ابن بطوطة ، ص ٦٣٧ - ٦٣٨ .

ولكنه لا يذكر شيئاً عن الصناعات الغذائية في هذه المدن رغم شهرتها فيها .
فمدينة الرّب ، كما يقول الادريسي ، مدينة عامرة ذات قرى وبساتين . (٨٧)
وكانت تقع على الضفة اليسرى من نهر الفرات وتقوم في موقعها مدينة الشيخ
حديد الحديثة مقابل مدينة الرمادي . ويقول الادريسي ان المسافة من الرّب
الى هيت ست وثلاثون ميلا . ويصف الانبار بأنها بلدة صغيرة مزدهنة ولها
سوق ومعامل متنوعة . (٨٨) والناووسة من قرى هيت ويصفها الادريسي
بأنها مدينة صغيرة متحضرة لها بساتين وفواكه كثيرة وخيرات . وهي في جزيرة
يحيط بها الفرات ومنها الى آلوسة احد وعشرون ميلا . (٨٩) ويذكر الشابستي
كروم ومعاصر وبساتين عانات وشجرها . (٩٠) وكان انتاج هذه الفواكه والثمار
من الوفرة بحيث لا يمكن تسويقها محلياً وهي لاتزال غضة ، لذا عمد المنتجون
الى تصنيعها بصورة أولية . ولعل اسم مدينة الرّب قد جاء من كثرة ما يصنع
فيها منه . وكثرت معاصر عانات لكثرة انتاجها من الكروم . وكان قسم
من الفاكهة يجفف ، وقد يطبخ وتصنع منه مادة حلوة . وكانت بعض المعاصر
تستخدم لاستخراج زيت بعض الجبوب الصغيرة كالسسم الذي تكثر زراعته
في المنطقة .

وكثيراً ما يتطلب الناس بماء الورد أو يستعمل في صناعة الصابون والحلواء .
وفي هذا المجال يذكر ابن بطوطة صناعته في نصيين الذي لا نظير له
في العطاراة . (٩١)

(٨٧) الادريسي (ت/٥٦٠) نزهة الافاق اختراق الافاق ، منشورات معهد
الدراسات الشرقية الإيطالية ، بريل ، ١٩٧٠ ، ج ٥ ، ص ٦٥٦ .

(٨٨) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٤٤ .

(٨٩) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٦٥٦ .

(٩٠) ابو الحسن ، علي بن محمد المعروف بالشابستي (ت/٣٨٨ هـ) تحقيق
كوريس عواد ، منشورات مكتبة المثنى ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ٨٩٦٦
ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٩١) ابن بطوطة ، ص ٢٣٠ .

وكان استخلاص عسل الفواكه والثمار صناعة شائعة في كثير من بلدان .
 إذ يصنع بالبصرة من التمر عسل يسمى السيلان ، وهو طيب كأنه الجلاب . (٩٢)
 وصناعة عسل التمر (الدبس) لاتزال معروفة في هذه المدينة . وتصنع الحلواء
 بمدينة رامز وحلواؤهم من رب العنب مخلوط بالدقيق والسمن . (٩٣)

ويكثر ابن بطوطة الحديث عن جوز الهند والصناعات الغذائية التي ترتبط
 به . وشجرته نخلة رشيقة تجود زراعتها في المناطق الحارة الرطبة مثل بلدان
 جنوب شرق آسيا التي زارها . وأشجار النارجيل (جوز الهند) شأنها عجيب ،
 وثمر النخل منها اثني عشر عذقا في السنة ، يخرج في كل شهر عذق ، فيكون
 بعضها صغيراً وبعضها كبيراً وبعضها يابساً وبعضها أخضر ، هكذا أبداً ،
 ويصنعون منه الحليب والزيت والعسل ، ويصنعون من عسله الحلواء ،
 فيأكلونها مع الجوز اليابس منه . وهو من أقوات اهل ذيبة المهل مع
 السمك . (٩٤) اما كيفية صناعة العسل فان خدام النخل يجمعون ماء العذق
 بقدر صغيره ويطبخونه كما يطبخ ماء العنب ، اذا صنع الرب منه ، فيصير
 عملاً عظيم النفع طيباً فيشتريه تجار الهند واليمن والصين ويحملونه الى بلادهم
 ويصنعون منه الحلواء .

ولصنع الحليب منه يجرشون ما في باطن الجوزة . ثم يمرس ذلك الجريش
 بالماء فيصير كلون الحليب بياضاً ، ويكون طعمه كطعم الحليب ويتأدم به الناس .
 أما كيفية صنع الزيت ، فأنهم يأخذون الجوز بعد نضجه وسقوطه عن شجره ،
 فيزبلون قشره ويقطعون قطعا ، ويجعل في الشمس ، فاذا ذبل طبخوه في القدور ،
 واستخرجوا زيته ، وبه يستصبحون ، ويأتمدون به ، ويجعله الناس في
 شعورهم ، وهو عظيم النفع . (٩٥) وهذه طريقة لاتزال متبعة حتى يومنا هذا .

(٩٢) المصدر نفسه ، ص ١٨٢ .

(٩٣) المصدر نفسه ، ص ١٨٧ .

(٩٤) المصدر نفسه ، ص ٥٦٢ .

(٩٥) المصدر نفسه ، ص ٢٦٥ .

فيبعد أن ينقطع الجوز يوضع في الشمس حتى يجف • والجوز الجانب يسمى
تجارياً الكوبرا Copra • ويستخدم في صناعة الصابون والزيوت
النباتية والشموع وغير ذلك من غسول الشعر •

٢ - السمكة :-

وهذه صناعة يزاولها سكان السواحل والانهار وتشمل صيد الاسماك
ووسائل حفظها وتصديرها • ففي الابله يباع السمك في ظلال الاشجار مع
الخبز والتمر واللبن والفواكه • ولما كانت البصرة مجمع البحرين الأججاج
والعذب فان مصائد الاسماك فيها ميسرة • (٩٦) والسردين اكثر سمك معروف
في ظفار وهو بها في النهاية من السمن • ومن العجائب ان دوابهم إنما علفها
من هذا السردين ، وكذلك غنمهم ، ولم يشاهد ابن بطوطة ذلك في سواها • (٩٧)
ولا عيش لاهل جزيرة مصيرة الا من السمك • وهو طعام المسافرين في البحري
مراكبهم يحملونه من مرسى حاسك قبل سفرهم • والموز والسمك طعام
الناس في جزيرة منبسي (مومباسا) • (٩٨)

ولا يذكر ابن بطوطة شيئاً عن طرق صيد الاسماك الا مارآه في رأس
دوائر • وهو مرسى على البحر الاحمر في السودان بين عيذاب وسواكن •
فيقول : (رأيت بذلك المرسى عجبا ، وهو خور مثل الوادي يخرج من البحر ،
فكان الناس يأخذون الثوب ويسكون بأطرافه ويخرجون به وقد أمتلا
سمكا كل سمكة منها قدر الذراع ، ويعرفونه بالبوري ، فطبخ منه الناس
كثيراً واشتوا) • (٩٩) والبوري من انواع أسماك الخليج العربي واغلاها
سعراً ويتناوله الناس عادة مشوياً •

(٩٦) المصدر نفسه ، ص ١٨١ •

(٩٧) المصدر نفسه ، ص ٢٥١ •

(٩٨) المصدر نفسه ، ص ٢٤٩ •

(٩٩) المصدر نفسه ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨ •

اما حفظ الاسماك فقد كان يتم بطرق مختلفة واكثرها شيوعاً ان يترك بالشمس حتى يجف . وهي طريقة معروفة لتجفيف الفواكه وقديد اللحم . وهذه ظاهرة معروفة في جنوب العراق قبل انتشار وسائل التبريد . بل أن بعض الاسماك لاتزال تعرض في الشمس على سواحل النونج حتى تجف . ويتبع الناس في ذية المهل طريقة أخرى لحفظ الاسماك . يقول ابن بطوطة أن أكل أهلها سمك يسمونه قلب الماس (*) ولحمه أحمر ولازفر له ، انما ريحه كريح الأنعام ، واذا اصطادوه قطعوا السمكة منه أربع قطع ، وطبخوه يسيراً ، ثم جعلوه في مكاتيل من سفف النخل ، وعلقوه للدخان ، فإذا استحكم يسه أكلوه ، ويحمل منها الى الهند الصين واليمن . (١٠٠) ولعل من الطريف ان طريقة التدخين لحفظ الاسماك لاتزال شائعة في بعض المناطق ولا سيما حيث يكثر سمك المسالمون . ولهذا النوع من السمك Smoked Salmon سوق رائجة حيث يقبل الناس على شرائه .

٣ - صناعة المنسوجات :

هذه صناعة تقليدية متوارثة فما من بلد الاوفية نوع منها . ويذكر ابن بطوطة انواعاً مختلفة من صناعة الثياب والمنسوجات ، تارة يقصرها على ذكر المادة الخام التي يكثر انتاجها في المنطقة . فيذكر مثلاً أن بوش ودلاص من اكثر بلاد مصر كثناً ومنها يجلب الى سائر الديار المصرية والى أفريقية . وتارة يذهب الى ذكر ما يصنع بها مثل ثياب الصوف الجيدة التي تصنع بمدينة بنسنا . (١٠١) ولعل هذه الصناعة كانت من اسباب عمرانها وكثرة دخلها . إذ

(١٠٠) المصدر نفسه ، ص ٥٦٢ .

(*) قلب الماس اقرب ما يعرف بالبصرة بالقباب (الكتاب) . وهذه سمكة بحرية فضية اللون كبيرة الحجم نسبياً يميل لون لحمها الى الحمرة . ومن الطريف ان هذا النوع كان يعد في مدينة الفاو بطريقة التدخين التي وصفها ابن بطوطة في جزر المالديف .

(١٠١) المصدر نفسه ، ص ٤٣ .

يقول عنها ياقوت الحموي (بهنسا ، مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربي النيل وتضاف اليها كورة كبيرة وليست على ضفة النيل . وهي عامرة كثيرة الدخل . (١٠٢) ولا عجب في ذلك فان ثياب الصوف والكتان غالية الاثنان . وفي مدينة ماردين تصنع الاثياب المنسوبة اليها من الصوف المعروف بالمرعز . ولكن اتاج هذه المدينة من الثياب لا يأتي على ثنق واحد . فالى جانب الثياب الصوفية الغالية يصنع الخشن من ثياب الصوف الذي لا تبلغ قيمته عشرة دراهم . وهو لباس اهل الدين والورع والفضل وفقراء الناس . (١٠٣) وفي مدينة سمرمين تصنع ثياب قطن حسان تنسب اليها . كما تصنع في بعلبك ثياب منسوبة اليها من الاحرام وغيره . (١٠٤) وفي أرزنجان تصنع ثياب حسان تنسب اليها . ويقول ابن بطوطة ان لباس أهل ظفار من القطن وهو يجلب اليهم من بلاد الهند . ويصنع بها ثياب من الحرير والقطن والكتان حسان جداً . (١٠٥) ويذكر ابن بطوطة مصدر القطن ولكنه لا يذكر شيئاً عن البلاد التي يجلب منها الكتان والحرير . وأغلب الظن ان الكتان يجلب من مصر حيث يكثر اتاجه ، اما الحرير فلعله يأتي من الهند وغيرها من بلاد شرق آسيا . وقد سبقت الاشارة الى صناعة ثياب الحرير من النخ والكمخا وغيرها بنسابور . النخ شوب حرير مذهب . وتصنع بمدينة الزيتون الصينية (نسا - نونج الحالية) ثياب الكمخا والاطلس ، وتعرف بالنسبة اليها ، وتفضل على الثياب الخنساوية والخنباقية . (١٠٦) وفي الشاليات ، وهي من حسان مدن الهند ، تصنع بها الثياب المنسوبة لها . (١٠٧)

(١٠٢) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار صادر ، ج ١ ، ص ٥١٦ .

(١٠٣) ابن بطوطة ، ص ٢٣١ - ٢٣٢ .

(١٠٤) المصدر نفسه ، ص ٦٤ ، ٧٩ .

(١٠٥) المصدر نفسه ، ص ٢٥١ .

(١٠٦) المصدر نفسه ، ص ٦٢١ .

(١٠٧) المصدر نفسه ، ص ٥٦٠ .

ويلاحظ ، رغم انتشار صناعة الثياب والمنسوجات في الغرب والشرق والاطناب في ذكرها ، فقد اغفل ابن بطوطة مرة ثانية ذكر ما كان يصنع في العراق على تعدد مراكز الثياب والمنسوجات التي كانت تنسج الى اماكن صناعتها . وان هناك توزيعاً جغرافياً واضحاً لصناعة الثياب والمنسوجات يتفق ومناطق انتاج القطن والصوف والحرير والكتان أو حيث يسهل جلبها . كما ان تجارة هذه المنتجات ونقلها من مكان لآخر يصاحب نوعيتها . فثياب الحرير تنقل الى بلاد بعيدة عن الصين والهند وينسابور لفلاء ، ثمنها وختمها نسبياً ، في حين ان الثياب القطنية والصوفية لها تجارة محلية محدودة الا ما غلا ثمنه منها .

٤ - صناعات مختلفة .

هذه مجموعة صناعات يذكرها ابن بطوطة ليس لها سوى توزيع جغرافي محدود . بل انه احياناً يكتفي بالاشارة اليها عرضاً كذكره ثريات الزجاج العراقي التي كانت معلقة بزواية حسنة بأنطاليا . ويبدو ان بعض المدن تجمع بين عدة صناعات . فالى جانب صناعة الثياب تشتهر بعلبك بصناعة الاواني الخشبية والملاعق التي لاظير لها في البلاد . (١٠٨) ومثل ذلك يقال عن ارزنجان حيث تصنع الثياب كما تصنع فيها الاواني النحاسية واليايسس لوجود النحاس فيها . واليسوس شبه المنارة من النحاس ، له أرجل ثلاث ، وعلى رأسه شبه جلاس من النحاس ، وفي وسطه أنبوب للفتيلة ويملا من الشحم المذاب . (١٠٩) ومما أثار عجب ابن بطوطة أطباق القصب (الدست) التي تصنع في مدينة الخنسا الصينية . وتصنع الاواني الفخارية في مدينة كلان ، وهي مدينة صين الصين : اي اليابان وكوريا ، كما تصنع في مدينة الزيتون التي مر ذكرها . ويبدو ان صناعة الزجاج كانت متقدمة في العراق والشام إذ يشير

(١٠٨) المصدر نفسه ، ص ٧٩ .

(١٠٩) المصدر نفسه ، ص ٢٧٦ .

ابن بطوطة الى صناعة أواني الزجاج العجيبة في دمشق . (١١٠) وتزدهر صناعة القاشاني (الزجاج) في العراق بما يفوق ما يماثله في المغرب فهو أشرق لوناً وأحسن نقشاً . (١١١)

الخاتمة :-

تناول هذا البحث تحليل توزيع الظواهر الجغرافية التي عرضها ابن بطوطة وهو يتنقل ، على مدى عشرين سنة أو يزيد ، بين بلدان ينتشر فيها الاسلام ديناً وتشيع فيها العربية لغة ولم تكن هذه الرحلة ، في مفهومنا الجغرافي المعاصر ، سوى دراسة ميدانية جاس خلالها ابن بطوطة في أوسع جهات قارتي اسيا وافريقية وبعض جهات أوربا ، وجمع ما يترسر له من معلومات لم تكن بحد ذاتها غاية من غاياته ، ولذلك يصعب على الباحث الجغرافي ان يتقصى حيز الظواهر التي تحدث عنها شيخ الرحالين ويتتبع روابطها الاقليمية وفقاً لمتطلبات منهج البحث الجغرافي فقد جعل عالم القرن الثامن الهجري حيزاً متكاملاً ووحدة مساحية جغرافية ذات اداء وظيفي عام يوحد بين اجزائها وجهاتها رابط الدين واللغة ، وتشد أطرافها سهولة الحركة والانتقال . ويزيد الأمر صعوبة ويجول دون رسم خريطة اقليمية نوعية الوحدات المساحية التي ذكرها ابن بطوطة . فهو يعرض سمات ظواهر ترتبط أحياناً ببلاد واسعة مثل الهند والصين والسودان ، وأحياناً أخرى بدويلات مدن مثل ظفار في جنوب الجزيرة العربية ، وبرصا وانطاليا بآسيا الصغرى . ولا يجد الباحث حدوداً واضحة لهذه أو تلك ، مما يجعل من المستحيل اتخاذها وحدات مساحية areal units تعكس صور التباين الاقليمي . ولذلك يجد الباحث نفسه ملزماً

(١١٠) المصدر نفسه ، ص ٨٧ .

(١١١) المصدر نفسه ، ص ١٧٢ .

بذكر التنوع العام. ووصف صور الثباين الإداري والاقتصادي والاجتماعي ضمن هذه المساحة الجغرافية والوقوف عند ذلك . وهذا بحث ذاته أنجاز علمي لم يسبق إن عرض اليه الباحثون من دارسي الجغرافيا . أما المراكز لحضيرة التي تحدث عنها ابن بطوطة والعلاقات المتبادلة بينها فله أراد بها ، على ما يبدو، إبراز الروابط التاريخية والصلات الاقتصادية التي تضي على هذه المنطقة الواسعة سعة إقليم عام تتوزع الوظائف بين مختلف انحاءه ولا تكون أجزاء منفصلة تعيش بعزلة عن الأخرى . ومن المستبعد أن يجد الباحث الجغرافي المعاصر في تضاعيف الرحلة ما يفي بحاجة . ومع ذلك يمكنه أن يتبين عدة أقاليم كبيرة تتباين فيها ظواهر الإدارة العامة وعادات الناس ونتاجهم الزراعي والصناعي . ولعل من المناسب أن تسمى هذه الأقاليم بأسماء الأقاليم التي تسكنها وهي :

١ - الإقليم السوداني جنوب الصحراء الأفريقية الكبرى لاسيما المنطقة الغربية (مالي والنيجر وغيرها) .

٢ - الإقليم العربي ، وتشمل الأرض العربية بما في ذلك الأندلس .

٣ - الإقليم الهندي ، ويتضمن شبه القارة الهندية والجزر القريبة منها مثل

سرنديب (سري لانكا) وذيبة المهل (المالديف) وغير ذلك .

٤ - الإقليم الصيني بما في ذلك صين الصين (اليابان وكوريا) .

ويلاحظ أن ابن بطوطة قد جعل الجزيرة العربية سرة هذا العالم المسيح وخصها بجزء غير يسير من مضمون مادته . بل أنه أنزل مكة المشرفة والمدينة المنورة منزلة خاصة وأفرد لهما صفحات مطولة وأطنب بذكر كل ما يحيط بهما . فكل ما في مكة المشرفة لا يداني ، وإن ما أكله فيها من فاكهة لا ظير له في الدنيا طيباً وحلاوة .

وان اللحوم بها سمان لذيزات الطعوم • ولاغرو في ذلك فانه قصد مكة حاجاً ومنها خرج مرتحلاً واليها عاد •

وأشاد ابن بطوطة كذلك بالازدهار الاقتصادي والنشاط الصناعي للذين كانوا سائدين في الأرض العربية لاسيما العراق والشام ومصر • ففيها تصنع المنسوجات القطنية والصوفية والكتانية والحريرية ، كما تصنع فيها العطور والصابون وبعض المواد الغذائية • والى هذه البلاد تنقل سلع الصين والهند • ويتم عن إزدهارها التجاري كثرة الاسواق واتساعها مثل سوق حلب والموصل وغيرها ، وارتفاع واردات زكاة التجار • ويصاحب ذلك انتشار مراكز العلم والدراسة • أي ان الحضارة العربية ونشاط الأمة كان كثير الحركة والتوثب على عكس ما ذكره احد الباحثين ممن سبقت الاشارة اليه •

ان هذه الدراسة تفتح أبواباً للبحث في مضامين هذه الرحلة والتعقب في أبعاد الواقع الجغرافي العربي عموماً ، او تفاصيل بعض الاقطار على انفراد • ولا بد للباحث في هذا المجال ان يقف على احداث التاريخ ويحاول ان يستشف منها مايعنيه في دراسته •

والله الموفق



ديوان التحقيق الاسباني (★) ومهمته في إبادة الأمة الاندلسية

بقلم اللواء الركن :
محمود شيت خطاب
عضو المجمع

أ- قام ديوان التحقيق (La Inquisicon) في مطاردة المورييسكين باعظم دور ، وترك في مأساتهم أمدق الأثر ، لذلك يجدر التحدث عن تاريخ هذه المحاكم الشهيرة ، ونظمها واعمالها الرهيبة . (١)

ويرجع قيام محاكم التحقيق إلى فكرة الرقابة القديمة على العقيدة والتحقيق عن سلامتها ونقاها ، وقد ظهرت فكرة التحقيق على العقائد في الكنيسة الرومانية في عصر مبكر جداً ، وبدئاً بتطبيقها منذ أوائل القرن الثالث عشر ، فكان البابا يعهد الى الأساقفة وإلى الآباء الدومينيكيين ، في تعقيب الكفرة والمارقين ومعاقتهم ، وطبق هذا النظام منذ البداية في إيطاليا وألمانيا وفرنسا ، وكان مندوبو الباباوية يتجولون في مختلف الأنحاء ، لتقصي أخبار الكفرة والقبض عليهم ومعاقتهم ، وكانت تعقد لذلك مجالس كنسية مؤقته كانت هي

(٥) يطلق عليها خطأ : محاكم التفتيش ، وأسمها أعلاه هو الصواب .

(١) نفح الطيب (٦١٦/٢) ، وانظر أخبار العصر (٥٥) .

النواة الأولى لمحاكم التحقيق ، تعمل حيث يوجد الكفرة واللاحدة ، ثم تُحلّ متى تمت مهمة مطاردتهم وانقضاء عايوم . . (٢)

ثم أنشئت بعد ذلك مراكز ثابتة لمحاكم التحقيق ، أقيم معظمها في أدباء الآباء الدومنيكيين والفرنسيسكانين ، وام تلك ثمة في هذه العصور سجون خاصة أو مراكز ثابتة لمحاكم التحقيق ، وإنما كان يتخذ من اي مكان صانع مركزاً أو سجنًا ، وكان الأساقفة يتولون رئاسة هذه المحاكم ، وإهم سلطة مطابقة ، وكانت التحقيقات والمرافعات تجري بطريقة سرّية ، وتصدر الأحكام على المتهمين نهائية وغير قابلة (٣) للطعن ، وكان يسمح للنساء والصبيان والعبيد بأشهادة ضدّ المتهم وإيس له ويؤخذ الاعتراف من المتهم بالخدبة والتعذيب . وكان التعذيب يعتبر طبقاً للقوانين الكنسية وسيلة غير مشروعة للاعتراف ، ولكنّ البابوية لم تجد بأساً من إقرار هذه الوسيلة . وكانت السجون التي يستعملها ديوان التحقيق مظلمة رهيبة ، يموت فيها الكثيرون من المرض والآلام النفسية . وكان السجناء يصعدون عادة بالأعْلال الثقيلة وكانت العقوبات الرئيسة هي السّجن المؤبّد والاعدام والمصادرة . وكانت السلطات الدينية والبابوية تحصل على أوفر نصيب من الأموال المصادرة ، وتحصل السلطات المدنية أيضاً على نصيبها منها . وانقضى

(٢) Dr Lea. Moriscos, P. 31, 151 - 152 ويـ.هـ. هذا الالتزام بسكنى المسلمين في أحياء خاصة في غرناطة وغيرها من المدن الأندلسية القديمة في كثير من المراسيم الملكية التي صدرت منذ سنة ١٥٠٠ م مثال ذلك المرسوم الصادر بالاعفاء لأهل بسطة 1.7 - 11 Arch. gen. P.R. ، والمرسوم الصادر بالعفو عن حيّ المسلمين (Moreria) في غرناطة .

(٣) Archive general de simancas, P. R. Legajo. 8, Fol. 120 وانظر تفاصيل هذه الدراسة في نهاية الأنداس (٢٩٢ - ٣١٠) .

ديوان التحقيق ميداناً خصباً لمطاردة الألبين (٤) وغيرهم من الملاحدة الذين ظهوراً منذ أوائل القرن الثالث عشر في جنوبي فرنسا . وفي عهد لويس التاسع ملك فرنسا وضع أول قانون ينظم إجراءات هذه المحاكم الكنسية الجديدة وكان ديوان التحقيق في تلك العصور يصدر أيضاً أحكامه ضد الكتب المحرمة ، ويأمر بأحراقها ، ومن ذلك أحكام صدرت بأحراق التلمود وبعض كتب ارسطو وغيرها من كتب الفلاسفة من العهد القديم .

ثم اتسع اختصاص محاكم التحقيق بمضايقة الزمن ، فلم تبق مهمتها قاصرة على مطاردة الكفر والزيغ في العقيدة ، بل تعدته الى مطاردة السحر والسحرة والعرافة والعرافين ، وشبهه دؤلاء بالكنزة . وجاء بعد ذلك دور اليهود فاتهموا بسب النصرانية وأخذت عليهم مزاولة الربا وتبعوهم ديوان التحقيق بالمطاردة والعقاب . على أن الديوان لم ينس دائماً أن مهمته الأصلية تنحصر في مطاردة الكفر والزيغ ، والمحافظة على سلامة العقيدة الكاثوليكية ونقائها .

ب- تلك هي الظروف التي قامت فيها محاكم التحقيق الأولى ، في مختلف أنحاء أوروبا : في إيطاليا وألمانيا وفرنسا . ويرجع قيام ديوان التحقيق الاسباني الى البواعث الدينية نفسها ولكنه نشأ مع ذلك نشأة مستقلة ، وأحاطت بقيامه ظروف خاصة . وقد أنشئت محاكم التحقيق في مملكة أراغون منذ أوائل القرن الثالث عشر ، ووضعت لها في سنة (١٢٤٢ م) إجراءات جديدة ، كان لها في ما بعد أكبر الأثر في صوغ نظم ديوان التحقيق الاسباني . وعرف هذا الديوان الأراغوني بالديوان القديم ، وعكف حياً على مطاردة الألبين وإخماد

(٤) نسبة إلى : (ألبسى) ، وهي مدينة بجنوبي فرنسا ، وكانت من أهم مراكز هذه الطائفة الملاحدة .

دعوتهم في أراغون ، ولم يلبث أن غدا سلطانه ، وغدت وسائله وإجراءاته
مثار الرهبة والروع .

على ان هذه لم تكن سوى بداية محدودة لنشاط ديوان التحقيق الاسباني
ذلك ان ظروف إسبانيا النصرانية في ذلك العصر واضطرام الصراع الأخير
بينها وبين اسبانيا المسلمة ، ورجحان كفتها في ميدانى الحرب والسياسة ،
كانت كلها تذكى التزعة الصليبية ، التي كانت تجيش بها إسبانيا دائماً وكانت
الأمة الأندلسية قد استعانت منذ القرن الرابع عشر إلى طوائف كبيرة من المدجنين
في مهاد عزها القديم ، في قشتالة وأراغون ، ولم تبق سوى بقية أخيرة
تختشد في مملكة غرناطة الصغيرة ، الذي كان مصيرها المحتوم بلوح قريباً
في الأفق . وكان تفوق إسبانيا النصرانية ونصرها المضطرد ، يذكي عوامل التعصب
الديني الذي تبشه الكنيسة وترعاه ، وتتخذ إسبانيا الظافرة يومئذ شعارها المفضل
في ميدان السياسة . وكانت موجة من التعصب تضطرم في هذا الوقت بالذات ، حول
طوائف المنتصرين من يهود (Conioerson) ، وكان أولئك المحدثون في النصرانية ،
قد سما شأنهم ، ووصل كثير منهم الى المناصب الكنسية الكبيرة ، وإلى مجلس
الملك ، وتبوأوا بأموالهم ونفوذهم مكانة قوية في الدولة والمجتمع ، وكان
أخبار الكنيسة ينظرون إليهم بعين الرعب ، ويعتبرونهم شرراً من يهود الخلدس
أنفسهم ، ويتهمونهم بالاحاد والزيف ، ومزاولة شعائهم القديمة سرّاً ، ولما
تفاقم الاتهام من حولهم ، في سنة (١٤٦٥ م) في عهد الملك هنري الرابع ملك
قشتالة ، أمر ملكي إلى الأساقفة بالاستقصاء والبحث في دوائرهم ، وتتبع هذا
اللون من المروق والزيف ، ومعاقبة المارقين ، وتلا ذلك موجة من الاضطهاد ،
اتخذت صورة المحاكمات الدينية ، واحرق عدد من أولئك المنتصرين . ولكن
قشتالة التي شذات يومئذ بمشاكلها الداخلية ، لم تنع بأمر المنتصرين ولم

ترعجهم . وهنا تدخل البابا سكستوس الرابع ، وحاول ان يدخل نظام التحقيق في قشتالة ، فأرسل اليها مبعوثاً بابوياً مزوداً بكل السلطات للتحقيق واقتبض على المارقين ومعاقبتهم . ولكن فرديناند وإيزابيلا وقفوا في وجه هذه المحاولة حرصاً على سلطانهما ، وحداً من سلطان الكنيسة ، وإغضت إيزابيلا مدى حين عن تحريض الأحرار على مطاردة ، الكبراء المتعصبين الى أصل يهودي ، إذ كانت تثق بهم وبصادق نياتهم وغيرتهم في خدمة الدولة والعرش .

على ان هذه المقاومة لم تلبث طويلاً ، ذلك لان كل الظروف كانت تمهد لظفر السياسة الكنسية ، فلم تلبث ان غلبت مساعي الأحرار ، وقبل الملك انشاء ديوان التحقيق في قشتالة ، ايضطاع في مثل المهمات الخطيرة التي يضطاع بها في أرغوان . وهنا يقال : إن الفضل في إقناع الملكة إيزابيلا بتحقيق هذه الفكرة يرجع الى القس توماس دي تركيخادا رئيس دير الآباء الدومينيكان في سانتا كروشا بشقوبية . وقد كان معترف الملكة وله عليها نفوذ قوي ، فقبل : إنه استطاع أن يحصل منها قبل اختلائها بالعرش ، على وعد بانها متى ظفرت بالملك ، فانها تكرر حياتها اسحق الكفر وحماية الكنيسة ، وانه كان اكثر العاملين على إقناعها بالموافقة على إنشاء ديوان التحقيق . وفي سنة (١٤٧٨ م) أرسل فرديناند وإيزابيلا سفيرهما الى البابا للحصول على المرسوم البابوي ، وصدر المرسوم بالفعل في (تشرين الثاني - نوفمبر ١٤٧٨ م) باتصريح بإنشاء ديوان التحقيق في قشتالة ، وتعيين المحققين لمطاردة الكفر ومحاكمة المارقين ، واتخذت الحاسمة لتنفيذ المرسوم في (أيلول سبتمبر ١٤٨٠ م) ، حيث ندب المحققون الثلاثة الأول ، وأنشئت محكمة التحقيق الأولى في إشبيلية . وهكذا بدأ ديوان التحقيق الأسباني نشاطه المروع في قشتالة .

ج . وبدأ الديوان أعماله في إشبيلية بأصدار قرارات يحث فيها كل شخص أن يساعد الديوان ، في البحث عن الملحدين والكفرة ، وكل من في عقيدتهم

زنج ، وفي جمع الادنة على إدانتهم ، وفي التبليغ عنهم بأية وسيلة . وانقضت العاصفة بالأخص على على يهود المنتصرين ، وكانت منهم طائفة كبيرة في إشبيلية ، فلم يمض عام حتى بلغت ضحاياهم أوفاً أحرق منهم عدد كبير ، وعوقب الكثيرون بالسجن والزرامات الفادحة والمصادرة والتجريد من الحقوق المدنية .

وحاول كثير من المنتصرين النجاة بالفرار إلى ضياع الأشراف ، فصدر أمر ملكي بتسليم الهاربين إلى محكمة التحقيق ، وحدد الأشراف بفقد وظائفهم وانفي من الكنيسة ، إذا تخاوا عن تنفيذ الأمر . وحاول بعض أكابر المنتصرين في الوقت نفسه تدير مؤامرة مقاومة محكمة التحقيق وإفكك بأعضائها ، ولكن المؤامرة اكتشفت وقبض على كثير منهم ، ونفي بأعداد بعضهم حرقاً ، وبذلك سحقت كل مقاومة لنشاط الديوان الجديد . واتسع نشاط الديوان بسرعة واستصدر الملكان من البابا مرسوماً بتعيين سبعة من : « المحققين » الجدد (شباط - فبراير ١٤٨٢ م) ، وأنشئت على أثر ذلك محاكم التحقيق في قرطبة وجيانة وشقوية وطايطاة وبلد الواید ، وشغل نشاط الديوان سائر أنحاء المملكة الأسبانية (قشتالة وأراغون) .

وكان فرديناند وإيزابيلا يريان إلى أن تسبغ الصفة القومية على ديوان التحقيق ، وأن يكون ساطانة مستمداً من الحرم ، أكثر مما هو مستمد من البابوية . ولتحقيق هذه الغاية ، رُوي أن ينظم الديوان على أسس جديدة . وكان الديوان قد غدا في الواقع أداة مهمة مردوبة الجانب ، ولا بد لهذه الأداة من سلطة عاليا تقوم بالتوجيه والإرشاد . ومن ثمّ فقد صدر المرسوم البابوي في سنة (١٤٨٣ م) بإنشاء مجلس أعلى لديوان التحقيق (Soprema) له اختصاص مطلق في كل ما يتعلق بشؤون الدين . ويتألف من أربعة أعضاء ، منهم الرئيس ، وأطاق على منصب الرئيس : « المحقق العام » - (Inquisitor General) وصدر

المرسوم البابوي في (تشرين الأول - أكتوبر ١٤٨٣ م) بتعين اقدس توماس دي تركيمادا معترف المالكين ، في هذا المنصب الخطير ، وخول في الوقت نفسه سلطة مطلقة في وضع دستور جديد لديوان المقدّس .

وكان اقدس تركيمادا شديد التعصب ، وافر العزم والبأس ، فبذل في تنظيم الديوان وتوطيد سلطانه جهوداً عظيمة ، وبث فيه روحاً من الصرامة . وكان جلّ غايته أن يجعل من ديوان التحقيق الأسباني أداة قومية تعمل وفقاً لحاجات إسبانيا ، وقد وفق الى تحقيق هذه الغاية الى أبعد حدّ . وبُدئ بوضع دستور الديوان الجديد في سنة (١٤٨٥ م) على يد جمعية من المحققين العامين عقدت في إشبيلية ، ووضعت طائفة من القرارات واللوائح ، ثمّ عقدت بعد ذلك جمعية أخرى في بلد الوليد سنة (١٤٨٨ م) ووضعت عدّة لوائح جديدة ، وعقدت جمعية ثالثة في آلبا سنة (١٤٩٨ م) . وتولى المجلس الأعلى (السوبريما) بعد ذلك صياغة اللوائح وتنفيذها . وكان هذا التنظيم عظيم الأثر في تطور ديوان التحقيق الأسباني . ذلك أنه غدا من ذلك الحين محكمة قومية مستقلة ، وغدا سلطة يخافها أعظم العظماء في إسبانيا ، ويرتجف لذكرها أفراد العادي واضحى نشاطها الرهيب وقضاؤها المدمر ، عنصراً بارزاً في التاريخ الأسباني ، يقوم بدوره افعال في دفع إسبانيا الى شفا المنحدر ، الذي ابشت ترى في غمرته زهاء ثلاثة قرون .

وابت تُركيمادا في منصب المحقق العام حتى توفي في سنة (١٤٩٨ م) ، وفي عهده اشتد نشاط محاكم التحقيق واتسعت أعماليها . وكان هذا اقدس المنصب بارغم من تقشفه ، يعتبر بعد العرش أعظم سلطة في إسبانيا ، ويعيش في قصور باذخة ، وله حرس كبير من الفرسان والمشاة . وكان من جرّاء شدّته وعسفه ، أن ندب البابا سنة (١٤٩٤ م) الى جانبه خمسة من المحققين العامين ، يتمتع

كل منهم بنفس سلطته . ولما توفي خلفه في منصب المحقق العام ديجو ديسا
أسقف جيان ، واستمر في منصبه حتى سنة (١٥٠٧ م) .

د. ونقدّم الآن عيّناً موجزاً للأجراءات ديوان التحقيق ، وسنرى أنها
بأصولها وتفاصيلها ، أبعد ما تكون عن مبادئ المنطق وأشد ما تكون عسفاً
وقسوة وهمجية .

تبدأ قضايا الديوان أو محاكماته القرعية ، بالتبليغ أو ما يقوم مقامه
كورود عبارة في قضية منظورة تلقى شبهة على أحد ما . ولا فرق أن يكون
التبليغ من شخص معين أو يكون غفلاً ، ففي الحاة الأولى يدعى المبلغ ويذكر
أقواله وشهوده ، وتعتبر أقوال المبلغ وشهوده « تحقيقاً تمهيدياً » . كذلك يمكن
التبليغ بواسطة « الاعتراف » الذي يلتقيه القسّس ، وإهم أن يبلّغوا عمداً يقعون
عليه في حاة الأشتباه في العقائد ، وذلك بالرغم مما يقتضيه الاعتراف الكتمان ،
ويقسم المبلغون بسيناً بالكتمان ، ولا توضح لهم الوقائع التي يسئلون عنها بل
يُسئلون بصفة عامة عما إذا كانوا قد رأوا أو سمعوا شيئاً يناقض الدين الكاثوليكي
أو حقوق الديوان . ويقوم الديوان في الوقت نفسه بأجراء التحريات السرية
المحلية عن المبلغ ضده ، ثم تعرض نتائج التحقيق التمهيدي على الأرباب المقررّين
ليقرّروا ما إذا كانت الوقائع والأقوال المنسوبة إلى المبلغ ضده تجعله مرتكباً
لجريمة الكفر أو تلقى عليه ارتكابها ، وقرارهم يحدّد الطريقة التي تتبع في سير
القضية . ويقسم المقررّون يمين الكتمان أيضاً ، وكان معظم أولئك المقررّين من
القسّس الجهلاء المتعصّبين . ومن ثم فقد كانت أخلاقهم وآراؤهم ، بل ذمتهم
وشرفهم مثاراً للريب ، وكان رأيهم الأداة دائماً إلا في أحوال نادرة .
وعلى اثر صدور هذا التقرير ، يُصدر النائب أمره بإقبض على المبلغ ضده
وزجّه إلى سجن الديوان السري . وكانت سجون الديوان المخصصة لاعتقال

بالكفر أو الزينغ ، وهي المعروفة بالسجون السريّة ، غاية في الشناعة والروعة تتصل مباشرة بغرف التحقيق والعذاب عميقة رطبة مظلمة ، تنصّ بالحشرات والجزدان ، ويصفد المتهمون بالأغلال (٥) ويقول لورنتي مؤرخ ديوان التحقيق الإسباني : إن أفظع ما في أمر هذه السجون هو أن مَنْ يَزَج إليها ، يسقط في الحال في نظر الرأى العام وتلقفه وصمة لا تلحقه من أى سجن آخر مدني أو ديني ، وفيها يسقط في غمار حزن لا يوصف وعزلة عميقة دائمة ، ولا يعرف إلى أي مدى وصلت قضيته ، ولا ينعم بتعزية مدافع عنه ، غير أن لورنتي ينفي تصفيد المتهمين بالأغلال الثقيلة في أرجلهم وأيديهم وأعناقهم ، ويقول : إن هذا الاجراء لم يكن يُتبع إلا في أحوال نادرة (٦) . ويقول الدكتور لي : « كان القبض الذي يجريه ديوان التحقيق في ذاته عقوبة خطيرة ، ذلك أن أملاك السجين كلها تصدر وتصفى على الفور ، وتقطع جميع علائقه بالعالم حتى تنتهي محاكمته ، وتستغرق المحاكمة عادة من عام إلى ثلاثة ، لا يعرف السجين أو أسرته خلالها شيئاً عن مصيره ، وتدفع نفقات سجنه من ثمن أملاكه المصفاة ، وكثيراً ما تستغرقه المحاكمة (٧) ولا يخطر المتهم بالنتهم المنسوبة إليه ، ولكنه يمنح عقب القبض عليه ثلاث جلسات في ثلاثة أيام متوالية ، تعرف بجلسات الرأى أو الانذار ، وفيها يطلب إليه أن يقرّر الحقيقة ، ويوعد بالرفقة

Dr. Lea : History of the Inquisition of Spain, V.1. (٥)
Chap. IV.

Don. S.A.L. Lorente: Historia Critica de la Inquisicion (٦)
de Es Pana (1815 - 1817).

وهو مؤلف نقدي ضخم ، ويمتاز بكون مؤلفه إسباني ، وهو حبيب خدام ديوان التحقيق أعواماً طويلة ، وكان في آخر حياته يشغل فيه السكرتير العام .

. Dr. Lea the Moriscos of Spain (٧)

إذا قرر وفق ما ينسب إليه ، وينذر بالشدة والنكال إذا كذب أو أنكر ، لأن
 « الديوان المقدس » لا يقبض على أحد دون قيام الأدلة الكافية على إدانته ، وهي
 طريقة غادرة مخيرة . فأذا اعترف المتهم بما ينسب إليه و او كان بريئاً ، اختصرت
 الاجراءات ، وقضي عليه بعقوبة أخف ، ولكنه إذا اعترف بأنه كافر مطبق ،
 لا ينجو من عقوبة الموت . مهما كانت الوعود التي بذات له بالرافة والعفو . فأذا
 أبى المتهم الاعتراف بعد الجلسات الثلاث ، وضع له النائب قرار الاتهام طبقاً لما
 ورد في التحقيق من الوقائع ، وذلك مهما كانت الأدلة المقدمة من الركاكة
 والضعف به مكان . بيد أن أفضع ما يحتويه القرار ، هو إحالة المتهم على التعذيب ،
 وغالباً ما يطالب النائب هذه الأحالة ، وذلك بالرغم من اعتراف المتهم بما ينسب
 إليه ، لأنه يفترض دائماً أنه أخفى أو كذب في اعترافه . وتصدر المحكمة قرار
 التعذيب مجمعة بهيئة غرفة مشورة . وكان قرار التعذيب في العصور الأولى يصدر
 عقب الاشتباه والقبض فوراً . وقد استعمل التعذيب في محاكم التحقيق للحصول
 على الاعتراف ، منذ القرن الثالث عشر . وكان التعذيب في قسالة إجراء يسوغه
 القضاء العادي ، وكان يعتبر وسيلة مشروعة لنيل الاعتراف ، فلم يكن غريباً
 أن يدمجه ديوان التحقيق في دستوره ، وقد نوّه كثير من المؤرخين بروعة
 الاجراءات والوسائل التي كانت تلجأ إليها محاكم التحقيق في توقيع العذاب ،
 وبعلق عليه دون اورنتي بقوله : « لست أقف لأصف ضروب التعذيب التي
 كان يوقعها ديوان التحقيق على المتهمين ، فقد رواها بما تستحق من الدقة كثير
 من المؤرخين . ولكنني أصرّح أن أحداً منهم لا يمكن أن يتهم بالمبالغة في ما روى .
 ولقد تلوت كثيراً من القضايا ، فارتجفت لها اشمئزازاً وروعاً ، ولم أر في
 المحققين الذين انتجأوا إلى تلك الوسائل إلا رجالاً بلغ جمودهم حد الوحشية (٨)

يبد أن مؤرخاً حديثاً لديوان التحقيق هو الدكتور لى بى فى هذه الأقوال مبالغة ، ويقول لنا : إن ديوان التحقيق لم يكن فى إجراءاته الخاصة بالتعذيب أكثر قسوة أو إرهاباً من القضاء العادي ، وأن ديوان التحقيق الروماني ، كان فى إجراءاته أشد قسوة وفظاعة من الديوان الأسباني (٩) ومن الواضح أن هذا الدفاع منهافت ، لأن دون لورنتى ليس متهماً بالنسبة لمسؤولي ديوان التحقيق ، فقد عمل فيه حتى نهاية حياته ، وقد عاش أحداثه فلا مجال للشك فى أقواله أو الرد عليه ، وهي تصف الواقع الذى لا غبار عليه .

وكانت معظم أنواع التعذيب المعروفة فى العصور الوسطى تستعمل فى محاكم التحقيق ومنها تعذيب الماء ، وهو عبارة عن توثيق المتهم فوق أداة تشبه السلم ، وربط ساقيه وذراعيه إليها ، مع خفض رأسه الى أسفل ، ثم توضع فى فمه من زائفة جرجات كبيرة ، وهو يكاد يختنق وقد يصل ما يتجرعه إلى عدة ايترات . وتعذيب « الجاروكا » ، وهو عبارة عن ربط يدي المتهم وراء ظهره ، وربطه بحبل حول راحتيه وبطنه ، ورفع وحفضه معلقاً ، سواء بمفرده أو مع أثقال تربط معه . وتعذيب الأسياخ المحمية للقدم ، والقوالب المحمية للبطن والعجز ، وسحق العظام بآلات ضاغطة ، وتمزيق الأرجل وفسخ الفك ، وغيرها من الوسائل البربرية المثيرة . ولم يك ثمة حدود مرسومة لروعة التعذيب وآلامه لما كان التعذيب يعتبر خطراً لا تؤمن عواقبه ، نظراً لاختلاف المتهمين فى قوة البنية والاحتمال المادى والعقلى فإنه لم يك ثمة قواعد معينة تتبع فى إجراء التعذيب بل كان الأمر يترك لتقدير القضاة وحكمتهم وضمايرهم (١٠) . ولا يحضر التعذيب سوى الجلاذ والأخبار المحققون ، والطبيب اذا اقتضى الأمر ، ولا يخطر المتهم بأسباب إحالته على التعذيب ، ولا يستل ليقرو وقائع معينة ، بل يعذب ليقرر

Dr. Lea: the History of the Inquisition. V.III. Ch. VII. (٩)

Dr. Lea : ibid ; V.III. P.22 .

(١٠)

ما يشاء ، ويمكن الطعن في القرار بطريق الاستئناف أمام المجلس الأعلى (السوريما) إلا في احوال استثنائية ولكن الطعن لا يقبل ولا ينظر حيثما كان القانون صريحاً في وجوب إجراء التعذيب . وقد يأمر الطبيب بإيقاف التعذيب اذا رأى حياة المتهم في خطر ، ولكن التعذيب يستأنف متى عاد المتهم إلى رشده أو جفّ دمه ، فإذا اعترف المتهم واعتبر القضاء اعترافه صحيحاً ، بمعنى أنه يتضمن عنصر التوبة كفّ عن تعذيبه . وإذا استطاع المتهم احتمال العذاب وأصرّ على الإنكار لم يفده ذلك شيئاً ، لأنّ انقضاء يتخذون غالباً من الوقائع المنسوبة للمتهم أدلة على الأدانة ويحكم عليه طبقاً لهذا الاعتبار . ويجب أن يؤيد المتهم ما قاله وقت التعذيب ، بأعتراف حر يقرره في اليوم التالي ، وذلك حتى يؤكد صحة الاعتراف فاذا أنكر أو غير شيئاً أعيد إلى تعذيبه ،

وبعد انتهاء التعذيب ، يحمل المتهم ممزقاً دائماً إلى قاعة الجلسة ، فيجيب عن التهم التي توجه إليه لأول مرة ، ويسئل عند تلاوة كلّ تهمة عن جوابه عنها مباشرة ، ثم يسئل عن دفاعه . وكان مبدأ الدفاع أمراً مقررّاً من الوجهة النظرية ، لأنّ كان له دفاع ، اختار له المحكمة محامياً من المقيدين في سجلّ الديوان للدفاع عنه ، وقد يسمح للمتهم بأختيار محام من الخارج في بعض الأحوال الاستثنائية ، ويقسم المحامي اليمين بأن يؤدي مهمته بامانة ، وألا يعرقل الإجراءات بسوء نية ، وأن يتخلّى عن موكله إذا تبين له في أية مرحلة من مراحل الدعوى ، أنّ الحق ليس في جانبه على أن الدفاع لم يكن في الغالب سوى ضرب من السخرية ولم يكن عملاً مأمون العاقبة ، ولم يكن يسمح للمحامي أن يطالع على أوراق القضية الأصلية ، أو يتصل بالمتهم على أفراد ، بل تقدّم إليه خلاصة التحقيق مرفقة بقرار الأحانة وقرار الاتهام وكان المحامي الذي يبدي في تأدية مهمته غير خاصة يخاطر بأن يقع تحت سخط الديوان .

وبعد المرافعة واستجواب المتهم، تحال القضية على الأحزاب المقررین لبدءوا فيها رأيهم من جديد . وكانت هذه خطوة حاسمة في الواقع ، لأنها تمهيد إلى الحكم النهائي . ويصدر الاحبار المقررون قرارهم ، وقبلما كان يختلف عن التمرار الأول . فإذا كان الحكم بالأدانة ، كان للمتهم فرصة الاستئناف أمام المجلس الأعلى (السوبريما) . بيد أنها كانت على الأغاب فرصة عقيمة ، إذ قلما كان المجلس الأعلى ينقض حكماً من الأحكام . وكان للمتهم أيضاً أن يلتمس العفو من الكرسي الرسولي ، وكانت الخزانة البابوية تنضم من هذه الاتسادات أموالاً طائلة ، فكانت فرصة لا يستفيد منها سوى ذوي الغني الطائل وقبلما يصدر حكم البراءة أو « الاقانة » إذ أن أقل شك في براءة المتهم براءة مطابقة ، كان يوجب اعتباره مذنباً من النوع الخفيف (de l'evi) ، وعندئذ تصدر عليه عقوبات تتناسب مع ذنبه ، ويقضى عليه أن يتطهر من كل شبهة للكفر وفقاً لأجراءات معينة . وإذا يقضى بالبراءة وهو ما يندر وقوعه ، أطاق سراح المتهم ، وأعطيت له شهادة لطهارته من الذنوب ، وهي كل ما يعرض به عما أصابه في شخصه وفي شرفه وماله ، من ضروب الأذى والالام .

وأما إذا قضي بالأدانة ، فإن الحكم لا يبلغ للمتهم إلا عند التنفيذ ، وهو إجراء من أشنع الإجراءات الجنائية التي عرفت ، فيؤخذ المتهم من السجن دون أن يعرف مصيره الحقيقي ، ويجوز رسوم الأيمان (الأوتودا في Auto-da-Fi) وهي الرسوم الدينية التي تسبق التنفيذ ، وخلاصتها أن يلبس اثوب المقدس ، ويوضع في عنقه جبل وفي يده شعبة ، ويؤخذ إلى الكنيسة ويجوز رسوم التوبة ثم يؤخذ إلى ساحة التنفيذ ، وهناك يتلى عليه الحكم لأول مرة . وقد يكون الحكم في حالة التهم الخطيرة بالسجن المؤبد والمصادرة ، أو بالأعدام حرقاً في حالة الكفر الصريح . وقد يكون في حالة الذنوب الحقيقية بالسجن لمدة محدودة أو بالانزاع

وهو ما يسمى حكم التوفيق . وكانت أحكام الأعدام هي الغالبة في عصور قضايا الكفر . وكان التنفيذ يقع في ساحات المدن الكبيرة ، وفي احتفال رسمي يشهده الأحرار والكبراء بأثوابهم الرسمية ، وقد يشهده الملك . وكان يقع على الأغلب جملة ، فينفذ حكم الحرق في عدد من المحكوم عليهم ، وقد يبلغ العشرات أحياناً ، وينتظم الضحايا في موكب (الأوتودافي) التي اشتهرت في إسبانيا منذ القرن الخامس عشر ، والتي كانت بالرغم من مناظرها الرهيبة من الحفلات العامة التي تهرع لشهوها جموع الشعب . ومما يذكر في ذلك . أن فرديناند الكاثوليكي ، كان من عشاق هذه المواكب الرهيبة ، وكان يسره ان يشهد حفلات الأحرار ، وكان يمتدح الأحرار المحققين كلما نظمت حفلة منها . (١١)

وكان قضاء محاكم التحقيق بطيئاً ، ييث اليأس في النفوس ، وكان الأمر يترك لهوى القضاة في تحديد مواعيد دعوى المتهم ، والسير بأجراءات الدعوى : وكانت الإجراءات والمرافعات تستغرق وقتاً طويلاً ، وقد تستغرق الأعوام أحياناً : وقد يموت المتهم في سجنه قبل أن يصدر الحكم في قضيته .

وكان دستور ديوان التحقيق ، يجيز محاكمة الموتى والغائبين . وتصدر الأحكام في حقهم وتوقع العقوبات عليهم كالأحياء ، فتصادر أموالهم ، وتعمل لهم تماثيل تنفذ فيها عقوبة الحرق ، أو تنبش قبورهم وتستخرج رفائهم ، لتحرق في موكب « الأوتودافي » .

وكذلك يتعدى أثر الأحكام الصادرة بالأدانة من المحكوم عليه إلى أسرته وولده ، فيقتضى بحرمانه من تولى الوظائف العامة ، وامتهان بعض المهن الخاصة ، وبذا يؤخذ الأبرياء بذنب المحكوم عليهم . (١٢)

(١١) Dr. Lea : ibid ; V.I.

(١٢) نهاية الأندلس (٣١٦ - ٣٢١) .

هـ - هذا استعراض موجز لأجراءات تلك المحاكم الكنسية الشهيرة التي سوت بقضائها المروّع صحن التاريخ الأسباني زهاء ثلاثة قرون، وقد بث ديوان التحقيق منذ قيامه بقضائه وأساليبه، حوله جواً من الرهبة والروّع . ولما ذاع بطشه وعسفه ، عمد كثير من النصارى المحدثين من يهود ومسلمين إلى الفرار ، حتى اضطرت الحكومة أن تصدر سنة (١٥٠٢ م) قراراً يحرم على ربان أية سفينة وأى تاجر ، أن ينقل معه نصراًياً محدثاً دون ترخيص خاص ، وقبض بهذه الصورة على كثير من النصارى المحدثين ، في مختلف الثغور الأسبانية، وحيوا إلى المحاكم التحقيق . وكان أعضاء محاكم التحقيق يتمتعون بحصانة خارقة، وساطان مطلق ، تنحى أمامه أية سلطة، وتحمى أشخاصهم وتنفذ أوامرهم بكل وسيلة . وكان من جراء هذه السلطة المطلقة ، وهذا التحلل من كل مسؤولية ، أن ذاع في هذه المحاكم الغسف وسوء استعمال السلطة ، والقبض على الأبرياء دون حرج ، بل كثيراً ما وجد بين المحققين رجال من طراز إجرامي، لا يتورعون عن ارتكاب الغصب والرشوة وغيرها للملئ بجيوبهم، وكانت أحكام الغرامة والمصادرة أخصب مورد ، لاختلاس المحققين والمأورين وعمال الديوان وقضاة ، وكانت الملكية ذاتها تغتم مئات الآلاف من هذا المورد، هذا بينما يدوت أصحاب هذه الأموال الطائلة في السجن جوعاً (١٣) . وكان يبلغ من عسف الديوان أحياناً أن ينسط حكم الأرحاب في بعض المناطق ، وهذا ما حدث في قرطبة على يد المحقق العام لوسيرو ، الذى يعتبر من أشد المحققين قسوة وإجراماً . ففى عهده ذاعت جرائم النهب واغتصاب البنات والزوجات ، وتعال الصبيحة بالشكوى من هذا الديوان الفضيع ، الذى يجرى باسم الديوان المقدس وفي ظله ، الذى يضم اسم الديوان والحكومة ، واستغاث كبراء قرطبة بالملك ، وجرت في الموضوع تحقيقات طويلة ، انتهت بالقبض على المحقق العام وعزاه (١٤)

· Dr. Lea : ibid, V.I. P. 190-129 (١٣)

· Dr. Lea : ibid, V.I. P. 210 (١٤)

وكان العرش يعلم بأمر هذه الآثام المثيرة التي تصم سمعة الديوان والمحققين ، ولا يستطيع دفعاً لها ، لما بلغه الديوان من السلطان الذي لا يباحضه سلطان آخر ، ولأن العرش كان يرى فيه في الوقت نفسه أصلح أداة غي تنفيذ سياسته في إبادة المورييسكيين .. وفي الوصية التي تركها فرديناند الكاثوليكي عند وفاته في (كانون الثاني - يناير - ١٥١٦ م) ، لحفيده شارل الخامس ، ما يلقي ضياءً على هذه الحقائق ، ففيها بحث عن حماية الكتلكة والكنيسة ، واختبار المحققين ذوي الضمائر الذين يخشون الله ، لكي يعملوا في عدل وحزم ، لخدمة الله وتوطيد الدين الكاثوليكي ، كما يجب أن يضطرموا حماسة لسحق طائفة محمد (١٥) .

ولما توفي فرديناند ، كان المحقق العام هو الكاردينال خميس مطران طليطلة ، الذين أبدى من الحماسة في مطاردة المسلمين وتنصيرهم ، ما سبقت الإشارة إليه . وقد حاول خميس أن يطهر قضاء الديوان وسمعته ، فعزل كثيراً من المحققين الذين لا يرغب فيهم ، ولكنه ولم يعيش طويلاً ليتم خطته في الإصلاح ، فعادت المساوي القديمة أشد مما كانت ، وسار الديوان في قضائه المدمر وأساليبه المثيرة ، لا بلوي على شيء . ولما جلس شارل الخامس على العرش ، كتب إلى مجلس قشتالة يقول : إن سلام المملكة ، وتوطيد سلطانه ، يتوقفان على تأييده الديوان الحقيقي ، ولم ير شارل بعد مدة من التردد ، إلا أن ينزل عند هذا النصيح ، أن يفسح الطريق لسلطان الديوان القاهر ، وذهبت كل الجهود للحد من عسف الديوان وعيئه سدى ، وتوطد سلطان الديوان بقشتالة مدى قرون ثلاثة ، كانت في الواقع أخطر ما في حياة الشعب الأسباني (١٦) .

(١٥) Dr. ibid ; cit. Mariana. - V.I. P. 215

(١٦) Dr. Lea ; ibid ; V.I. P. 250

و - وقد رأينا كيف أنشئ ديوان التحقيق الأسباني في الأصل ، لمطاردة الكفر وحماية الكاثوليكية من شبه المروق والزيف ، وكان إنشأؤه في قشتالة قبل انهيار مملكة غرناطة بقليل ، وكان يهود الذين تمتعوا عصوراً بالحرية والأمن في ظل الحكم الإسلامي ، أول ضحايا سياسة الأرهاق والمحو التي رسمتها إسبانيا الجديدة . ذلك أنه ما كادت تسقط غرناطة في أيدي الملكيين الكاثوليكين ، وما كاد يهود ينتقلون إلى الحكم الجديد ، حتى شهرت عليهم السياسة الأسبانية حربها الصليبية ، وأصدر الملكان قرارهما الشهير في (٣٠ آذار - مارس سنة ١٤٩٢ م) وهو يقضي بأن يغادر سائر يهود - الذين لم ينتصروا - من أي سن وظرف ، أراضي مملكة قشتالة في ظرف أربعة أشهر من تاريخ القرار ، وألا يعودوا إليها قط ، ويعاقب المخالفون بالموت والمصادرة ، ويجب ألا يقوم أحد من سكان مملكة قشتالة على حماية وإيواء أي يهودي أو يهودية سراً أو جهراً متى انتهى هذا الأجل ، وللإهود أن يبيعوا أملاكهم خلال هذه المدة ، وأن يتصرفوا فيها على وفق مشيئتهم (١٧) .

فأذعن كثير من يهود للتصير لإشفاقاً على الوطن والمال ، وهلك كثير منهم في سجون الديوان المقدس ومحارقه . أو شردوا في مختلف الأقطار بعد التشريد والحرمان بل لم ينبج للتصرون منهم . من المطاردة والأرهاق لأقل الشبهة كما ذكرنا . ولقيت طوائف المدجنين من بقايا الأمة الأندلسية ، وهي التي بقيت في بعض مدن قشتالة وأراغوان في ظل الحكم النصراني ، نفس المصير المحزن . وبدأ ديوان التحقيق نشاطه في قشتالة منذ سنة (١٤٨٠ م) ، قبل انهيار مملكة غرناطة بقليل ، وأقيمت محارقه الأولى في إشبيلية عاصمة المملكة . فلما سقطت غرناطة ، وطويت بسقوطها صفحة الدولة الإسلامية في الأندلس ، ووقع ملايين المسلمين في قبضة إسبانيا النصرانية ، ولما أكره المسلمون على التصير ، واستجالت بقايا الأمة الأندلسية

إلى طوائف الموريسكيين ، أُلقي ديوان التحقيق في هذا المجتمع النصراني المحدث
أخصب ميدان لنشاطه ، وغدت محاكم التحقيق يد الكنيسة القوية في تحقيق
غاياتها البعيدة . ذلك أن هذه المحاكم الشهيرة كانت تضطلع بمهمة مزدوجة
دينية وسياسية معاً ، فكانت تعمل باسم الدين لتحقيق أغراض السياسة ، وكان
للسياسة الأسبانية بعد ظفرها النهائي بأخضاع الأمة الأندلسية أمنية أخطر
وأبعد مدى ، هي القضاء على بقايا هذه الأمة المسلمة ، وسحق دينها وكل خواصها
الجنسية والاجتماعية ، وإدماجها في المجتمع النصراني . ولم تشأ السياسة
الأسبانية أن تترك تحقيق هذه الغاية لفعل الزمن والتطور التاريخي ، بل رأت
نزولاً على وحي الكنيسة وتوجيهها المباشر ، أن تعجل بأجراءات التنصير
والقمع ، وأن تذهب في ذلك إلى حدود الأسراف والغلو ، هي التي أسبغت
على مأساة الموريسكيين أو العرب المنتصرين صبغتها المفجعة ، كما أسبغت
على السياسة الأسبانية المعاصرة وصمة عار ، لم يمحها إلى اليوم كراً الأجيال
والعصور ، وستبقى تلك الوصمة ما بقيت الحياة .

وقد اضطلع ديوان التحقيق الأسباني بأعظم قسط من هذه الإجراءات
الهمجية ، التي أريد بها تنفيذ حكم الأعدام في أمة بأسرها ، وأخضعت غرناطة لديوان
التحقيق منذ سنة (١٤٩٩ م) أعنى منذ أكره المسلمون على التنصير ، ولكنها
جعلت من اختصاص محكمة التحقيق في قرطبة ، وهكذا بدأ الديوان المقدس
أعماله في غرناطة ، بحماس يذكىه احتشاد الضحايا من حوله . ولم تغفل الرواية
الاسلامية أن تشير إلى محارق ديوان التحقيق ، أو إحراق المسلمين بتهمة
المروق أو الزنغ ، ولم يجد المسلمون الذين أثرو البقاء في الوطن القديم ، وأكرهوا
على التنصير واعتناق الدين الجديد ، ملاذاً أو عاصماً من الأضطهاد والمطاردة .
ذلك أن الموريسكيين أو العرب المنتصرين لبثوا دائماً موضع بغض والريب ،

وأبت إسبانيا النصرانية بعد أن أرغمتهم على اعتناق دينها . أن تضمهم إلى حضيرتها ، وأبت الكنيسة الأسبانية أن تؤمن بأخلاصهم لدينهم الجديد ، ولبثت تتوجس من رجعتهم وحنانهم لدينهم القديم ، وترى فيهم دائماً منافقين مارقين وهكذا كانت السياسة الأسبانية . كما كانت الكنيسة الأسبانية ، أبعد من أن تقنع بتنصير المسلمين الظاهري ، وإنما كانت ترمى إلى إبادتهم ، ومحو آثارهم ودينهم وحضارتهم . وكل ذكرياتهم .

والواقع أن الموريسكيين لبثوا بالرغم من تنصدهم ، نزولاً على حكم القوة والأرهاب . مخلصين في سرائرهم لدينهم الإسلامي وأنهم تستطيع الكنيسة بالرغم من جهودها الفادحة أن تحملهم على الولاء لدين قاسوافي سبيل اعتناقه ضروباً مروعة من الآلام النفسية والاضطهاد المضي . وإليك مايقوله مورخ إسباني كتب قريباً من ذلك العصر ، وأدرك الموريسكيين ، وعاش بينهم حيناً في غرناطة : « كانوا يشعرون دائماً بالحرَج من الدين الجديد ، فأذا ذهبوا إلى التمدّاس أيام الآحاد ، فذلك فقط من باب مراعاة العرف والنظام ، وهم لم يقولوا الحقائق قط خلال الاعتراف . وفي يوم الجمعة يحتجبون ويغتسلون ويطعمون الصلاة في منازلهم المغلقة ، وفي أيام الآحاد يحتجبون ويعملون . وإذا عمد أطفالهم عادوا فغسلوهم سرّاً بالماء الحار . ويسمون اولادهم بأسماء عربية ، وفي حفلات الزواج متى عادت العروس من الكنيسة بعد تلقى البركة ، تنزع ثيابها النصرانية ، وترتدي الثياب العربية . ويطعمون حفلاتهم وفقاً للتقاليد العربية (١٨) وقد انتهت إلينا وثيقة عربية مهمة تلقى ضوءاً كبيراً على أحوال الموريسكيين في ظل التنصير ، وتعلّقهم بدينهم الإسلامي . وكيف كانوا يتحيلون لمزاولة شعائرهم الإسلامية خفية ، ويلتمسون من جهة أخرى سائر الوسائل والأعذار

الشرعية التي يمكن أن تسوّغ مسلكتهم ، وتشفع لهم عند ربهم ، مما يرغبون عليه من اتباعه من الشعائر النصرانية . وهذه الوثيقة هي عبارة عن رسالة وجهت من أحد فقهاء المغرب إلى جماعة العرب المنتصرين ممن يسميهم : « الغرباء » ، يقدم لهم بعض النصائح التي يعاون اتباعها على تنفيذ أحكام الإسلام خفية ، وبطريق التورية والتستر . وتاريخ هذه الرسالة هو غرة رجب سنة (٩١٠هـ) = (٢٨ تشرين الثاني - نوفمبر ١٥٠٤ م) ، وإليك نص هذه الوثيقة : الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً . إخواننا القابضين على دينهم كالقابض على الجمر ، من أجزل الله ثوابهم ، فيما لقوا في ذاته ، وصبروا النفوس والأولاد في مرضاته ، الغرباء القرباء إن شاء الله ، من مجاورة نبيه في الفردوس الأعلى من جناته ، وارثو سبيل السلف الصالح ، في تحمل المشاق ، وإن بلغت النفوس إلى التراق ، نسأل الله أن يطفئ بنا ، وأن يعيننا وإياكم على مراعاة حقه بحسن إيمان وصدق ، وأن يجعل لنا ولكم من الأمور فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً . بعد السلام عليكم ، من كاتبه من عبيده الله أصغر عبيده ، وأتوجههم إلى عفوه ، ومزيده ، عبيد الله تعالى أحمد بن بوجمعة المغراوي ثم الوهراني ، كان الله للجميع بلطفه وستره ، سائلاً من إخلاصكم وغريبتكم حسن الدعاء ، بحسن الخاتمة والنجاة من أهوال هذه الدار ، والحشر مع الذين انعم الله عليهم (F:2) من الأبرار ، ومؤكداً عليكم في ملازمة دين الإسلام ، آمرين به من بلغ من أولادكم . إن لم يخافوا دخول شر عليكم من اعلام عدوكم بطوبيتكم ، فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس ، وإن ذاك الله بين الغافلين كالحلي بين الموتى ؛ فاعلموا أن الأصنام خشب منجور ، وحجر جلمود ، لا يضر ولا ينفع ، وأن الملك ملك الله ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من آله ، فاعبدوه واضطربوا لعبادته : فالصلاة ولو بالأيماء ، والزكاة ولو كأنها هدية لفقيركم أورياه ؛ لأن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن إلى قلوبكم ، والغسل

من الجنابة ولو عوماً في البحور : وإن منعتم فالصلاة قضاء بالليل لحق النهار وتسقط في الحكم طهارة الماء وعليكم . بانتميم ولو مسحاً بالأيدي للحيطان ، فإن لم يمكن فالمشهور سقوط الصلاة وقضاؤها لعدم الماء (F. 1-3) والصعيد إلا أن يمكنكم الإشارة إليه بالأيدي والوجه إلى تراب طاهر أو حجر أو شجر ما يتيمن به ، فاقصدوا بالإيماء ، نقله ابن ناجي في شرح الرسالة لقوله عليه السلام : فأتومنه ما استطعتم . وإن أكرهوكم في وقت صلاة إلى السجود للأصنام أو حضور صلاتهم فأحرموا بالنية : وانووا صلاتكم المشروعة ، وأشيروا لما يشيرون إليه من صنم ، ومقصودكم الله ، وإن كان غير القبلة تسقط في حقكم كصلاة الخوف عند الإلحاح ، وإن أجبروكم على شرب خمر ، فاشربوه لابتية استعمائه . وإن كلنوا فيكم خنزيراً فكلوه ناكرين إياه بقلوبكم ومعتقدين تحريمه ، وكذا إن أكرهوكم على محرّم : وإن زوجوكم بناتهم فجائز لكونهم أهل الكتاب ، وإن أكرهوكم على (F. 3-2) إنكاح بناتكم منهم ، فاعتقدوا تحريمه أولاً الأكراه . وإنكم ناكرون لذلك في قلوبكم ، واو جدتم قوة غيرتموه . وكذا إن أكرهوكم على ربا أو حرام . فافعلوه منكرين بقلوبكم . ثم ليس لكم إلا رؤس أموالكم . وتتصدقون بالباقي ، إن تبتم إلى الله تعالى . وإن أكرهوكم على كلمة الكفر . فإن أمكنكم التورية والأغاز فافعلوا ، وإلا فكونوا مطمئنين بالآيمان إن نطقتم بها ناكرين لذلك . وإن قالوا : اشتهوا محمداً ، فأنهم يقولوا له : محمد : فاشتهوا محمداً . ناوين أنه الشيطان أو محمد يهود فكثير بهم اسمه وإن قالوا : عيسى ابن الله . فقولوا إن أكرهوكم وانووا إسقاط مضاف : أي عبد الآلهة مريم معبود بحق . وإن قالوا قولوا المسيح ابن الله ، فقولوها أكرها . وانوا بالاضافة للملك كبيت الله لاينزم أن يسكنه أو يحل به . وإن قالوا : مريم زوجة له . فانووا بالضمير ابن عمته الذي تزوجها في بني إسرائيل ثم فارقها قبل البناء . قاله السهيلي في تفسير

المبهم من الرجال في القرآن ، أو زوجها الله منه بقضائه وقدره . وإن قالو عيسى توفي بالصلب ، فانووا بالتوفية والكمال والتشريف من هذه ، وإيماته وصلبه وإنشاد ذكره ، وأظهار الثناء عليه بين الناس ، وأنه استوفاه الله برفعه إلى العلو ، وما يعسر عليكم فابعثوا (F. 4-1) فيه إلينا نرشدكم إن شاء الله على حسب ما تكتبون به ، وأنا أسأل الله أن يبدل الكره للأسلام حتى تعبدوا الله ظاهراً بحول الله من غير محنة ولا وجله ، بل بصدمة الترك الكرام . ونحن نشهد لكم بين يدي الله أنكم صدقتم الله ورضيتم به . ولا بد من جوابكم والسلام عليكم جميعاً . بتاريخ غرة رجب عام عشرة وتسعمائة ، عرف الله خيرته .

« يصل إلى الغرباء إن شاء الله تعالى » (١٩) .

ومن ثم فقد لبث الموريسكيون . شغلاً شاعلاً للكنيسة وللسياسة الأسبانية ، فهم عنصر بغيض في المجتمع الاسباني ، وهم خطر على الدولة وعلى الوطن ، وهم بالرغم من ردتهم ما زالوا خونة مارقين ، وما زالوا أعداء للدين في سريرتهم . وكان يذكي هذا البغض والانتقام كل ضد الموريسكيين كل تدمر من جانبهم ، فلما دفعهم اليأس إلى الثورة في مفاوز البشراة ، ولما آنتست

(١٩) نهاية الأندلس (٣٢٥ - ٣٢٧) وقد عثر مؤلف الكتاب على هذه الوثيقة خلال بحوثه في مكتبة الفاتيكان الرسولية بروما ، وهي تقع ضمن مجموعة خطية من المخطوطات البورجوانية (Bargiani) ، وقد وصف هذا المخطوط في فهرست مكتبة الفاتيكان (فهرس دلافيدا) بأنه : « المقدمة القرطبية . وفي صفحة عنوانه بأنه : « كتاب نزعة المستمعين وتشغل هذه الوثيقة في المخطوط المشار إليه أربع صفحات (١٣٦ - ١٣٩) وإلهذه الوثيقة ترجمة قشتالية ، انظر :

P. Longas : La Vida Religiosa de lea Moriscos
(P. 305-307)

السياسة الأسبانية أن هذه البقية الممزقة من الأمة الأندلسية القديمة ما زالت نجيش برمق من الحياة والكرامة ، رأت أن تضاعف إجراءات القمع والمطاردة ، ضد هذا الشعب المهيبض الأعزل ، حتى لا ينبض بالحياة مرة أخرى . وكانت ثورة البشرات نذير فورة جديدة من هجرة الموريسكيين إلى ما وراء البحر ، فجازت منهم إلى أفريقيا جموع عظيمة ، ولكن الكثرة الغالبة منهم بقيت في الوطن القديم ، هدفاً للاضطهاد المنظم ، والقمع الذريع المدني والديني ، إلى جانب الأوامر الملكية بمنع الهجرة ، وحظر التصرف بالأموال وحمل السلاح وغيرها من القوانين المقيدة للحقوق والحريات ، كان ديوان التحقيق من جانبه يشدد الوطأة على الموريسكيين . ويرقب كل حركاتهم وسكناتهم ، وينمرهم بشكوكه وريبه . ويتخذ من أقل الأمور والمصادفات ذرائع لاتهامهم بالكفر والزيف ، ومعاقبتهم بأشد العقوبات وأبلغها . وقد نقل الينا لدون اورنتي مؤرخ ديوان التحقيق الأسباني . وثيقة من أغرب الوثائق القضائية . تضمنت طائفة من القواعد والأصول التي رأى الديوان المقدس أن يأخذ بها العرب المنتصرين . في تهمة الكفر والمروق ، ومنه هذه الوثيقة الغريبة :

« يعتبر الموريسكي أو العربي المنتصر قد عاد إلى الإسلام ، إذا امتدح دين محمد أو قال : إن يسوع المسيح ليس الهاء ، وليس إلا رسول ، أو إن صفات العذراء أو اسمها لاتناسب أمة . ويجب على كل نصراني أن يبلغ عن ذلك ، ويجب عليه أيضاً أن يبلغ عما إذا كان قد رأى أو سمع . بأن أحداً من الموريسكيين يباشر بنقض العادات الإسلامية . ومنها أن يأكل اللحم في يوم الجمعة . وهو يعتقد أن ذلك مباح ، وأن يحتفل بيوم الجمعة بأن يرتدى ثياب أنظف من ثيابه العادية ، أو يستقبل المشرق قائلاً بأسم الله . أو يوثق أرجل المشية قبل ذبحها ، أو يرفض أكل تلك التي لم تذبح . أو ذبحتها امرأة ، أو يخزن ألواده .

أو يسميهم بأسماء عربية ، أو يعرب عن رغبته في اتباع هذه العادة ، أو يقول : إنه يجب ألا يعتقد إلا في الله وفي رسوله محمد ، أو يقسم بأيمان القرآن ، أو يصوم رمضان ويتصدق خلاله ، ولا يأكل ولا يشرب إلا عند الغروب ، أو يتناول الطعام قبل الفجر (السحور) ، أو يمتنع عن أكل لحم الخنزير وشرب الخمر ، أو يقوم بالوضوء والصلاة ، بأن يوجه وجهه نحو الشرق ويركع ويسجد ويتلو سوراً من القرآن. أو أن يتزوج طبقاً لرسوم الشريعة الإسلامية ، أو ينشد الأغاني العربية ، أو يقيم حفلات الرقص والموسيقى العربية ، أو أن تستعمل النساء الخضاب في أيديهن أو شعورهن ، أو يتبع قواعد محمد الخمس ، أو يملس يديه على رؤس أولاده أو غيرهم تنفيذاً لهذه القواعد ، أو يغسل الموتى ويكفّنهم بأثواب جديدة. أو يدفّنهم في أرض بكر ، أو يعطى قبورهم بالأغصان الخضراء أو أن يستغيب بمحمد عند الحاجة ، منعماً آياه بالنبي ورسول الله أو يقول : إن الكعبة أول معابد الله ، أو يقول إنه لم ينصر إيماناً بالدين المقدس ، أو : إن آباءه وأجداده قد غنموا رحمة الله . لأنهم ماتوا مسلمين الخ» . (٢٠)

كانت هذه الشبه وأمثالها تتخذ ذريعة للتنكيل بالموريسكيين . بالرغم من تنصرهم وانتمائهم إلى دين سادتهم الجدد . ومن الطبيعي أن يكون موقف المسلمين الذين آثروا الاحتفاظ بدينهم أدق وأخطر ، وكانت قد بقيت منهم جماعات كبيرة في غرناطة وبلنسية وغيرها . يعيشون في غمرة من الجزع الدائم . وكانت محارق ديوان التحقيق تلتهم الكثير من هؤلاء وهؤلاء ، لأقل الشبه والوشايات . ونقد كان الأسراف في مطاردة المسلمين والموريسكيين نذير السخط والثورة ، ولكن الثورة . أخذت ولم تعدل السياسة الأسبانية عن مملكتها . وضاعفت

Don Antonio Loreate : Historia Critica de la (٢٠)
Janquisicion de Espana.

Dr. Lea : The Moriscos, P. 130 - 131. وايضاً

محاكم التحقيق إجراءات القمع والتنكيل . وقد اتصل المسلمون في الأندلس بملوك مصر والمغرب والقسطنطينية ، يستغيثون بهم ويستصرخونهم ، ويطلبونهم بنصرة إخوانهم من ظلم إسبانيا النصرانية وديوان التحقيق ، وكانت أخبار ما يعانيه المسلمون والعرب المنتصرون في إسبانيا النصرانية شائعة في الأقطار الإسلامية وفي غيرها ، من دون أن يمد الحكام المسلمون العون لمسلمي الأندلس وللعرب المنتصرين ، كأن الأمر لا يعينهم من بعيد ولا قريب .

وقد كتب المسلمون الأندلسيون رسائل الى حكام المسلمين ، فكانت السياسة الأسبانية تتخذ من هذه الرسائل التي يوجهها العرب المنتصرون والمسلمون الى أخوانهم المسلمين في ما وراء البحر ، كلما تفاقت آلامهم ومحتتهم وازداد الضغط عليهم ، ذريعة للاشتداد في مطاردتهم وعدمهم خطراً على سلامة الدولة لأنهم يأنمرون بها مع ملوك الدولة الإسلامية أعداء إسبانيا النصرانية (٢١) .

٤- ذروة الاضطهاد وثورة المورييسكيين

أ- لبث المورييسكيون في عهد فرديناند الخامس (الكاثوليكي) زهاء عشرين عاماً ، يتراوحون بين الرجاء واليأس ، ويرزحون تحت وطأة المطاردة المنظمة . وكان هذا الشعب المهيب الذي تنصر قسراً ، والذي أنكرته مع ذلك إسبانيا سيده الجديدة ، وأنكرته الكنيسة التي عملت على تنصيره ، يحاول أن يروض نفسه على حياته الجديدة ، وأن يتقبل مصيره المنكود بإيذاء وجاد . ولكن إسبانيا النصرانية ، لبثت ترى في هذه البقية الباقية من الأمة الأندلسية ، عدوها القديم الخالد ، وتتصور أن هذا المجتمع المهيب الأعزل الذي أحكمت أغلالها في عنته ما يزال مصدر خطر دائم على سلامتها وطمأنيتها ، ومن ثم كان هذا الأمعان في مطاردته وإرهاقه ، بمختلف الفروض والقيود والمغانم . وفي

(٢١) نهاية الأندلس (٣١١-٣٣١) . انظر : Predcott, G. T. Zurita : (Bnales) ; ibid; P. 69 7 (note) .

انتهاك عواطفه وحياته ، وفي تعذيبه وتدريبه ، وكان يلوح أن ليس لهذا الاستشهاد الطويل المؤثر من آخر سوى الفناء ذاته .

توفي فرديناند الكاثوليكي في (١٣ كانون الثاني - يناير ١٥١٦ م) بعد أن عانت بقية الأمة الأندلسية من غدره وعسفه ما عانت ، وكانت زوجته الملكة إيزابيلا قد سبقته إلى القبر قبل ذلك بأحد عشر عاماً ، في (٢٦ تشرين الثاني نوفمبر سنة ١٥٠٤ م) ، ودفنت تحقيقاً لرغبتها في غرناطة ، في دير سان فرانسيسكو القائم فوق هضبة الحمراء ، ودفن فرديناند إلى جانب زوجته بالحمراء تحقيقاً لوصيته ، ثم نقل رفاتهما في ما بعد إلى كنيسة غرناطة العظمى ، التي أقيمت فوق موقع مسجد غرناطة الجامع في عهد حفيديهما الإمبراطور شالكان : وأقيم لهما فيها ضريح رخامي فخيم ، ما يزال حتى اليوم في مقدمة مزارات غرناطة النصرانية . وفي دفن مستعدي غرناطة الإسلامية في حرم غرناطة القديم ، منزى خاص ينتلوي على تنويه ظاهر بظفر إسبانيا ، وظفر النصرانية على الإسلام .

وقد كان الغدر والرياء ، أبرز صفات هذا الملك العظيم المظفر !! الذي أتيح له القضاء على دواة الإسلام بالاندلس . وقد نوه بهذه الصفة الذميمة أكابر المؤرخين المعاصرين واللاحقين ، ومنهم المؤرخون القشتاليون أنفسهم (٢٢) . فمثلاً يقول المؤرخ ثوريتا (Zurita) وهو من أكابر المؤرخين الأسبان في القرن السادس عشر في وصفه : « وكان مشهوراً ، لا بين الأجانب فقط ، ولكن بين مواطنيه أيضاً ، بأنه لا يحافظ على الصدق ، ولا يراعي عهداً قطعه ، وأنه كان يفضل دائماً تحقيق صالحه الخاص على كل ما هو عدل وحق » (٢٢) . ويقول معاصره مكيا فيلالي فيه : « إن فرديناند الأرغوني غزا غرناطة في بداية حكمه ،

وكان هذا المشروع دعامة سلطانه . وقد استطاع بدال الكنيسة والشعب أن يمدّ جيوشه ، وأن يضع بهذه الحرب أسس البراعة العسكرية التي امتاز بها بعد ذلك ، وقد كان دائماً يستعمل الدين ذريعة ليقوم بشايع أعظم ، وقد كرّس نفسه بقسوة تسرها التقوى لأخراج المسلمين من مملكته وتطهيرها منهم ، وبمثل هذه الذريعة غزا إفريقيا ، ثم هبط إلى إيطاليا ، ثم هاجم فرنسا ... » (٢٣) . وكانت سياسة فرديناند الكاثوليكي مثال الغدر المثير في جميع ما اتخذه نحو معاملة المسلمين عقب تسليم غرناطة ، وما تلاه من حوادث تنصيرهم قسراً ، ثم اضطهادهم ، ومطاردتهم بأقسى الوسائل ، وأشدّها إيلاً لمشاريعهم وأرواحهم . فلما توفي فرديناند ، وخلفه حفيده شارل أو كاراوس الخامس الأمبراطور (شاركان) بعد مدة قصيرة من وصاية الكاردينال خميس على العرش تنفس الموريسكيون الصعداء ، وهبت عليهم ريح جديدة من الأمل ، ورجوا أن يكون العهد الجديد خيراً من سابقه . وأبدى الملك الجديد في الواقع شيئاً من اللين والتسامح نحو المسلمين والموريسكيين ، وجنحت محاكم التحقيق إلى نوع من الاعتدال في مطاردتهم ، وكفت عن التعرّض لهم في أراغون بسعى النبلاء والسادة الذين يعمل المسلمون في ضياعهم . ولكن هذه السياسة المعتدلة لم تدم سوى بضعة أعوام ، وعادت العناصر الرجعية في البلاط وفي الكنيسة ، فغلبت كلمتها ، وصدر مرسوم جديد في (١٢ آذار - مارس سنة ١٥٢٤) يحتمّ تنصير كلّ مسلم بقي على دينه ، وإخراج كلّ من أبى النصرانية من إسبانيا . وأن يعاقب كلّ مسلم أبى التنصير أو الخروج في المهلة الممنوحة بالرقّ مدى الحياة ، وأن تغلب جميع المساجد الباقية إلى كنائس .

عندئذ استغاث المسلمون بالأمبراطور والتمسوا عدله وحمايته ، على يد وفد منهم بعثوه إلى مدريد ، لشرح للمليك ظلامتهم وآلامهم (سنة ١٥٢٦ م) ،

فندب الأمبراطور محكمة كبرى من النواب والأحبار والقادة وقضاة التحقيق برئاسة المحقق العام ، لتنظر في ظلامة المسلمين ، ولتقرر بالأخص ما إذا كان التنصير الذي وقع على المسلمين بالإكراه ، يعتبر صحيحاً ملزماً ، بمعنى يحتم عقاب المخانف بالموت أم يطبق عليهم القرار الجديد كمسلمين . وقد أصدرت المحكمة قرارها بعد مناقشات طويلة ن التنصير الذي وقع على المسلمين لانتشوبه شائبة ، لأنهم سارعوا بقبوله اتقاء ما هو شر منه ، فكانوا في ذلك أحراراً في قبوله . ويعلق المؤرخ الغربي النصراني على ذلك القرار قوله : « وهكذا اعتبر التنصير الذي فرضه القوي على الضعيف ، والظافر على المغلوب ، والسيد على العبد ، منشئاً لصفة لا يمكن لأرادة معارضة أن تزيلها » (٢٤) . وعلى أثر ذلك صدر أمر ملكي بأن يرغم سائر المسلمين الذين نصرّوا كرهاً ، على البقاء في إسبانيا ، باعتبارهم نصارى ، وأن ينصّر كل أولادهم ، فإذا ارتدوا عن النصرانية ، قضى عليهم بالموت والمصادرة ، وقضى الأمر في الوقت نفسه أن تحول جميع المساجد الباقية في الحال إلى كنائس . فكان لهذه القرارات لدى المسلمين أسوأ وقع وما لبثت الثورة أن نشبت في معظم الأنحاء التي يقطنها المسلمون ، في سرقسطة وفي منطقة بلنسية وغيرها ، وأخمدت هذه الثورات المحلية الضئيلة تبعاً . ولكن بلنسية كان لها شأن آخر ، ذلك أنها كانت تضم حشداً كبيراً من المسلمين ، يبلغ سبعة وعشرين ألف أسرة (٢٥) ، وكان وقوعها على البحر ، يمهد للمسلمين سبل الاتصال بأخوانهم في المغرب ، ومن ثم فقد كانت دائماً في طليعة المناطق الثائرة ، وكانت الحكومة الأسبانية تنظر إليها

(٢٤) راجع تاريخ De Marles الذي وضعها بالاقتباس من تاريخ كوندي :

Domination des Arabes Espagne; V.III. P. 389.

Hist de la

Lorenli; ibid (٢٥)

باهتمام خاص : فلما فرض التنصير العام : أبدى المسلمون في بلنسية مقاومة
 عنيفة ، ولجأت جموع كبيرة منهم إلى ضاحية (بني وزير Benaguacil)
 واضطرت الحكومة أن تجرد عليهم قوة كبيرة مزودة بالمدافع ، وأرغم المسلمون
 في النهاية على التسليم والخضوع ، وأرسل إليهم الأمبراطور إعلان الأمان على
 أن ينصروا وعدلت عقوبة الرق إلى الغرامة (٢٦) . وفي باقي ولاية أراغون ،
 أشفق السادة والنبل على مصالحهم وضياعهم من الخراب : إذا اضطهد المسلمون
 ومزقوا ، كما حدث في بلنسية ، فأوضحوا للأمبراطور خطأ هذه السياسة ،
 وأكدوا له أن المسلمين في أراغون جماعة عاملة هادئة ذلوة ، لم ترتكب جرماً
 قط ، ولم تبذر منهم خطيئة دينية أو سياسية . ومعظمهم زراع في أراضي الملك
 والسادة ، ومنهم صنّاع مهرة ، فأخرجهم من أراغون خسارة فادحة . ولا داعي
 لأرغامهم على التنصير ، لأن ذلك لا يعني إخلاصهم للدين الجديد ، ومن الخير
 أن يتركوا في سلام ؛ ولكن مساعي السادة والنبل في هذا السبيل ذهبت عبثاً ،
 وأصرّ الأمبراطور على أن يطبق التشريع الجديد على جميع مسلمي أراغون ،
 وأصدر أوامره إلى ديوان التحقيق ، أن يقوم بتلك المهمة ، فأذعن المسلمون إلى
 التنصير راغبين ، وبذلك تم تنصيرهم جميعاً (سنة ١٥٢ م) . وتوالت الأوامر
 والقوانين المرفقة ، فصدر قانون يحظر على الموريسكيين بيع الحرير والذهب
 والفضة والحلي والأحجار الكريمة : وحتم على كل مسلم بقي على دينه أن يحمل
 شارة زرقاء في قبعته ، وحظر عليهم حمل السلاح إطلاقاً ، وإلاّ عوقب المخالفون
 بالجلد ، وأمرُوا أن يسجدوا في الشوارع متى مرّ كبير الأحرار . وفي بلنسية
 صدر قرار بأن يغادر المسلمون الأراضي الأسبانية من طريق الشمال ، وحظر على
 السادة أن يبقوهم في ضياعهم ، وإلاّ عوقبوا بالغرامة الفادحة . فعاد المسلمون

في بلنسية إلى الثورة ، وقاوموا جند الحكومة حيناً ، ولكن الثورة ما لبثت أن أخمدت وتقدم المسلمون خاضعين على يد وفد منهم ممثل في البلاط ، يعرضون الدخول في النصرانية ، على أن تحقق لهم بعض المطالب والظروف المخففة ، فلا يمتد اليهم قضاء ديوان التحقيق مدى أربعين عاماً ، لا في أنفسهم ولا في أموالهم ، وأن يحتفظوا خلال هذه المدة بلغتهم وملابسهم القومية ، وبعض حقوقهم في الزواج والميراث طبقاً لتقاليدهم ، وأن ينفق على من كان منهم من الفقهاء من دخل الأراضي التي وقفها المسلمون لأغراض البر ، ويرصد الباقي لإنشاء الكنائس الجديدة ، وأن يسمح لهم بحمل السلاح وتخفيض الضرائب (٢٧) .

ولكن مجلس الدولة رأى أن يطبق عليهم سائر الأوامر ، التي طبقت على الموريسكيين في غرناطة وغيرها ، وأن يسمح لهم بالاحتفاظ بلغتهم وأزيائهم مدى عشرة أعوام فقط ، وأن يمنحوا بعض الامتيازات في ما يتعلق بالزواج ودفع الضرائب . وكانت هذه المنح أفضل ما يسكن نيله في هذه الظروف ، فأقبل المسلمون في منطقة بلنسية على التنصر أفواجا ، ماعدا أقلية صغيرة آثرت المضي في المقاومة ، مزقتها جند الأمبراطور بعد حين قليل ، والفت محاكم التحقيق غير بعيد ، في مجتمع الموريسكيين في بلنسية ميداناً خصباً لنشاطها .

وحذا الموريسكيون في غرناطة حذو إخوانهم في بلنسية ، فسعوا لهدى البلاط في تخفيف الأوامر والقوانين المرهقة التي فرضت عليهم ، وانهزوا فرسه زيارة الأسباطور لغرناطة سنة (١٥٢٦ م) ، فقدموا إليه على يد ثلاثة من أكابرهم هم : الدون فرديناند بنجاس ، والدون ميشيل دراجون ، وديجو لويز بنشارا ، وهم من سلالة أمراء غرناطة الذين نصرّوا منذ الفتح ، مذكرة يشرحون فيها ظلامتهم ، وما يعانونه من آلام المطاردة والأرداق المستمر ، ولا سيما من أعمال

القفس والقضاء الديني ، فندب الأمبراطور لجنة محلية للتحقيق في أمر الموريسكيين في سائر أنحاء غرناطة ، ثم عرضت نتائج بحثها على مجلس ديني قرر ما يأتي : أن يترك الموريسكيون استعمال لغتهم العربية وثيابهم القومية ، وأن يتركوا حمامات ، وأن تفتح منازلهم أيام الحفلات وأيام الجمع والنسب ، ولا يقيموا رسوم المسلمين أيام الحفلات ، ولا يتسموا بأسماء عربية ، ولكن تنفيذ هذه القرارات أرجىء بأمر الأمبراطور : ثم أعيد إصدارها ، ثم أرجىء تنفيذها مرة أخرى .

وصدرت عدة أوامر ملكية بالعمو عن الموريسكيين في ما تقدم من الذنوب ، فإذا عادوا طبقت عليهم أشد القوانين والفروض ، فأذن الموريسكيون لكل ما فرض عليهم ، ولكنهم افندوا من الأمبراطور بمبلغ طائل من المال ، حق ارتداء ملابسهم القومية ، وحق الأعفاء من المطاردة إذا اتهموا بالردة (٢٨) . وكان الأمبراطور شارل كان حينما أصدر قراره بتنصير المسلمين ، قد وعد بتحقيق المساواة بينهم وبين النصارى في الحقوق والواجبات ، ولكن هذه المساواة لم تحقق قط ، وشعر العرب المنتصرون منذ الساعة الأولى ، أنهم ما زالوا موضع الريب والاضطهاد ، وفرضت عليهم فروض وضرائب كثيرة لا يخضع لها النصارى ، وكانت وطأة الحياة تثقل عليهم شيئاً فشيئاً ، وتترى ضدهم السعابيات والانتهاكات ، وقد غدوا في الواقع أشبه بالرقيق منهم بالرعايا الأحرار . ولما شعرت السلطات بميل الموريسكيين إلى الهجرة ، وفشت فيهم هذه الرغبة ، صدر قرار في سنة (١٥٤١ م) يحرم عليهم تغيير مساكنهم . كما حرم عليهم التروح إلى بلنسية ، التي كانت دائماً طريقهم المفضل إلى ركوب البحر ، ثم

صادر قرار بمنع الهجرة من أي الثغور إلاّ بترخيص ملكي نظير رسم فادح . وكانت السياسة الأسبانية تخشى اتصال الموريسكيين بمسلمي الغرب ، وكان ديوان التحقيق يسهر دائماً على حركة الهجرة ، ويعمل على قمعها بمنتهى الشدة ، ومع ذلك فقد كانت الأنباء تأتي من سفراء إسبانيا في البندقية وغيرها من الثغور الأبطالية ، بأنّ كثيراً من الموريسكيين الفارين ، يعمرون بها في طريقهم إلى إفريقيا والعالم الاسلامي (٢٩) .

وخلال هذا الاضطهاد الغامر ، كانت السياسة الأسبانية في بعض الأحيان تجنح إلى شيء من الرفق ، فزى الامبراطور في سنة (١٥٤٣ م) يبلغ « المحققين العامين » ، بأنه تحقيقاً لرغبة مطران طليطلة والمحقق العام ، قد أصدر عفوه عن المسلمين المنتصرين من أهل « مدينة ولكامبو » و « أريفالو » في ما ارتكبهوا من ذنوب الكفر والمروق ، وأنه يكتفى بأن يطلب إليهم الاعتراف بذنوبهم أمام الديوان « ديوان التحقيق » ، ثم تردّ إليهم أملاكهم الثابتة والمنقولة التي أخذت منهم إلى الأحياء منهم ويسمح لهم بتزويج أبنائهم وبناتهم من النصراري الخالص ، ولاتصادر المهور التي دفعوها الى الخزينة بسبب الذنوب التي ارتكبوها ، بل تبقى هذه المهور للأولاد الذين يولدون من هذا الزواج ، وأن يتمتع بهذا الأمتياز النصرانيات الخالص اللاتي يتزوجن من الموريسكيين ، بالنسبة للأملاك التي يقدمها الأزواج الموريسكيون برسم الزواج أو الميراث (٣٠) . وهكذا لبثت السياسة الأسبانية أيام الامبراطور شارلكان (١٥١٦ م - ١٥٥٥ م) لإزاء الموريسكيين : تردد بين الأقدام والأحجام واللين والشدة بيد أنها على العموم كانت أقلّ عسفاً وأكثر اعتدالاً ، منها أيام فرديناند وايزابيلا ، وفي عهده نال

(٢٩) Dr. Lea : ibid; P. 187 - 189

(٣٠) Arch gon de simancas; P. R. Leg 28 Fol 49.

الموريسكيون كثيراً من ضروب الأعفاء والتسامح الرفيعة نوعاً ، ولكنهم لبثوا في جميع الأحوال موضع القطيعة والريب ، عرضه للارهاق والمطاردة . وابتث محاكم التحقيق تجد فيهم دائماً ميدان نشاطها الفضل .

ب . على أن هذه السياسة المعتدلة نوعاً ، لم يتح لها الاستمرار في عهد ونده وخلفه فيليب الثاني (١٥٥٥ هـ - ١٥٩٨ م) . وكان التنصير قد عمّ الموريسكيين يومئذٍ ، وغاضت منهم كل مظاهر الإسلام والعروبة ، ولكن قسماً دفيناً من دين الآباء والأجداد ، كان لا يزال يجثم في قرارة هذه النفوس الأبية الكليمة . ولم تنجح إسبانيا النصرانية بسياستها البربرية في اكتساب شيء من ولائها المغضوب . وكان الموريسكيون يحتشدون جماعات كبيرة وصغيرة في غرناطة وفي بسائطها ، وفي منطقة البشراة الجبلية ، تتوسطها الحاميات الأسبانية والكنائس . لتسهر الأولى على حركاتهم ، وتسهر الثانية على إيمانهم وضمايرهم ، وكانوا يشتغلون بالأخص في الزراعة والتجارة ، وانهم صلات تجارية واجتماعية وثيقة بثغور المغرب ، وهو ما كانت ترقبه السلطات الأسبانية دائماً بكثير من الحذر والريب . وكانت بقية من التقاليد والمظاهر القديمة : مما زالت تربط هذا الشعب الذي زاده المحن والخطوب اتحاداً ، وتعلقاً بترائه التومى والروحي ، وكانت الكنيسة تحيط هذا الشعب العاق ، الذي لم تنجح تعاليمها في النفاذ إلى أعماق نفسه ، بكثير من البغضاء والحقد . فلما تولى فيليب الثاني أتمت فرصتها في إذكاء عوامل الاضطهاد والتعصب . التي خبت نوعاً في عهد أبيه شارل الخامس . وكان هذا الملك المتعصب جداً في قرارة نفسه : يخضع لروحي الأبحار والكنيسة . ويرى في الموريسكيين ما تصوره الكنيسة والسياسة الرجعية : عنصراً بغيضاً خطراً دخبلاً على المجتمع الأسباني ، فلم تمض أعوام قلائل على تبوئه الملك ، حتى ظهرت بوادر التعصب والتحريض ضد الموريسكيين

في طائفة من القوانين والفروض المرحقة . وكانت مسألة السلاح في مقدمة المسائل التي كانت موضع الاهتمام والتشدد . وقد عنت السياسة الأسبانية منذ البداية بتجريد الموريسكيين من السلاح ، واتخذت أيام فرديناند لإجراءات لينسة نوعا ، فكان يسمح بحمل أنواع معينة من السلاح المنزلي كالمسكين ، وغيرها وذلك بترخيص ورسوم معينة . ولكن الحكومة خشيت بعد ذلك عواقب هذا التسامح ، فأخذت تشدد في الترخيص ، وجرد المسلمون في بلنسية من سلاحهم جملة ، وقيل لهم حينما اذعنوا للتنصير : إنهم سيعامنون كالتصارى في سائر الحقوق والواجبات ويردّ لهم سلاحهم ولكن الحكومة لم تفِ بعهدها . وفي سنة (١٥٤٥ م) صدر قرار بمنع حمل السلاح كافة ، ولكنه نفذ بشيء من اللين . وفي سنة (١٥٦٣ م) في عهد فيليب الثاني ، صدر قانون جديد بحرم حمل السلاح على الموريسكيين إلا بترخيص من الحاكم العام ، وأحيط تنفيذه بمتهى الشدة ، فثار صدوره سخط الموريسكيين ، وكان السلاح ضروريا للدفاع عن أنفسهم في محلاتهم المنعزلة النائية .

بيد أن قانون تحريم السلاح ، لم يكن سوى مقدمة لقانون أقى وأشدّ إيلاما ، هو القانون الخاص بتحريم استعمال اللغة العربية . وارتداء الثياب العربية : على الموريسكيين . وقد ابنت اللغة والتقاليد العربية في الواقع للموريسكيين ، من أوثق الروابط بماضيهم وتراثهم ، وكانت عماد قوتهم المعنوية ومن ثم كانت غناية السياسة الأسبانية . بالعمل على محوها بطريق التشريع الصارم ، والقضاء بذلك على آخر الروابط التي تربط الموريسكيين ، بماضيهم وتراثهم القومي . وقد فكر بعض أبحار الكنيسة ، أن يتعلم القسس الذين يقومون بحركة التنصير اللغة العربية ، لكي يستطيعوا إقناع الموريسكيين بغيرتهم ، والنفاذ إلى أعماق نفوسهم ، ولكن فيليب الثاني لم يوافق على هذا الرأي ، وآثر أن يتعلم القشالية أبناء الموريسكيين منذ طفولتهم ؛ وكانت السياسة الأسبانية قد حاولت تنفيذ مشروعها

منذ عهد الإمبراطور شارل كان فصدر في سنة (١٥٢٦ م) قانون يحرم على الموريسكيين التخاطب باللغة العربية وارتداء الثياب العربية ، واستعمال الحشامات ، وإقامة الحفلات على الطريقة الإسلامية : ولكنه لم ينفذ بشدة ، والتمس الموريسكيون في بلنسية وغرناطة وقف تنفيذه أربعين عاماً ، يحتفظون خلالها بلغتهم وثيابهم القومية ، وقرنوا ملتصقين بمطالب أخرى تتعلق بتطبيق شريعتهم وتقاليدهم ، وتخفيف الضرائب عن كاهلهم ، وبالرغم من أن مطالبهم لم تُجب يومئذ كلها ، فإن قانون تحريم اللغة والثياب القومية ، نظير ضريبة معينة : أرجى تنفيذه مرة أخرى ، وأجيز للموريسكيين استعمال اللغة والثياب القومية : نظير تلك الضريبة المعينة ، واستمر هذا المنح سارياً حتى عهد فيليب الثاني وكان يجمع من هذه الضريبة مبلغ طائل . ولكن فيليب الثاني . كان ملكاً شديد التعصب ، كثير التأثير بنفوذ الأحرار ، وكانت الكنيسة ترى أن بقاء اللغة العربية من أشد العوامل لمنع تغلغل النصرانية في نفوس الموريسكيين ، وأنه لا بد من القضاء على ذلك الحاجز الصخري الذي تحطم عليه جهود الكنيسة : وكانت قد مضت فوق ذلك أربعون عاماً منذ صدر قانون التحريم في عهد الإمبراطور شارل كان ، ولم يبق للموريسكيين في ذلك حجة ولا ملتزم : وانتهت الكنيسة كالعادة بأقناع الملك بصواب رأيها ، فلم يلبث أن استجاب لتحريضها ، وأمر في (أيار مايو سنة ١٥٦٦ م) بأن يجدد القانون القديم بتحريم الثياب العربية واللغة العربية ، وهكذا حاول بطريق التشريع أن يسدّد الضربة الأخيرة للغة الموريسكيين وتقاليدهم العربية ، فأصدر هذا القانون الهمجى الذي لم يسمح بصدور مثله في تاريخ المجتمعات المتعددة . ويقضي هذا القانون ، بأن يمنح الموريسكيون ثلاثة أعوام لتعلم اللغة القشتالية . ثم لا يسمح بعد ذلك لأحد أن يتكلم أو يكتب أو يقرأ بالعربية أو يتخاطب بها ، سواء بصفة عامة أو بصفة خاصة ، وكل معاملات أو عقود تجري بالعربية تكون باطلة ولا يُعتمد بها لدى القضاء أو غيره . ويجب أن تُسلم

الكتب العربية ، من أية مادة ، في ظرف ثلاثين يوماً إلى رئيس المجلس الملكي في غرناطة ، لتفحص وتقرأ ، ثم يردّ غير الممنوع منها إلى أصحابها لتحفظ لديهم مدى الأعوام الثلاثة فقط . وأما الثياب ، فيمنع أن يصنع منها كل جديد وأي جديد مما كان يستعمل أيام المسلمين ، ولا يصنع منها إلا ما كان مطابقاً لأزياء النصراني ، وحتى لا يتلف منها ما كان من زيّ المسلمين ، فإنه يسمح بارتداء الثياب الحريرية منها لمدة عام ، والصوفية لمدة عامين ، ثم لا يسمح باستعمالها بعد ذلك . ويحظر التحجب على النساء الموريسكيات ، وعليهنّ أن يكشفن وجوههنّ ، وأن يرتدين عند خروجهنّ المعاطف والقبعات على نحو ما تفعل النساء الموريسكيات في أراغون . ويحظر في الحفلات إجراء أية رسوم إسلامية ، ويجب أن يجري كلّ ما فيها طبقاً لعرف الكنيسة وعرف النصراني ، ويجب أن تفتح المنازل أثناء الاختنال ، وفي أيام الجمعة وأيام الأعياد : ليستطيع القسّس ورجال السلطة أن يروا ما يقع في داخلها من المظاهر والرسوم المحرّمة . ويُحرّم إنشاد الأغاني القومية ، ولا يشهر الزّمر (الرقص العربي) أو ليالي الطرب بالآلات أو غيرها من العوائد الموريسكية ، ويحرم الخضاب بالخناء . ولا يسمح بالاستحمام في الحمامات ، ويجب أن تهدم جميع الحمامات العامة والخاصة . ويحرم استعمال الأسماء والألقاب العربية ، ومن يحملها يجب عليه المبادرة بتركها . ويجب أخيراً على الموريسكيين الذين يستخدمون العبيد السود : أن يقدّموا رخصتهم باستخدامهم للنظر في ما إذا كان حربياً بأن يسمح لهم باستبقائهم (٣١) .

هذه هي نصوص ذلك القانون الهمجي الذي أريد به تسديد الضريبة القاضية لبقايا الأمة الأندلسية ، وذلك لتجريبها من مقوماتها القومية الأخيرة .

(٣١) Marmol; ibid; f1 Cop V1 ، وانظر أيضاً :
P. Lognas; ibid; P. XLV-XLVI

وقد فرضت على المخالفين عقوبات فادحة ، تختلف من السجن إلى النفي والأعدام ، وكان إحرار الكتب والأوراق العربية ولا سيما القرآن الكريم ، يعتبر في نظر السلطات من اقوى الأداة على الردة ، ويعرض المتهم لأقسى أنواع العذاب والعقاب .

وأعلن هذا القانون المروع في غرناطة في يوم (أول كانون الثاني - يناير سنة ١٥٦٧ م) ، وهو اليوم الذى سقطت فيه غرناطة ، واتخذته اسبانيا عيداً قومياً لها تحتفل به في كل عام ، وأمر ديسا رئيس المجلس الملكي بأذاعته في غرناطة ، وسائر انحاء مملكته القديمة ، وتولى أذاعته موكب من القضاة شق المدينة ، ومن حوله الطبل والزور ، وعلّق في ميدان باب البنود أعظم ميادينها القديمة ، وفي سائر ميادينها الأخرى ، وفي ريف البيازين ، فوقع لدى المورييسكين وقع الصاعقة ، وفاضت قلوبهم الكسيرة سخطاً وأسى وإأساً ، وأحيط تنفيذ به بستمهى الشدة ، فحطت الحمامات تباعاً . واجتمع زعماء المورييسكين تباحثوا في ما يجب عمله لإزاء هذه المحنة الجديدة ، وحاووا أن يسعوا بانضراعة والحسنى لألغاء هذا القانون ، أو على الأقل لتخفيف وطأته ، ورفعوا احتجاجهم أولاً إلى الرئيس ديسا عن يد رئيس جماعتهم مولاى فرنسيسكو نونيز ، فخطب الرئيس ديسا ، وبَيَّن له ما في القانون من شدة وتناقض ، وخرق للعهود ، وطلب إرجاء تنفيذه . وحمل رسالتهم إلى فيليب الثاني ، وإلى وريثه الطاغية الكاردينال أسبوسا ، اسباني نبيل من أعيان غرناطة يدعى ادون خوان هنريكس . وكان يعطف على هذا الشعب المنكود . ويرى خطر الرياسة التى اتبعت لأبادته . وسار معه إلى مدريد اثنان من أكابرهم دما : خوان هرنانديث من اعيان غرناطة . وهرناندو الحبلى من اعيان وادى آش ، وامتس الوفد إلى الملك إرجاء تنفيذ القانون ، كما حدث أيام أبيه ، وبعث ادون هنريكس بمذكرة إلى جميع أعضاء المجلس الملك بين فيها ما يترتب على تنفيذ القانون . وأنه أصبح أمراً واقعاً . وكذا عرض الماركيز دى موندبخار حاكم

غرناطة على الملك اعترض الموريسكيين ووضح له خطورة الموقف ، وأن اليأس قد يدفعهم إلى الثورة ، وأنّ التترك قد أصبحوا في شواطئ المغرب على مقربة من إسبانيا ، وأنّ الموريسكيين شعب عدو لا يدين بالولاء ، فلم تفد هذه الاعتراضات شيئاً ، وقبل إن الموريسكيين شعب جبان ، ولا سلاح لديه ولا حصون وهكذا حملت سياسة العنف والتعصّب في طريقها كل شيء ، ونفذت الأحكام الجديدة في المواعيد التي حددت لها ، ولم تبد السلطات في تنفيذها أي رفق أو مهادنة (٣٢) .

ولم يحظ بلمحة من الرفق سوى الموريسكيين في بلنسية ، وكان زعيمهم كبير أشرافهم كوزمن بن عامر من المقربين إلى البلاط ، فسعى للتخفيف عنهم وكلفت مساعيه بالنجاح في بعض النواحي . وهو أن يعامل الموريسكيون بالرفق في حالة اتهامهم بالردة . ولا تتزع املاكهم بتهمة المروق ، وذلك على أن يدفعوا إتاوة سنوية قدرها الفان وخمسمائة مثقال لديوان التحقيق . (٣٣)

واما في غرناطة ، فقد بلغ اليأس بالموريسكيين ذروته ، فتهامسوا على المقاومة والثورة ، والذود عن انفسهم إزاء هذا العسف المضي : أو الموت قبل ان تنطفي في قلوبهم و ضمائرهم آخر جذوة من الكرامة والعزة ، وقبل أن تقطع آخر صلاتها بالماسي المجيد والتراث العزيز ، وكانت نفوسهم ما تزال تضطرب ببقية من شغف النضال والدفاع عن النفس : وكان يرون في المناطق الجبلية القريبة ملاذاً للثورة ، ويؤمنون أن يصلوا بالمقاومة إلى إلغاء هذا القانون الممجى

(٣٢) Marmol; ibid 11 Cop وانظر :

Preocott : Pailip 11 of Spain; V.III. P. 12-89 ، وانظر

Dr. Lea : The Morisco ; P. 150-151 and 230-240

Dr. Lea: ibid. P, 126 (٣٣)

أو تخفيفه . وهنا يبدأ الصراع الأخير بين الموريسكيين وإسبانيا النصرانية ، ومن المؤسف أنه لم تذكر المصادر العربية عن هذا المرحلة شيئاً ، فهي تقف عند محنة التنصير الأولى عقب سقوط غرناطة ، فلا بد من الرجوع إلى المصادر النصرانية حول ذلك .

سرى إلى الموريسكيين بأس بالغ يذكى السخط العميق ، فعولوا على الثورة ، مؤثرين الموت على ذلك الاستشهاد المعنوي الهائل ، ونبئت فكرة الثورة في غرناطة أولاً حيث يقبم أعيان الموريسكيين : وحيث كانت جمهرة كبيرة منهم نحتشد في ضاحية البيازين . وكان زعيم الفكرة ومثير ضرامها موريسكي يدعى : فرج بن فرج ، وكان فرج صباغاً بمهنته ، ولكنه حسبما تصفه الرواية القشتالية ، كان رجلاً جريئاً وافر العزم والحماسة ، يضطرم بغضاً للنصارى . ويتوق إلى الانتماء الذريع منهم ، ولا غرر فقد كان ينتسب إلى بني سراج ، وهم كما رأينا من أشراف غرناطة وفرسانها الأنجاد أيام الذوة الإسلامية . وكان ابن فرج كثير التردد على أنحاء البشّرات ، وثيق الصلة بمواطنيه ، فاتفق الزعماء على أن يتولى حشد قوة كبيرة منهم ، ترحف سراً إلى غرناطة . وتجاوز إليها من ضاحية البيازين ، ثم تفاجئ حامية الحمراء وتسحقها ونستولي على المدينة . وحددوا للتنفيذ « يوم الخميس المقدس » ، من شهر نيسان - أبريل سنة (١٥٦٨ م) إذ ينشغل النصارى يومئذ باحتفالاتهم وصلواتهم . ولكن أنباء هذا المشروع الخطير تسربت إلى السلطات منذ البداية ، فاتخذت الاحتياطات لدرئته ، وعززت حامية غرناطة وحاميات الثغور ، واضطر الموريسكون لإزاء هذه الأهمية أن يرجئوا مشروعهم إلى فرصة أخرى .

ووضع أدب من زعماء الثورة ، يدعى باسمه المسالم محمد بن محمد بن داود : قصيدة ملتزمة ، يصف فيها آلام بني وطنه ، ويستمد فيها الغوث والعون

من الله ونبيه عليه الصلوة والسلام ، فضبطت معه في ثغر أدية ، وأرسلت إلى البلاط مع ترجمتها القشتالية ، وهذه هي ملخص ما ورد في تلك القصيدة التي تعتبر صرخة ألام أخيرة لشعب شهيد : « تفتح القصيدة بحمد الله والثناء عليه والتنويه بقلدرته ، وخضوع جميع الناس والأشياء لحكمه ، ثم يقول : استمعوا إلى قصة الأندلس المحزنة ، وهي تلك الأمة العظيمة التي غدت اليوم ضعيفة مهينة ، يحيط بها الكفرة من كل صوب ، وأضحى أبنائها كالأغنام الذين لا راعي لهم . وفي كل يوم نسام سوء العذاب ، ولا حيلة لنا سوى المصانعة ، حتى ينقلنا الموت مما هو شر وأدهى . وقد حكموا فينا يهود الذين لا عهد لهم ولا ذمام ، وفي كل يوم يبحثون عن ضلالات وأكاذيب وخدع وانتقامات جديدة .

« ونرغم على مزاوله الشعائر النصرانية وعبادة الصّور ، وهي مسخ لواحد القهار ولا يجرو أحد على التذمر أو الكلام . وإذا ما قرع الناقوس ، ألقى القس عِظَمَتَه بصوت أجش ، وفيها يشيد بالبيذ ولحم الخنزير ، ثم تنحنى الجماعة أمام الأوثان دون حياة ولا خجل . . .

« ومن عباده بلغته قضى عليه بالهلاك ، ومن ضبط أنقى إلى السجن عذّب ليل نهار ، حتى يرضخ لباطلهم .

ثم بصف وسائل إرداقهم والتضييق عليهم ، من التسجيل والتفتيش وغيرها ، وما يفرض عليهم من الضرائب القادحة ، وكيف تؤدي عن الحي والميت والكبير والصغير ، والغني والفقير وكيف يرهقهم القضاة الظلمة ولا يغفلت من ظلمهم كائن . وكيف يلتقي بهم في السجن ، ويرغمون على التنصير بالاعتقال والتعذيب . وكيف تهشم أوصال الفرائس ، ثم تحمل إلى الميدان لتحرق أمام الجمع الحاشد . وكيف تكدرس المظالم على رؤوسهم تكديسا ويسومهم الخسف أصاغر النصارى وكل منهم يفتن في ضروب الأضطهاد :

ثم يقول : « ولقد علّقوا يوم العيد (عيد سقوط غرناطة) في ميدان باب البنود : قانوناً جديداً ، وأنخذوا يدهمونة الناس في نومهم ، ويفتحون كل باب ، يرمعون تجريدنا من ثيابنا وقديم عاداتنا ، ويمزقون الثياب ، ويحطمون الحمامات .

« ونحن إذ نياس من عدل الإنسان ، نستغيث بالنبيّ (عليه الصلاة والسلام) : معتمدين على ثواب الآخرة ، وقد حثنا شيوخنا على الصلّة والصوم ، وأن نقصد وجه الله ، فهو الذي يرجئنا في نهاية الأمر » (٣٤) .

وضبط في الوقت نفسه مع ابن داوود خطاب موجه من أحد زعماء البيازين إلى زعماء المغرب ورؤسائهم وإخوانهم في الدين . وكان هذا الكتاب واحداً من كتب عديدة وجهت خفية إلى أمراء الغور في المغرب ، يطلبون إليهم الغوث والعون ، فحمل الكتاب إلى حاكم غرناطة ، وفيه يناشد كاتبه إخوانه بالمغرب ، ويستحلفهم الغوث بحق روابط الدين والدم ، ويصف ما قرره التصاري من إرغاهم على ترك اللغة ، وتركها فقد للشرية ، وكشف الوجوده الحية المحتشمة ، وفتح الأبواب ، وما أنزل بهم من محن السجن والأسر ونهب الأملاك ، ويطلب إليهم أن يبلغوا استعانتهم إلى سلطان المشرق قاهر أعدائه ، ثم يقول : « لقد غمرتنا الهموم ، واعدائنا يحيطون بنا إحاطة النار المهلكة . إن مصائبنا لأعظم من أن نحتمل ، ولقد كتبنا لكم في ليالٍ تفيض بالعذاب والدّمع ، وفي قلوبنا قيس من الأمل ، إذا كانت ثمة بقية من الأمل في أعماق الروح المعذب » (٣٥) .

(٣٤) أورد مارمول ترجمة قشتالية كاملة لهذه القصيدة ، والترجمة للاستاذ محمد عبدالله عنان نقلاً عن : نهاية الأندلس (٣٤٥ - ٣٤٦) ، انظر :

Marmol; ibid; III. Cap IX

(٣٥) أورد مارمول ترجمة قشتالية كاملة ، انظر :

Marmol, ibid, III, Cap. IX.

وأكن الحكومات المغربية كانت مشغولة بمشاكلها الداخلية ، فلم يلبّ داعي الغوث سوى جماعة من المتطوعين ، الذين نفذوا سرّاً إلى إخوانهم في البشرات ، ومنهم كثير من البحارة المجاهدين ، الذين كانوا حرباً عواناً على الثغور والسفن الأسبانية في ذلك العصر .

واستمرّ الموريسكيون على عزمهم وأهيمهم ، وأرسلت خطابات عديدة من ابن فرج وزملائه إلى مختلف الأنحاء يدعون فيها لإخوانهم إلى التأهب واطّار سائر إخوانهم . وفي شهر (كانون الأول - ديسمبر ١٥٦٨ م) وقع حادث كان نذير الانفجار ، إذ اعتدى الموريسكيون على بعض المأمورين والقضاة الأسبانيين في طريقهم إلى غرناطة ، ووثبت جماعة منهم في الوقت نفسه بشرذمة من الجند ، كانت تحمل كمية كبيرة من البنادق ، ومثلت بهم جميعاً ، وفي الحال سار ابن فرج على رأس مائتين من أتباعه ، ونفذ إلى المدينة ليلاً ، وحاول تخريب مواطنيه في « البيازين » على نصرته ، ولكنهم أبوا أن يشتركوا في مثل هذه المغامرة الجنونية . ولقد كان موقفهم حرجاً في الواقع ، لأنهم يعيشون إلى جانب النصارى على مقربة من الحامية ، وهم أعيان الطائفة وأهم في غرناطة مصالح عظيمه يخشون عليها من انتقام الأسبان ، بيد أنهم كانوا يؤيدون الثورة ، ويؤيدونها برعايتهم ونصحهم ومالهم ، فارتد ابن فرج على أعقابهم ، واجتاز شعب جبل شلير (سيرا نقادا) إلى الهضاب الجنوبية في ما بين بلش وألمرية ، فلم تمض بضعة أيام ، حتى عمّ ضرام الثورة جميع الدساكر والقرى الموريسكية في أنحاء البشرات ، وهرعت الجموع المسلحة إلى ابن فرج ، ووثب الموريسكيون بانصارى القاطنين في ما بينهم ، ففتكوا بهم ومزقوهم شر مزق .

ج . اندلع لبيب الثورة في أنحاء الأندلس ، ودوت بصيحة الحرب القديمة وأعلن الموريسكيون استقلالهم ، واستعدوا لخوض معركة الحياة أو الموت ، وبدأ الزعماء باختيار أمير يلتفون حوله ، ويكون رمز مُتّكهم القديم ، فوقع

اختيارهم على فتى من أهل البيازين يدعى : الدون فرناندو دى كاردوبا وفالور (٣٦) . وكان هذا الاسم النصراني القشتالي ، يحجب نسبة عربية رفيعة . ذلك أن فرناندو دى فالور كان ينتمي في الواقع إلى بني أمية ، وكان سليل الملوك والخلفاء الذين سطعت في ظلهم الدولة الإسلامية في الأندلس ، زهاء ثلاثة قرون . وكان فتى في العشرين ، تنوّه الرواية القشتالية المعاصرة بوسامته ونبل طلّعه ، وكان قهّل انتظامه في سلك الثوّار مستشاراً ببلدية غرناطة ، ذا مال ووجاهة . وكان الأمير الجديد يعرف خطر المهمة التي انتدب لها ، وكان يضطرم حماسة وجرأة واقديماً ففي الحال غادر غرناطة سراً إلى الجبال ، ولجأ إلى شيعته آل فالور في قرية برذّار (Bezdar) فهرعت إليه الوفود والجموع من كلّ ناحية ، واحتفل الموريسكيون بتتويجه في (٢٩ كانون الأول - ديسمبر سنة ١٥٦٨ م) في احتفال بسيط مؤثّر ، فرشت فيه على الأرض أعلام إسلامية ذات أهلة ، فصلّى عليها الأمير متجهاً نحو مكة ، وقبل أحد أتباعه الأرض رمزاً للخضوع والطاعة ، وأقسم الأمير أن يموت في سبيل دينه وأمه ، وتسمى باسم ملوكيّ عربيّ هو : محمد بن أمية صاحب الأندلس وغرناطة ، واختار عمه المسمى : فرناندو الزغوير (الصغير) واسمه المسلم ابن جوهر قائداً عاماً لجيشه ، وقد كان صاحب الفضل الأكبر في اختياره للرياسة ، وانتخب ابن فرج كبيراً للوزارّة ، ثم بعثه على رأس بعض قواته إلى هضاب البشّرات ، ليجمع ما استطاع من أموال الكنائس ، واتخذ مقامه في أعماق الجبال في مواقع منيعة ، وبعث رسله في جميع الأنحاء ، يدعون الموريسكيين إلى خلع طاعة النصارى والعود إلى دينهم القديم (٣٧) .

(٣٦) كاردوبا أي قرطبة ، وفالور قرية غرناطية تقع على مقربة من أجيغر .

(٣٧) Marmol, ibid; IV, Car. VII

ووقعت نقمته الموريسكيين بادئ ذي بدء ، على النصاري المقيمين بين
ظهرانيهم في أنحاء البشّرات ، ولا سيما القبس وعمال الحكومة ، وكان هؤلاء
يقبضون في محلات متفرقة سادة قساة ، يعاملون الموريسكيين بمتهى الصرامة
والزراية ، وكان القبس بالأخص سبب بلائهم ومصائبهم ، ومن ثم كانوا
ضحايا الثورة الأولى . وانقض ابن فرج ورجاله على النصارى في تلك الأنحاء
ومزقوهم تمزيقا وقتلوا القبس وعمال الحكومة ، ومثلوا بهم أشنع تمثيل .
وكانت حسبا تقول الروايات القشتالية مذبحه عامة ، لم ينج منها حتى الأطفال
والنساء والشيوخ . وذاعت انباء المذبحة الهائلة في غرناطة فوجم لها الموريسكيون
والنصارى معاً ، وكلّ يخشى عواقبها الوخيمة ؛ وكان الموريسكيون يخشون أن
ييطش بهم النصارى انتقاماً لأخوانهم ومواطنيهم ، وكان النصارى يخشون أن
يزحف جيش الموريسكيين على غرناطة ، فتسقط المدينة بأيديهم ، وعندئذ
يحل بهم النكال المروع . بيد أن الرواية القشتالية تصف هنا محمد بن أمية
فتقول : إنه لم يحرص على هذه المذابح ، ولم يوافق عليها ، بل لقد ثار لها ،
وحاول أن يحول دون وقوعها . وعزل نائبه ابن فرج عن القيادة ، فترل راضياً
واندمج في صفوف المجاهدين ، وهنا يختفي ذكره ولا يبدو على مسرح الحوادث
من جديد (٣٨)

د . وكانت غرناطة في أثناء ذلك ترتجف سخطاً وروعاً ، وكان حاكمها
المركزى مندبىار يتخذ الأبهة اتمع الثورة منذ الساعة الأولى . بيد أنه لم يكن

(٣٨) Prescott: Philip 11; V.III. Ch. 11. وكذلك

Dr. Lea: The Moriscos; P. 237.

يقدر مدى الانفجار الحقيقي . فضّصت غرناطة بالجند ، ووضع الموريسكيون أهل البيازين تحت الرقابة ، برغم احتجاجهم وتوكيدهم بأن لا علاقة لهم بالثائرين من مواطنيهم . وخرج منديخار من غرناطة بقواته ، في (٢ كانون الثاني - يناير سنة ١٥٦٩ م) تاركاً حكم المدينة لابنه الكونت تندايا ، وعبر جبل شلير (سيرا نفادا) ومارتواً إلى أعماق البشرات ، حيث يحتشد جيش الثوار . وكانت الثورة الموريسكية في تلك الأثناء ، قد عمّت: أنحاء البشرات الشرقية والجنوبية واضطربت في أجبر وبرجة وأدرة وأندرش ودلاينة وأوشار ومرشانة وشلوبانية وغيرها من البلاد والقرى ، واستطاع الموريسكيون أن يتغلبوا بسهولة على معظم الحاميات الأسبانية المتفرقة في تلك الأنحاء ، بل لقد سرت الثورة إلى أطراف ממكة غرناطة القديمة ، حيث اندلع لهيبها في وادي المنصور وفي قراه ودماكره ، ولم يتخلف عن المشاركة في الثورة سوى رندة ومربلة ومالقة ، وكانت بها حاميات إسبانية قوية ، ونشبت الثورة في معظم أنحاء المرية ، وهكذا عمّت الثورة الموريسكية معظم أنحاء الاندلس ، واشتد الأمر بنوع خاص في بسطة ووادي آش والمرية (٣٩) .

وكان محمد بن أمية متحصناً بقواته في أكام بوكيرا الوعرة ، وكان الموريسكيون برغم نقص مواردهم وسلاحهم ، قد حذقوا حرب الجبال ومفاجأتها ، فما كاد الأسبان يقتربون حتى انقضوا عليهم ، ونشبت بين الفريقين معركة عنيفة ، ارتد الموريسكيون على أثرها إلى سهول بطرنة ، وتخلف كثيرون منهم ولا سيما النساء ، ففتك الأسبان بهم فتكاً ذريعاً . وحاول منديخار أن

يتفاهم مع الثائرين على العفو ، وأن يخلدوا إلى السكينة : وبعث إليهم بعض المسلمين من مواطنيهم . وكتب الدون أنونسو فنيجاس (بنينش) لئيل الأسرة البرناطية القديمة إلى محمد بن أمية يعاتبه ، وأنه قد جانب العقل والحزم في القيام بهذه الحركة التي تعرضه وتعرض أمته للهلاك ، ونصحه بالتوبة والتماس العفو . وكان محمد بن أمية يميل إلى الصلح والتفاهم ، تبودلت بالفعل المكاتبة بينه وبين المركيز دي منديخار في أمر التسليم ولكن المتطرفين من أنصاره ولا سيما المتطوعين المغاربة رفضوا الصلح ، فاستؤنفت المعارك ، ورجحت كفة الأسبان ، وهزم المورييسكيون مرة أخرى ، وأعلن المركيز دي منديخار أن الأسرى المورييسكيين يعتبرون رقيقاً . وفر محمد بن أمية ، وأسرت أمه وزوجه وأخواته ، وأصيب الأسبان بهزيمة شديدة في آكام « وإخاريس » ، وقتل منهم مائة وخمسون جندياً مع ضباطهم ، واكن المورييسكيين آثروا الارتداد ، وقتل الأسبان من تخلف منهم أشنع قتل ، وكان ممن تخلف منهم زعيم باسل يدعى « الزمار » أسره الأسبان مع ابنته الصغيرة وأرسلوه إلى غرناطة حيث عذبوه عذاباً وحشياً ، إذ نزع لحمه من عظامه حياً ، ثم مزقت أشلائه ، وهكذا كانت أساليب الأسبان النصارى ومحاكم التحقيق لإزاء العرب المتنصرين

واختفى محمد بن أمية مدى حيناً في منزل قريبه « ابن هبو » ، وكان من أنجاد الزعماء أيضاً ، وطارده الأسبان من دون أن يظفروا به . حل أن هذه الهزائم لم تزل من عزم المورييسكيين ، فقد احتشدوا في شرق البشرا في جموع عظيمة ، وأخذوا يهددون ألمرية ، فسار إليهم المركيز « لوس فيليس » على رأس

جيش آخر ، ووقعت بين الفريقين عدة معارك شديدة ، قتل فيها كثير من الفريقين ، ومزق الموريسكيون ، وقتل الأسبان كمعادتهم الاسرى ، وقتلوا النساء والأطفال قتلاً ذريعاً

ووقعت في الوقت نفسه في غرناطة مذبحة مروعة أخرى ، فقد كان في سجنها العام نحو مائة وخمسين من أعيان الموريسكيين ، اعتقلوا رهينة وكفالة ، بالطاعة فأذاع الأسبان أن الموريسكيين سيهاجمون غرناطة لأنقاذ السجناء ، بدؤوا مواطنيهم في البيازين وعلى ذلك صدر الأمر بأعدام السجناء ، فانقضّ الجند عليهم وذبحوهم في مناظر مروعة في سفك الدماء الفظيع .

وكان لهذه الحوادث الأخيرة أثر في إذكاء الثورة ، وكان نذيراً جديداً للموريسكيين بأن الموت في ساحة الحرب خير مصير يلقون ، فسرى لديهم لهب الثورة بأشد من قبل ، وطافت بهم صيحة الانتقام ، فانفضوا على الحاميات الأسبانية المبعثرة من أنحاء البشّرات ومزقوها تمزيقاً ، وهزموا قوة إسبانية تصدّت لقتالهم ، واحتشدت جموعهم مرة أخرى تملأ الهضاب والسهل ، وعاد محمد بن أمية ثانية إلى تبوى عرشه الخطر ، وألف حوله الموريسكيون أضعاف ما كانوا ، وبعث أخاه عبدالله إلى القسطنطينية يطلب العون من سلطانها ، وأرسل في الوقت نفسه إلى أمير الجزائر وإلى سلطان مراکش الشريفين بطاب الأنجاد والغوث ، ولكن سلاطين القسطنطينية لم يلبوا ضراعة الموريسكيين بالرغم من تكرارها منذ سقوط غرناطة ، وأرسل أمير الجزائر مشجعاً ومعتذراً عن عدم إمكان إرسال السفن ، ووعد سلطان مراکش بالمساعدة والغوث ، ولكن هذا الصريح المتكرر من الموريسكيين لم ينتج أثره المنشود ، ولم يلبه غير إخوانهم المجاهدين

في إفريقية ، فقد استطاعت يجمع جريئة مخاطرة ، أن تجوزا الى الشواطئ
الأميبانية ، ومنهم فرقة من الترك المرتقة ، وأن تهرع الى نصره المنكوبين .

وهكذا عاد الجهاد إلى أشده . وخشي الأسبان من احتشاد الموريكيين
في البيازين صاحبة غرناطة ، فصدر قرار بتشريدهم في بعض الأنحاء الشمالية .
وكانت مأساة جديدة مزقت فيها هذه الأسر النعمة ، وفرق فيها بين الأبناء والآباء
والأزواج والزوجات ، في مناظر مؤثرة تذيب القلب ، وسار المركيز لوس
فيلبس في الوقت نفسه الى مقاتلة الموريكيين ، في سهول المنصورة على مقربة
من أراضي مرسية ، ونشبت بينه وبينهم وقائع غير حاسمة ، ولم يستطع متابعة
القتال لنقص في الأبهة والمؤن ، وكان بينه وبين زميله منديخار خصومة ومنافسة ،
كانتا سبباً في اضطراب الخطط المشتركة . واتهم منديخار بالعطف على
الموريكيين ، فاستدعي إلى مدريد ، وأقيل من القيادة ، واتخذت مدريد
خطوتها الجديدة الحاسمة في هذا الصراع الذي لا رحمة فيه ولا هوادة .

وبينما كانت هذه الحوادث والمعارك الدموية تضطرم في هضاب الأندلس
وسهولها ، وتحمل إليها أعلام الخراب والموت ، إذ وقع في المعسكر الموريكي
حادث خطر ، هو مصرع محمد بن أمية . وكان مصرعه نتيجة المؤامرة والخيانة
وكانت عوامل الخلاف والحسد ، تحيط هذا العرش بسياج من الأهواء الخطيرة .
وكان محمد بن أمية يشير بين مواطنيه بظرفه ورقيق شمائله كثيراً من العطف ،
ولكنه كان يشير بصرامته وبطشه ، الحقد في نفوس نفر من ضباطه . وتقص علينا
الرواية القتالية سيرة مقتله فنقول : إنه كان ثمة ضابط من هؤلاء يدعى ديجو
الجوازيل (الوزير) له عشيقة حسناء تسمى : زهرة ، فانتزعها منه محمد قسراً

فحمد عليه وسعى لأهلاكه بمعاونة خليفته ، فزور على لسانه خطاباً إلى القائد العام : ابن عبو « بحر » ضه على التخلص من المرتقة الترك ، وكان ثمة منهم فرقة في المعسكر الموريסקي ، فعلم الترك بأمر الخطاب ، واقتحموا المعسكر إلى مقر ابن أمية وقتلوه ، بالرغم من احتجاجه وتوكيده براءته ، واستقبل الجند الحادث بالسكون . وفي الحال اختار الزعماء ملكاً جديداً هو ابن عبو ، واسمه الموريסקي : ديجولويث ، وهو ابن عم الملك القتيل ، فتسمى : بمولاي عبدالله محمد ، وأعلن ملكاً على الأندلس بنفس الاحتفال المؤثر الذي وصفناه . وكان مولاي عبدالله أكثر فطنة وروية وتدبراً ، فحمل الجميع على احترامه ، وشغل مدى حين بتنظيم الجيش ، واستقدم السلاح والذخيرة من ثغور المغرب ، واستطاع أن يجمع حوله جيشاً مدرباً قوامه زهاء عشرة ، آلاف بين مجاهد ومرتق ومغامر .

وفي أواخر (تشرين الأول - أكتوبر ١٥٦٩ م) سار مولاي عبدالله بجيشه صوب « أرحية » وهي مفتاح غرناطة ، واستولى عليها بعد حصار قصير ، فذاعت شهرته وهرع الموريسكيون من شرق البشرات إلى إعلان طاعته ، وامتدت سلطته جنوباً حتى بسائط رندة ومالقة ، وكثرت غارات الموريسكيين على فحصر غرناطة (La Vega) ، وقد كان سقوطها ميدان المعارك الفاصلة بين المسلمين والنصارى ، وكان فيليب الثاني حينما رأى استفحال الثورة الموريסקية ، وعجز القادة المحليين عن قمعها ، قد عين أخاه الدون خوان قائداً عاماً لولاية غرناطة ، ولما رأى الدون خوان اشتداد ساعد الموريسكيين ، اعتزم أن يسير لمحاربتهم بنفسه في أواخر (أيلول - ديسمبر) على رأس جيشه ، وسار صوب وادي آش ، وحاصر بلدة « جليرا » ، وهي من أمتع مواقع الموريسكيين ، وكان يدافع عنها زهاء

ثلاثة آلاف موريسكيّ ، منهم فرقة تركية ، فهاجمها الأسبان عدّة مرات وصوبوا إليها نار المدافع بشدّة ، فسقطت بأيديهم بعد معارك دائلة ، أبدى فيها الموريسكيون والنساء الموريسكيّات أعظم ضروب البسالة ، وقتل عدد من الأكابر الأسبان وضباطهم ، ودخلها الأسبان دخول الضواري الكواسر المفترسة ، وقتلوا كلّ مَنْ فيها من الرجال والأطفال والنساء ، وكانت مذبحة مروّعة (شباط - فبراير - ١٥٧٠ م) ، وتوغّل بعد ذلك الدون خوان في شعب الجبال حتى سيرون الواقعة على مقربة من بسطة ، وكانت هناك قوّة من الموريسكيين بقيادة زعيم يدعى : « الحبقي » تبلغ بضعة آلاف ، ففاجأت الأسبان في سيرون ومزقت بعض سراياهم ، وأوقعت الرعب والخلل في صفوفهم ، وقتل منهم عدد كبير ، ولم يستطع الدون خوان أن يعيد النظم إلّا بصعوبة ، فجمع شتات جيشه ، وطارد الموريسكيين ، واستمرّ في سيرة جنوباً حتى وصل إلى أندرش في (أيار - مايو سنة ١٥٧٠ م) .

وهنا رأت الحكومة الأسبانية أن تعجنح إلى شيء من اللين ، خشية عواقب هذا الجهاد الرائع ، فبعث الدون خوان رسله إلى الزعيم « الحبقي » يفاتحه بأمر الصلح ، وصدر أمر ملكي بالوعد بالعفو التام عن جميع الموريسكيين الذين يقدّمون خضوعهم في ظرف عشرين يوماً من إعلانه ، ولهم أن يقدّموا ظلاماتهم ، فتبحث بعناية ، وكلّ مَنْ رفض الخضوع ، ما عدا النساء والأطفال دون الرابعة عشرة ، قضى عليه بالموت ، فلم يصغ إلى النداء واحد ، ذلك أن الموريسكيين أيقنوا نهائياً أن إسبانيا النصرانية لا عهد لها ولا ذمام ، وأنها لا تقبل بعودها ، فعاد الدون خوان إلى استئناف المطاردة واقتال ، وانقضّ الأسبان على الموريسكيين محاربين ومسلمين ، يمنعون فيهم قتلاً وأسراً ، وسارت قوّة

بقيادة دون سيزا إلى شمال البشّرات ، واشتبكت مع قوات مولاي عبدالله في معارك غير حاسمة . وسارت مفاوضات الصّلح في الوقت نفسه عن طريق الحقبّي ، وكان مولاي عبدالله قد رأى تدهور الموقف ، ورأى أتباعه ومواطنيه يسقطون من حوله تباعا ، والقوّة الفاشمة تجتاح في طريقها كل شيء ، فقال إلى الصّلح والمسالمة : واستخلاص ما يمكن استخلاصه من برائين القوة القاهرة .

وتقدّم للتوسط بين الثوار وبين الدون خوان كبير من أهل وادي آش يدعى : الدون هرناندو دي براداس : وكانت له صلات طيبة مع الموريسكيين قبل الثورة . وقد انتهت إلينا وثيقة مؤثرة هي عبارة عن خطاب كتبه مولاي عبدالله إلى دون هرناندو هذا يعرض استعدادة للصّلح والمفاوضة وفيه تبدو لغة الموريسكيين العربية في دور احتضارها ، ويبدو أسلوب اللهجة الغرناطية التي انتهى الموريسكيون إلى التحدّث والكتابة بها بعد نحو ثمانين عاما من الكتب والمطارة . وإليك ما ورد في هذا الخطاب الذي ربما كان آخر وثيقة عربية عربية عثر بها البحث الحديث :

١- الحمد لله وحده قبل الكلام

٢- اسلم الكرمو على من اكرمهو الكرمو سيديا وجيبي وعزا سرعنديا
دن هرندو دنى نعلم جرمتمك ين

٣- اكن انت تقول يجي عند أخيكم وحيك وتجي مطمّن وكل ميجكم فمليا

٤- وذيمتى وكن أنت تريد تنزل فدى المبرك من سلّح كل متعمل تعملو
معى دنى

- ٥- نعمل معك كل متريد بحق ويل غدر وذهر لي مين الحبقى بن اشمكن بعمل .
- ٦- معلمن ونظلعنى على حق لي ين اشم طلب طلب برحو وينو ويسحبو وبعد رعى
- ٧- ودين انى نعرف بهذا شى وحرمتك أعمل الذى يذهر لكم وعمل ميسلح بتر
- ٨- وبين وعسى يقذيا الله خير بينين وتكن حرمتكم اسبب فداشى وعمل فعلد لكم بل اش
- ٩- كن معى من يكتب لي يل كينكن كتبت لكم أكثر وسلموا عليكم ورحمتو الله وبركتو الله
- ١٠- كتبت الكتب يوم التلب فشهري وبوفعم . . .

(ملاي عبدالله) (٤٠)

وكتب البدون الونسودى فينجاس (بنفش) أيضاً إلى مولاي عبدالله يحثه على المسألة ، والتكذب عن هذا الطريق الخطر ، ورد

(٤٠) نشر هذا الخطاب وصورته الفوتوغرافية المنشور M. Alacron في مجموعة بالاسبانية عنوانها :

Y. Textas Arales (Modrid 1915); P. 691

Misceloneo da Estudios ، وقد وجد هذا الخطاب في مجموعة المخطوطات الشرقية للمركز بنيافلور Bena Flor ، وتحفظ نسخة العربية فيها برقم ٢٤٦ ، وتحفظ ترجمته القشتالية برقم ٢٤٥ ، وقد اورد مارمول ترجمته القشتالية في الكتاب التاسع الفصل التاسع . انظر نهاية الاندلس (٣٥٥) .

عليه عبدالله يلقي المسؤولية على اولي الأمر ، وعلى ما أحدثوه من بدع جعلت الحياة مستحيلة على الشعب الموريسكي (٤١) وجرت المفاوضات بين الزعيم الحبقي قائد قوات الثورة ، وبين الدون هرناندو دى براداس ، واتفق في النهاية على أن يتقدم الحبقي إلى الدون خوان بأعلان خضوعه ، وطلب العفو لمواطنيه ، فيصدر العفو العام عن الموريسكيين ، وتكفل الحكومة الأسبانية حمايتها لهم أينما ارتأت مقامهم . وفي ذات مساء ، سار الحبقي في سرية فرسانه إلى معسكر الدون خوان في أندرش ، وقدم له الخضوع ، وحصل على العفو المنشود

ولكن هذا الصلح لم يرضِ مولاى عبدالله وباقي الزعماء ، لأنهم لمحوا فيه نية إسبانيا النصرانية على نفيتهم وترعهم عن أوطانهم ، ففيم كانت الثورة إذن وفيم كان الجهاد ؟! نقد ثار الموريسكيون ، لأن إسبانيا أرادت أن تترعهم لغتهم وتقاليدهم ، فكيف بها إذ تعتزم أن تترعهم ذلك الوطن العزيز ، السذي نشأوا في ظلاله الفيحاء . والذي يضم تاريخهم وكل مجدهم وذكرياتهم ؟ أنكر الموريسكيون ذلك الصلح المجحف ، وأرتاب مولاى عبدالله في موقف الحبقي ، إذ رآه يروج لهذه الصلح بكل قواه ، ويدعو إلى الخضوع والطاعة للعدو ، فاستقدمه لمعسكره ناكيلة ، وهناك أعدم سراً .

ووقف الدون خوان على ذلك ، بعد أسابيع من الانتظار والتريث ، وبعث رسوله إلى مولاى عبدالله ، فأعلن إنه يترك الموريسكيين أحراراً في تصرفاتهم ، بيد أنه يأبى الخضوع ما بقي فيه عرق ينبض ، وأنه يؤثر أن يموت

ميسلماً مخلصاً لدينه ووطنه ، على أن يحصل على مُلك إسبانيا بأسره . والظاهر
 أن مولاي عبدالله ، كانت قد وصلته امدادات من المغرب شددت من أزه وقوت
 أمله ، وعادت الثورة إلى اضطرامها حول رندة ، وأرسل مولاي عبدالله أخوه
 الغالب ليقود الثوار في تلك الأنحاء ، وثارَت الحكومة الأسبانية لهذا التحدي ،
 واعتزمت سحق الثوار بما ملكت فسار الدون خوان في قواته إلى وادي آش ،
 وسار جيش آخر من غرناطة بقياده دون ركيصا نص إلى شمالي البشترات ، وسار
 جيش ثالث إلى بسائط رندة ، واجتاح الأسبان في طريقهم كل شيء ،
 وأمعنوا في التقتيل والتخريب . وعبثاً حاولت السرايا الموريسكية أن تقف في
 وجه هذا السيل ، فمزقت تباعاً ، وهدم الأسبان الضياع والقرى والمعازل ،
 وأتلفت الأحراش والحقول ، حتى لا يبقى للثائرين مئوى أو مصدر للقوت ،
 وأخذت الثورة تنهار بسرعة ، وفر كثير من الموريسكيين إلى إخوانهم في
 إفريقية ، وام يبق أمام الأسبان سوى مولاي عبدالله وجيشه الصغير . بيد أن
 مولاي عبدالله ، لبث معتصماً بأعماق الجبال ، يحاذر الظهور أمام هذا السيل
 (وفي ٢٨ تشرين الأول - أكتوبر سنة ١٥٧٠م) أصدر فيليب الثاني قراراً
 بنفي الموريسكيين من مملكة غرناطة إلى داخل البلاد ، ومصادرة أملاكهم
 العقارية ، وترك أملاكهم المنقولة يتصرفون فيها ، ويقضي هذا القرار بأن
 الموريسكيين في غرناطة والتمحص ووادي الكرين (الإقليم) وجبال بونتوفر
 حتى مالقة ، وجبال رندة ومربله يؤخذون إلى ولاية قرطبة ، ومن هناك
 يفرقون في أراضي ولايتي استراما ودورة وجليقة . والموريسكيين في وادي
 آش وبسطة ووادي المنصورة يؤخذون إلى وجنجانة والبسيط ثم يفرقون في

أراضي قلعة رباح ومونثيل . والمورييسكيين في ألبية يؤخذون إلى ولاية إشبيلية . ونفذ القانون الجديد بمتهى الصرامة والنحو ، وجمع المورييسكيون ، المسلمون من غرناطة وبسطة وواي آش وغيرها ، وسبقوا إلى الكنائس أكداً يحبط بهم الجند من كل مكان ، ونزعوا من أوطانهم وربوعهم العزيزة ، وشتوا على النحو المتقدم في مختلف أنحاء قشتالة وليون (٤٢)

ووقعت أثناء تنفيذ هذا القرار مناظر دموية ، حيث جرح رجال الحكومة في بعض الأنحاء ولاسيما في رندة ، إلى نهب المنفيين ، والفتك بالنساء والأطفال ، ولما سمع المورييسكيون المعتصمون بالجبال هذه الأنباء ، انحدروا إلى السهل ، وقتلوا كثيراً من الجند الثقيلين بالغنائم ، وكان مصير المنفيين مؤلماً ، إذ هلك كثير منهم من المشاق والمرض ، وعانى الذين سلموا منهم مرارة غربة جديدة مؤلمة ، ونص على وضعهم تحت الرقابة الدائمة ، وتسجيلهم وتسجيل مساكنهم في سجلات خاصة ، وعيّن لهم حيث وجدوا مشرفاً خاصاً يتولى شؤونهم ، وحرّم عليهم أن يغيرو مساكنهم إلا بتصريح ملكي ، وحرّم عليهم بتاتا أن يسافروا إلى غرناطة ، وفرضت على المخالفين عقوبات شديدة تصل إلى الموت ، وهكذا شرّد المورييسكيون في مملكة غرناطة أوضاعاً تشريد ، وانهار بذلك مجتمعهم القومي المتماسك في الوطن القديم (٤٣) .

ولم يبق إلا أن يسحق مولاي عبدالله وجيشه الصغير ، وكان هذا الأمير المنكود يرى قسواه وموارده تذوب بسرعة ، وقد انهار كل أمل في النصر أو التسليم الشريف ، بيد أنه لبث مخفياً في أعماق جبال البشرات بين آكام برشول وترفليس مع شذمة من جنده المخلصين ، (وفي مارس - آذار - ١٥٧١ م) كشف بعض الأسرى سرّ مخبئه للاسبان ، فأوفدوا رسلهم إلى معسكره من

Marmol ; ibid ; X ; Car. VI. (٤٢)

Dr. Lea The Mariscos P. 256-257, 265 (٤٣)

بعض المغاير ، وهناك استطاعوا إغراء صابط مغربي من خاصته يدعى جونثانفو (الشنيش) ، وكان الشنيش يحقد عليه لأنه منعه من الفرار إلى المغرب ، وأغدق له الاسباب المنح والوعود ، وقطعوا له عهداً بالعفو والشامل ، وضمان النفس والمال ، وأن تردّ إليه زوجته وابنته الأسيرتان ، اذا استطاع أن يُسلمهم مولاي عبدالله حياً أو ميتاً ، وكان الأغراء قوياً مشيراً ، فدبر الصابط الخائن خطته لاغتيا لسيّده ، وفي ذات يوم فاجأه مع شرذمة من أصحابه ، فقاوم مولاي عبدالله ما استطاع ، ولكنه سقط اخيراً مشخناً بجروحه ، فألقى الخونة جثته من فوق الصخور لكي يراها الجميع ، ثم حماها الاسبان الى غرناطة ، وهناك استقبلوها في حفل ضخم ، وزتبوا موكباً أسندت فيه الجثة إلى بغل ، وعليها ثياب بكامله كأنها انسان حي ، ومن ورائها افواج كثيرة من الموريسكيين الذين سلموا بعد مصرع زعيمهم ، ثم حملت الى القطع وأجري فيها حكم الإعدام ، قُطع رأسها ثم جُرت في شوارع غرناطة مبالغة في التمثيل والنكال ، ومزقت اربعاً ومزقت بعد ذلك في الميدان الكبير ، ووضع الرأس في قفص من الحديد ، رفع فوق سارية في ضاحية المدينة تجاه جبال البشّرات (٤٤) .

وهكذا انهارت الثورة الموريسكية وسُحقت ، وخبت آخر جذوة من العزم والجهاد في صدور هذا المجتمع الأبّي المجاهد ، وقضت المشائق والمحاق والمحن المروّعة ، على كل نزعَة إلى الخروج والنضال ، وهبت روح من الرهبة والاستكانة المطلقة ، على ذلك المجتمع المهيب المذبذب ، وعاش الموريسكيون لا يسمع لهم صوت ، ولا تقوم لهم قائمة ، في ظل العبودية المطلقة الشاملة . والارهاق المطلق الثقيل حقبة أخرى (٤٥)

(٤٤) Marmol ; ibid, X Cap. VIII

(٤٥) نهاية الأندلس (٣٣٢ - ٣٥٩)

الفعل الماضي وحركات بنائه

بقلم الدكتور جميل ابراهيم علوش

يذكرُ النحاةُ في معرضِ التمييزِ بينَ البناءِ والإعرابِ ، أنَّ حركةَ البناءِ هي حركةٌ ثابتةٌ لازمةٌ ؛ في حين أنَّ حركةَ الإعرابِ حركةٌ عارضةٌ متغيرةٌ (١) ويضيفون الى ذلك أنَّ حركةَ البناءِ لا علاقةَ لها بالعوامل الداخلة على اللفظة المبنية ؛ في حين تكون حركةَ الإعرابِ نتيجةً حتميةً لتلك العوامل (٢) . ويُفهم من هذا أنَّ الكلمةَ لا تتأثرُ بما يدخلُ عليها من عوامل ؛ في حين تكون اللفظة المعربة عُرْضةً لمثل ذلك التأثير .

ومن المعروف أنَّ الفعلَ الماضي يُبنى في الأصل على الفتحِ نحو جاءَ وحَضَرَ وكتَبَ وقرأَ .. (٣) وهذه حقيقةٌ يعرفها كلُّ من كانَ له أدنى إلمام بعلم النحو . وما نَظُنُّ أنَّها تتضمنُ أيَّ التباسِ أو إشكالٍ . أما الالتباسُ والإشكالُ فيكمنان في حقيقةٍ أخرى تُلَازِمها وتَقترنُ بها ، وهي أنَّ الفعلَ الماضي له حالتا بناءٍ أخريان :

(١) ابن الأنباري : أسرار العربية ص ٢٠ ، مصطفى الغلاييني : جامع الدروس العربية ١٦/١ .

(٢) ابن يعيش : شرح المِفْصَل ٨٠/٢ ، مصطفى الغلاييني : جامع الدروس العربية ، ١٦٧/٢ .

(٣) علي بن سليمان الحيدري : كشف المشكل ٢٤٨/١ ، جورج شاهين عطية : سلم اللسان ٢٣/٤ .

الأولى - أنه يُبنى على الضمّ إذا اتصل بواو الجماعة نحو : حضروا ،
كتبوا ، قرأوا . الخ (٤) .

الثانية - أنه يُبنى على السكون إذا اتصل بضمير رفع متحرك نحو :
حضرتُ وكتبْتُ وقرأتُ . الخ (٥) .

فهو يُبنى اذن تارةً على الفتح وطوراً على الضمّ وطوراً على السكون .
وهذا التغير في حركات بناء الفعل الماضي قد يوحي بأنه "معرب" لا مبني .
ولّا فما معنى هذا التغير في حركة آخره ، ونحن نعلم أن التغير من دلائل
الاعراب ؟ ألا يمكن أن نجد في هذا التغير تسوية بل تفسيراً لما قد يتبادر
أحياناً الى أذهان بعض الدارسين من أن الفعل الماضي "معرب لا مبني" ؟
يبدو أن الأمر كذلك . ولّا فما الفرقُ عند من أم يستحكم عوده
من الدارسين بين الفعل الماضي الذي يجيء آخره مفتوحاً ومضموناً وساكناً ،
والفعل المضارع الذي يجيء آخره منصوباً ومرفوعاً ومجزوماً ؟ ومن الكفيل
بإيضاح ما بين الفتح والنصب والضم والرفع والسكون والجزم من فروق ،
وهي في ظاهرها متشابهات متشاكلة ؟

لا أكتمُ القارىءَ أنني أعذرُ جمهورَ الدارسين في هذا الالتباس ، بل
لاني أعُدُّ من يلتبس الأمرُ عليه في هذه النقطةَ بينها من يتمتعون بقسطٍ من
الذكاء والفهم . ولولا ذلك ما التبس الأمرُ عليه ، لأن من تجرد من الذكاء
والفهم تساوى عندهُ الأمور ، فلا يشغلُ نفسه بمحكم ولا متشابه .

(٤) مصطفى الغلاييني : جامع الدروس العربية ١٦٧/٢ ، علي رضا : المرجع

: في العربية ١١/٣

(٥) جامع الدروس العربية ١٨٦/٢ ، المرجع ١١/٣

وقد يكونُ في مصطلحات النحاة وتسمياتهم ما يُوقِعُ في مثل هذا الالتباس . فهم لا يفرقون في كتبهم بين المبني على الفتح والمنصوب والمبني على الضمّ والمرفوع والمبني على الكسر والمجرور . والدليل على ذلك أنهم يُسمُّون علامة النصب فتحةً وعلامة الرفع ضمةً وعلامة الجرّ كسرة (٦) . ونحن نعلمُ أنَّ الفتحَ والضمَّ والكسرَ من ألقابِ البناءِ ؛ فكيف تكونُ الضمةُ والفتحةُ والكسرةُ علاماتِ إعرابٍ ؟

لقد خَرَجَ بعضُ جهابذة النحاة من هذا المأزق بتسميتهم علامة النصب نصبةً أو حركة نصب وعلامة الرفع رفعةً أو حركة رفع وعلامة الجرّ جرةً أو حركة جر (٧) . كما جعلوا للجزم علامة أخرى غير السكون هي حذف الحركة (٨) ، لأنَّ السكون علامةُ بناء . وهكذا يمكنُ التفريقُ بين ألقابِ البناء وألقابِ الإعراب بأن نجعلَ بينها حاجزاً متبعاً يمدُّنا عن الالتباس والحيرة ويجنبنا التشابه والخلط .

وقد ينبغي لنا من يزعم أنَّ المناداةَ بالتمييزِ بين مصطلحات البناء ومصطلحات الإعراب هي ضربٌ من التزمُّتِ أو التعتُّ ، وأنَّ الموضوع لا يستحقُّ كلَّ هذه الحماسة والحراة ، ما دامت المعاني مفهومةً والدلالات واضحة . وليست القضيةُ قضيةَ فهمٍ ولا وضوحٍ ، بل قضيةُ دِقَّةٍ وإتقانٍ .

(٦) رشيد الشرتوني : مبادئ العربية ١١٧/٤ ، جورج شاهين عطية : سلام

اللسان ١٤/٤

(٧) (٢) محمد عبدالجواد أحمد : قواعد النحو البدائية ص ٣٤ .

(٨) ابن هشام : أوضح المعالك ١/٢٨ وشذور الذهب ص ٣٦ ، علي بن سليمان

الحيدرة : كشف المشكل ٢٣٣/١

فلئن كان تفاوتُ العقولِ في القدرةِ على الإيضاحِ والإفهامِ عظيمًا وجليلاً ،
اختلفوا في الإتيانِ والإحكامِ اعظم وأجل .

ويتضح مما سبق أن الالتباسَ بينَ الفتحِ والضمِّ والسكونِ في الماضي ،
والنصبِ والرفعِ والتجزمِ في المضارعِ وارد ، إذا قيسنا الأمورَ بالمقياسِ
البصريِّ البحتِ ، إذ لا فرقَ من الناحيةِ الشكليةِ بينَ الفتحِ والنصبِ والضمِّ
والرفعِ والسكونِ وحذفِ الحركةِ . ولابدُّ بعد ذلك من حجةٍ عقليةٍ بحثةٍ
للتمييزِ بينَ ألقابِ البناءِ وألقابِ الإعرابِ منهما ، وبخاصةٍ أن مقياسَ الثباتِ
والتغيرِ الذي أشرنا إليه في بدءِ هذا المقالِ ، لم يَعدُ صالحاً للفصلِ في
الموضوعِ ، بسببِ وقوعِ التغيرِ في الفعلِ الماضي الذي هو مبني في الأصلِ ،
ونعرضه لثلاثِ حالاتٍ بنائيةٍ هي انفتحُ وانضمُّ والسكونُ ، دونما تأثرٍ
بعاملٍ مابقي ولأسبابٍ بنويةٍ بحثةٍ .

وإذا كان مقياسُ التغيرِ لم يَعدُ صالحاً للفصلِ في الموضوعِ ، فلا بدَّ إذن
من الاعتمادِ على مقياسٍ آخرَ لا يمكن استيعادهُ ، بأيةِ حالٍ من الأحوالِ ،
وهو مقياسُ التأثيرِ بالعواملِ السابقةِ .

فإذا كانت الحركاتُ ناجمةً عن عواملٍ سابقةٍ كما هي في الفاعلِ نحو
حَضَرَ زيدٌ ، والمفعولِ بهِ نحو : قرأتُ الكتابَ ، والمجرورِ نحو : كتبتُ
بالقلمِ : والمجزومِ نحو : لم يقرأ ، فهي حركاتُ إعرابٍ . أما إذا لم تكن
ناجمةً عن عواملٍ سابقةٍ فهي حركاتُ بناءٍ نحو : حيثُ وأينَ وأمسَ وكمَ وقد
أشارَ ابنُ مالكٍ إلى هذه الحركاتِ البنائيةِ في قوله (٩) :

ومنه ذو فتحٍ وذو كسرٍ وضمٍّ كائِنْ أَمْسَ حَيْثُ وَالسَّاكِنُ كَمْ

وبهذا المقياس نستطيع أن نتبين أن الفعل الماضي لا يمكن أن يتأثر شكلاً بالعوامل السابقة . والعوامل هي أدوات النصب والجزم في الأفعال ، وحروف الجرو الاحرف المشبهة بالفعل في الأسماء ، وأنفاظ أخرى ليس هنا مجال عرضها (١٠) . فحين نقول : حضر زيد ، تكون الفتحة في (حضر) علامة بناء لأنها لم تكن ناجمة عن عامل سابق . وحينما نقول : ان يحضر زيد ، تكون حركة النصب في الفعل المضارع ناجمة عن عامل سابق هو أداة النصب (لن) وهكذا واليك . أما الرفع في المضارع فهو عامل سلبي إذ هو ناجم عن التجرد عن العوامل اللفظية . ولذلك يسميه النحاة عاملاً معنوياً .

فالفعل الماضي سواء كان مبنياً على الفتح أو الضم أو السكون لا يقع في نطاق جاذبية العوامل السابقة (١١) . وعدم وقوعه في نطاق تلك الجاذبية يجعله بعيداً عن التأثير بها كأنفعل المضارع . ولذلك كان مبنياً مهماً تداءى به من حركات ، ومهما اختلفت حالات بنائه . فهذا التغير في الحركات الذي يطرأ على آخر الفعل الماضي ، بحيث يمكننا أن نقول كتب ، كتبوا ، كتبنا هو تغير بنائي لا تغير اعرابي ، ولذلك كانت ألقاب حركاته هي الفتح والضم والسكون على التوالي لا النصب والرفع وحذف الحركة كما يقع في الفعل المضارع .

وقد يحاول بعض النحاة التقليل من أهمية الاختلاف في أواخر الفعل الماضي ، فيقرر أن الفعل الماضي مبني على الفتح في جميع أحواله . أما حين يتصل بواو الجماعة أو بضمير رفع متحرك فيقدر فيه الفتح لاشتغال المحل بحركة المناسبة في الحالة الأولى ، والسكون العارض في الحالة الثانية (١٢)

(١٠) ميشيل عاصي وغيره : المعجم المفصل ٨٠٩/٢

(١١) جورج شاهين عطية : سلم اللسان ١٤٥/٤ .

(١٢) رشيد الشرتوني : مبادئ العربية ١٢٨/٤ .

وتفسير ذلك في الحالة الأولى ، أن الفعل الماضي يُبنى على الفتح أصلاً ، فإذا اتصل بواو الجماعة أبدلت الفتحة ضمةً مجانسةً للواو في قولنا : كَتَبَ ، وكتبوا ، قياساً على تغير حركة الاسم المضاف الى ياء المتكلم في مثل قولنا : هذا كتابي . فلا شك أن (كتابي) خبر المبتدأ . والخبر يجب أن يكون مرفوعاً فأين علامة الرفع ؟ والجواب هو أن علامة الرفع التي هي الضمة هنا أبدلت كسرةً لمجانسة باء المتكلم (١٣) ولذلك قيل في إعراب كلمة كتابي : خبرٌ مرفوعٌ وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل الياء لاشتغال المحل بحركة المناسبة (١٤) . وقياساً على ذلك قالوا في إعراب كتبوا : فعل ماضٍ مبني على الفتح للمقدر على ما قبل الواو لاشتغال المحل بحركة المناسبة (١٥) .

أما في الحالة الثانية وهي الفعل الماضي المسند الى ضمير رفع متحرك في مثل قولنا كتبتُ ، فقد طرأ على الحرف الأخير من الفعل الماضي سكون عارض . وتفسير ذلك أن اللفظة العربية يصعب أن تتكرر فيها أربعة متحركات ، لأن الأصل في (كتبتُ) سكون الباء هي (كَتَبْتُ) بفتح الباء (١٦) . وكل ما حصل أن الحرف الثالث سُكِّنَ لتيسير النطق وتحسين اللفظ ومراعاة ما يُسمى بأقل الجهد في قوانين الصوت اللغوي (١٧) .

(١٣) رشيد الشرتوني : مبادئ العربية ٤ / ١١٩ ، جورج شاهين عطية : مسلم

اللسان ٤ / ١٤٣ .

(١٤) عبده الراجحي : التطبيق النحوي ص ٢٥ .

(١٥) رشيد الشرتوني : مبادئ العربية ٤ / ٣٨٨ .

(١٦) علي الحيدرة : كشف المشكل ١ / ٢٥٣ ، عبد القاهر الجرجاني : المتنصيف

في شرح الابيضاح ١ / ٣٢٨ .

(١٧) ابراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٨٣ .

وهذا يعني أن البناء على الضم عند اتصال الفعل بواو الجماعة هو حالة اضطرارية عارضة ، فرضها ما في واو الجماعة من قوة وجبروت . فالواو لا تقبل أن تجاورها فتحة نسكاً بقانون تلاؤم الأصوات وانسجامها في العربية (١٨) . ولا يبدؤ الواو في هذه القوة والجبروت إلا الياء . فهي تأتي أن يجاورها إلا كسرة ، لأن الحركات ابعاض الحسروف . كما ذكر ابن جني في بعض ما قال (١٩) . فالفتحة بعض الألف والضممة بعض الواو والكسرة بغض الياء . وإذا كان الأمر كذلك فالياء لا تقبل أن يجاورها إلا ابتها الكسرة . ولذلك تقدر الحركات في جميع الأحوال على رأي (٢٠) ، وفي حالتها الرفع والنصب فقط . على رأي آخر (٢١) ، على ما قبل الياء لاشتغال المحل بحركة المناسبة في الأسماء المضافة إلى ياء استكم نحو بلدي ، داري .

وهذا ما يحصل حينما يستند الفعل الماضي إلى واو الجماعة ، إذ إن قانون تلاؤم الأصوات وانسجامها يفرض استبدال الضم لاتصاله بواو الجماعة (٢٢) وعندئذ إما أن نقول : إن الفعل الماضي مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة ، وهو رأي ، وإما أن نقول : إن الفعل الماضي مبني على الفتح المقدّر حتى ما قبل

(١٨) إبراهيم أنيس : دلالة الألفاظ ٢٠٩ ، الأصوات اللغوية ١٢٦ ، ١٨٢ .

(١٩) ابن جني : سر صناعة الاعراب ١٧/١ ، وأنظر نتائج الفكر للسهلي ١١٢ .

(٢٠) جورج شاهين عطية : سلم اللسان ١٤٣/٤ ، وأنظر الخصائص ٥٩/٣ .

(٢١) رضي الدين الاسترأبادي : شرح الكافية ٣٤/١ ، وأنظر شرح التصريح

الواو لا اشتغال المحل بحركة المناسبة (٢٣) . وهو رأي آخر . وكلا الرأيين معقول ومقبول . ولا يتسع المجال لتغليب رأي على آخر .

.. أما حين يسند الفعل الماضي إلى ضمير رفع متحرك في مثل : كَتَبْتُ وحَضَرْتُ ودرَسْتُ ، فيسكن آخرُ الفعل تجنباً لتوالي الحركات ، لما في ذلك التوالي من ثقل على السمع كما أسلفنا ، وهي علة صوتية وجيهة تمت بصلة وثيقة إلى قانون تلازم الحروف وانسجامها . ذلك أن الضمير تتل من الفعل مترلة الجزء ، كما يذكر ابن الأنباري (٢٤) . ولم يُعْهَد في الأفعالِ توالي أربع حركات في فعل واحد فسُكِّنَ أحدها للتخفيف

ولولا أن الفعل والضمير تتلّا مترلة الكلمة الواحدة ، لما جاز أن يدلّ الفعلُ الأجوفُ المسند إلى ضمائر الرفع في مثل : قُلْتُ وزُرْتُ ، على الماضي وهو على صورة الأمر . وهذا التشابه في الصورة والاختلاف في المعنى بين الماضي والأمر ، مما يوقع كثيراً من الطلبة في الوهم والحيرة . فهم لا يُصدّقون أن (زر) و (قل) في زُرْتُ وقُلْتُ فعلا ماضيان لعلمهم أنهما فعلا أمر . ولذلك نراهم حين يعربون يقولون : زارَ أو قال فعلٌ ماضٍ ويرقصون أن يقولوا : زرْ أو قلْ ، اثقتهما أن هذين وأمثالهما أفعال أمر . والواقع أن (زر) و (قل) في حالة اتصالهما بضمائر الرفع المتحركة فعلا ماضيان مبنيان على السكون . وما سوى ذلك محض تكهن أو توهم .

بقي بعد ذلك أن نذكر بعض الحالات التي قلما ينتبه لها الدارسون عند إعراب الفعل الماضي ، أو التعرّض للحديث عن أحوال بنائه أو إسناده إلى ضمائر

(٢٣) رشيد الشرتوني : مبادئ العربية ١٢٨/٤

(٢٤) ابن الأنباري : لمع الأدلة ص ٦٦ ، وانظر فاتحة الاعراب ص ١٦٦ .

الرفع الساكنة كانوا أو المتحركة كالتاء . وذلك من جراء بعض التغيرات التي قد تطرأ عليه . إذا كان ناقصاً عند الإسناد فتجرّدُهُ من حرف العلة وينتأى عما يطرأ من تغيير أن يعسرَ إلا على القلة النادرة تبيّنُ حركة البناء أو الاستدلالُ على موضعها مما سنحاول إيضاحه في ما يلي :

- ١ -- لعلَّ من نافلة القول أن نذكّرَ أنَّ حركة البناء في الفعل الماضي الناقص بالآلف تقدّر على الألف للتعدّر سواء كانت هذه الألف قائمة في نحو عدا وشدا ، أو بصورة الياء في نحو بنى وبكى . وقد زعم تاج الدين الاسفراييني أنَّ الفعل في هذه الحالة يكون مبنياً على السكون (٢٥) .
- ٢ -- حينما تلحقُ تاء التأنيث الفعل الماضي الناقص المنتهي بالآلف في نحو رأت وبكت . تحذف هذه الألف دفعاً لالتقاء الساكنين ، فتقدر الفتحة على الآلف المحذوفة (٢٦) .

- ٣ -- حينما تتصل واو الجماعة بالفعل الماضي الناقص المنتهي بالآلف في نحو عتا ووسطا ، تُحذفُ الألفُ دفعاً لالتقاء الساكنين ، ويبقى الحرفُ الذي قبلها مفتوحاً للتدليل على أنَّ الحرفَ المحذوفَ ألف لا واو ولا ياء . وتقدر عندئذ حركة البناء وهي الضمة على الألف المحذوفة (٢٧) . وقد يُقال ان الحركة المقدرة في هذه الحالة هي الفتحة كما لو أن الفعل لم يسند الى واو الجماعة . وذلك لأنَّ الفعل الماضي المنتهي بالآلف المقصورة ، سواء كانت قائمة مثل دعا أو بصورة الياء مثل بنى لا تقدّر عليه الضمة لأنَّ واو الجماعة لا تستطيع أن تؤثر في الألف المقصورة بحيث تجعلُ

(٢٥) تاج الدين الاسفراييني : كتاب الضوء في النحو ص ١١٤ .

(٢٦) مصطفى الغلاييني : جامع الدروس العربية ١٦٧/٢ .

(٢٧) نفس المصدر والمكان .

فتحتها المقدرة ضمة . فنحن نقول حينما نسند الفعل الى ضمير المفرد
(دعا) وحينما نسنده الى واو الجماعة نقول (دعاوا) ثم نحذف الألف
دفعاً لالتقاء الساكنين فتصبح (دعوا) . فلا مجال إذن لأن تصبح الفتحة
ضمة عند اسناد الفعل المنتهي بالألف المقصورة الى واو الجماعة ويبقى
المشار إليه مبنياً على الفتحة المقدرة على الألف كما لو كان مسنداً الى
ضمير المفرد المذكور .

٤ - حينما تتصل واو الجماعة بالفعل الناقص المنتهي بالياء في نحو نسي
ورصي تسكن حركة الياء للاختيف فيجتمع ساكنان هما الياء وواو
الجماعة . وعندئذ تحذف الياء دفعاً لالتقاء الساكنين ، وتقلب كسرة
ما قبل الياء ضمة مناسبة للواو فنقول نسوا ورضوا (٢٨) . وحينئذ نقول
في اعراب ذلك : فعل ماضٍ مبني على الضم المقدّر على الياء المحذوفة
دفعاً لالتقاء الساكنين .

٥ - حينما تتصل واو الجماعة بالفعل الناقص المنتهي بالواو في نحو نهو
وسروّ وهما فعلاّن نادراّن على وزن كرم يحذف حرف العلة الذي هو
الواو دفعاً لالتقاء الساكنين (٢٩) . فنقول حينئذ في اعرابه : فعل ماضٍ
مبني على الضم المقدّر على الواو المحذوفة دفعاً لالتقاء الساكنين .

وليس في تعيين علامة البناء أو تحديد موقعها في الفعل الماضي الصحيح
الآخر أي إشكال . أما إذا كان الفعل الماضي معتل الآخر بالواو أو بالياء
وأُسند الى واو الجماعة ، فإنّ تحديد علامة البناء ليس شيئاً يسيراً . ذلك لأنّ

(٢٨) مصطفى الغلايني : جامع الدروس العربية ١٦٨/٢ .

(٢٩) نفس المصدر والمكان .

حركة البناء أو الإعراب إما أن تكون ظاهرة أو مقدّرة : ولكنها
إذا حذف حرفها تكون عندئذٍ لا ظاهرة ولا مقدّرة . وهنا يكمن الإشكال
الكبير الذي يجرُّ الى مزيد من الخلاف والبلبة وقد حاولنا في السطور السابقة
أن نلقي ضوءاً على جذور هذا الالتباس الذي كثيراً ما يواجهه الدارسون والمدرّسون
بالصمت والتجاهل .



قائمة المصادر والمراجع

- ابن الأنباري ، كمال الدين أبو البركات عبدالرحمن (٥٧٧ هـ / ١١٨١ م) :
- ١ - أسرار العربية . تحقيق محمد بهجة البيطار . دمشق : مطبعة الترقى ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، ١٩٨٧ م .
 - ٢ - لمع الأدلة في أصول النحو . تحقيق عطية عامر . بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٦٣ م .
- ابن جني ، أبو الفتح عثمان (٣٩٢ هـ / ١٠٠١ م) :
- ١ - الخصائص . تحقيق محمد علي النجار . القاهرة ، دار الكتب المصرية ١٩٨٢ م .
 - ٢ - سر صناعة الاعراب . تحقيق حسن هنداي . دمشق ، دار القلم ، ط / ١ ١٩٨٥ م .
- ابن عقيل ، بهاء الدين عبدالله العقيلي (٧٦٩ هـ / ١٣٦٨ م) :
- شرحه على الفية ابن مالك . تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد . القاهرة : مطبعة السعادة ، ط / ١٤ ، ١٩٦٤ م .
- ابن هشام جمال الدين عبدالله بن يوسف (٧٧١ هـ / ١٣٦٠ م) .
- ١ - أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك . تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد . القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، مطبعة النصر ، ط / ٤ ، ١٩٥٦ م .
 - ٢ - شذور الذهب . تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد . القاهرة ، مطبعة السعادة ، ط / ١ ، ١٩٦٥ م .
- أحمد ، محمد عبد الجواد :
- قواعد النحو البدائية للغة العربية . القاهرة ، ١٩٧٢ م .

الأزهري ، الشيخ خالد بن عبدالله (٩٠٥ هـ / ١٤٩٩ م) :
شرح التصريح على التوضيح . القاهرة ، دار لإحياء الكتب العربية (بلا تاريخ) .

الاستراباذي ، رضي الدين محمد بن الحسن (٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م) :
شرح الكافية (نسخة مصورة) بيروت ، دار الكتب العلمية ط / ٢ ، ١٩٧٩ م
الاسفراييني ، تاج الدين محمد بن محمد بن أحمد بن سيف الدين (٦٨٤ هـ /
١٢٨٥ م) :

- ١ - الضوء على المصباح . تحقيق عبدالمجيد عوض ابي الحاج . (أطروحة
دكتوراة مخطوطة) مقدمة إلى جامعة القديس يوسف ، بيروت ، ١٩٨٦ م
- ٢ - فاتحة الاعراب . تحقيق عفيف عبدالرحمن . عمان ، منشورات جامعة
اليرموك ، ط / ١ ، ١٩٨١ م .

أنيس ، الدكتور ابراهيم :

- ١ - الأصوات اللغوية . القاهرة ، دار النهضة العربية ، مطبعة لجنة البيان
العربي ، ط / ٣ ، ١٩٦١ م .
- ٢ - دلالة الألفاظ . القاهرة مكتبة الانجلو المصرية مطبعة لجنة البيان
العربي ط / ٢ ، ١٩٦٣ م .

الجرجاني ، أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن (٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م) :
المقتصد في شرح الايضاح . تحقيق كاظم بحر المرجان . بغداد ، وزارة الثقافة
والاعلام ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨٢ .

الحيدرة ، علي بن سلمان (٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م) :
كشف المشكل في النحو . تحقيق هادي عطية مطر . بغداد ، وزارة الأوقاف ،
مطبعة الارشاد ، ١٩٨٤ م .

الراجحي ، الدكتور، عبده :

التطبيق النحوي : بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٥ م .

السهيلى ، عبدالرحمن بن عبدالله (٥٨١ هـ / ١١٨٥ م) : .

نتائج الفكر في النحو . تحقيق محمد ابراهيم البنا : القاهرة ، دار الاعتصام ، ١٩٨٤ م

الشرتوني ، المعلم رشيد :

مبادئ العربية . بيروت ، دار المشرق ، ط ١ / ١٦ ، ١٩٨٦ م .

عاصي ، الدكتور ميشيل :

المعجم المفصل في اللغة والأدب : بيروت ، دار العلم للملايين ، ط ١ / ١٧ ، ١٩٨٧

عطية ، جورج شاهين :

سلم اللسان في الصرف والنحو والبيان . بيروت ، دار الريحاني للطباعة والنشر ، ط ١ / ٥ ، (بلا تاريخ) .

علي رضا ، الشيخ :

المرجع في العربية نحوها وصرفها . حلب ، المطبعة السورية ، ١٩٦٢ م .

الغلايني ، الشيخ مصطفى :

جامع الدروس العربية صيدا - بيروت ، المطبعة العصرية ، ط ٨ / ٨ ، ١٩٥٩ م .



اتمام الوفاء في معجم القاب الشعراء

الدكتور سامي مكي المعاني

عُرف العرب بولمهم الشديد وشغفهم بالألقاب ، ومن هنا تفنّوا بها ،
وتوسّعوا في استعمالها ، فتعدّوا في إطلاقها على الرجال الى الخيول والدواب ،
والسيوف والرماح والحرا ب ، وكانوا يعتقدون أن الألقاب تنزل من السماء ،
وأنها تدل على أصحابها ، فقال شاعرهم :

وقلنا أبصرت عيناك من رجل

إلا ومعناه إن فكرت في لقبه

وكان للشعراء النصيب الأوفر من هذه الألقاب ، فعُني بهم المصنفون
لكثرة ألقابهم وتنوعها وتعدد أسبابها ، وكتبوا المصنفات في ذلك ، وقد ضاع
معظمها ، ووصل إلينا منها اثنان فقط ، هما رسالة صغيرة بعنوان (ألقاب
الشعراء) لمحمد بن حبيب - ت ٢٤٥ هـ - حققها الأستاذ عبدالسلام هارون
ضمن سلسلة « نواذر المخطوطات » في القاهرة . والثاني بعنوان (المذاكرة
في ألقاب الشعراء) لمجد الدين الشهابي - ت ٦٥٧ هـ - نشره السيد
شاكر العاشور في بغداد ، ولم يستوفِ هذان الكتابان ألقاب الشعراء أو
أنواعها ، ولا أسبابها ، مما دفع بي الى العناية بجمع ألقاب الشعراء الكثيرة
والمتنوعة ، فأصدرت كتابي المعنون بـ (معجم ألقاب الشعراء) عام ١٩٧١
بمساعدة المجمع العلمي العراقي ، وخلال عشر سنوات بعد صدور هذه الطبعة
تجمع لدي عدد وافر من الألقاب زاد على المتين والسبعين لقباً ، فأصدرت
الطبعة الثانية من الكتاب عام ١٩٨٢ وهي طبعة مزيّدة ومنقّحة ، وكنت قد
تناولت في الطبعتين المذكورتين ألقاب الشعراء الذين عاشوا قبل سقوط الدولة
العباسية ، ووقفت عند منتصف القرن السابع الهجري .

وبعد صدور الطبعة الثانية تجمعت لدي القاب جديدة لبعض الشعراء الذين عرضتُ ألقابهم في الطبعتين السابقتين ، وأضفتُ إليها ألقاب مَنْ عاش الى القرن العاشر الهجري ، فبلغ عدد هذه الألقاب مئتين ، أرى من المفيد أن أطلع عليها القارئ الكريم ، لعل فيها فائدة ، وهي متنوعة وطريفة .

وقد كتبتُ هذه التتمة بالطريقة التي سلكتها في كتابة (معجم ألقاب الشعراء) ، وسرتُ على المنهج الذي نهجته هناك ، ويتلخص هذا المنهج في أمور :

- ١ - حاولتُ ترتيب ألقاب الشعراء على حسب الحروف الهجائية ، غير معتدٌ بآبْن وأبي وأل التعريف ، لتكون أسهل مأخذاً وأقرب تناولاً .
- ٢ - حرصتُ على ذكر اسم الشاعر الكامل وعصره ، وكل ما توصلتُ إليه بشأن لقبه .

٣ - أثبت في الهوامش جميع المصادر التي رجعتُ إليها .

- ٤ - أهملتُ الاختلافات التي وردت في رواية الأشعار ، معتمداً رواية أقدم المصادر . ومن شاء معرفة الاختلافات ، يمكنه أن يرجع الى ثبت مصادر البحث .

٥ - وجدتُ بعض الكنى ألقاباً لأصحابها ، وإن جاءت على صورة الكنية ، فأثبتها ، وعدتها ألقاباً مثل « أبي شامة » .

- ٦ - استبعدتُ الشعراء الذين لُقِّبوا ، اتِّباعاً لتقليد عُرف في عصرهم مثل « الناصربالله » ، و « عميد الملك » . . الخ .

ووقفت كما ذكرتُ عند آخر القرن العاشر الهجري ، آمل أن تسنح لي الظروف ، وتسعني المصادر لاكمال هذا المعجم و الوصول به إلى ألقاب شعراء العصر الحديث .

ومن الله العون ، وبه التوفيق



الأبّار : شاعر من القرن العاشر الهجري ، اسمه الشيخ عبد القادر بن محمد بن عثمان المارديني الحلبي . لقب بذلك لأنه كان يصنع الابّر بحانوت له (١) .

أبيض الوجه : شاعر مصري من القرن العاشر الهجري ، اسمه أبو المكارم شمس الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن البكري ، لقب بذلك لتدينه وثقائه ، حتى سمي القطب البكري أيضاً (٢) .

الآثاري : شاعر عراقي من القرن التاسع الهجري ، اسمه زين الدين شعبان بن محمد بن داود الموصلي . لقب بذلك لإقامته في أماكن الآثار النبوية مدّة (٣) .

الأحوص : شاعر جاهلي ، اسمه عوف بن جعفر بن كلاب . لقب بذلك لحوصه كان في عينيه : وهو ضيق في مؤخرهما (٤) .

الأذرمي : شاعر من القرن الثامن الهجري ، اسمه شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن عبدالواحد ، ولد بأذرعات الشام ، فلقّب بها (٥) .

الأزراري : شاعر من القرن التاسع الهجري ، اسمه أبو بكر بن علي بن عبدالله الحموي . لقب بذلك لأنه اتخذ عقّدة الأزرار صناعة له في صباه (٦) .

أسد البحر : شاعر نجديّ ، من القرن التاسع الهجري . اسمه شهاب الدين أحمد بن ماجد بن محمد السعدي . لقب بذلك لأنه كان من كبار ربابة

-
- (١) الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة ٢٤١/١ .
 - (٢) النور السافر عن أخبار القرن العاشر ٤١٤ . وشذرات الذهب ٤٣١/٨ .
 - (٣) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٣٠١/٣ . وشذرات الذهب ١٨٤/٧ .
 - (٤) الموشح ٢٩٦ والاشتقاق ٤٣٧/١ .
 - (٥) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ١٢٥/١ والبدر الطالع ٣٥/١ .
 - (٦) الضوء اللامع ٥٣/١١ وشذرات الذهب ٢١٩/٧ .

العرب في البحار والخلجان ، وهو الذي أرشد (فاسكو ديغاما) في رحلته
إلى بحريه (٧) .

أسد الملوك : شاعر أندلسي من القرن الخامس الهجري . اسمه أبو عمرو
عبد بن محمد بن اسماعيل بن عبد اللهي ، ملك أشيلية . كان شجاعاً
جازماً ، فلقب بذلك (٨) .

الأشترى : شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه أبو بكر عبد القادر
ابن زكي بن نيمان . لقب بذلك نسبة إلى الأشتر أحد رجال البلاد الجيلية (٩) .

الأشترى : شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه أبو عبد الله محمد بن
أبي الفتح بن أبي بكر المصري . لقب بذلك لأنه كان يقول إنه من أولاد مالك
الأشتر النخعي (١٠) .

الأصم : شاعر جاهلي . اسمه الحکم بن المقداد الفزاري . لقب
بذلك لأنه كان أظفرواً (١١) .

ابن بنت الأعز : شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه عبد الرحمن بن
عبد الوهاب بن خليفة العلالي المصري . لقب بذلك لأن القاضي الأعز وزير
الملك الكامل كان جده لأمه ، فعُرف به (١٢) .

الأقطع : شاعر أموي ، اسمه خلف بن خليفة ، اتهم بالسرقة في صباه ،
فقطعت يده ، وكان له أصابع من جلد يلبسها ، فلقب بالأقطع (١٣) .

(٧) مجلة المجمع العلمي للعربي ٢٨٠/١ و ١٣٢/٢٣ .

(٨) فوات الوفيات ١٩٩/١ والبيان المغرب ٢٠٤/٣ .

(٩) عقود الجمان في شعراء الزمان ٤/ الورقة ٢٢ .

(١٠) عقود الجمان ٧/ الورقة ٢٣٤ .

(١١) شرح الحماسة للتبريزي ٢٤٢/١ .

(١٢) فوات الوفيات ٢٥٦/١ ، والنجوم الزاهرة ٨٢/٨ .

(١٣) الشعر والشعراء ٤٤٦ .

الأقشر : شاعر أموي ، اسمه عبدالله بن الأسود ، لقب بذلك لأنه كان أحمر الوجه أقشر ، وكان يفضب إذا دعوه الأقشر ، ويخاصم^(١٤) .

الأمومي : شاعر من القرن السابع الهجري ، اسمه أبو الفرج محمد بن سعيد بن علي بن جعفر ، لقب بذلك نسبة الى قرية أموميّة ، تحت واسط بأربعة فراسخ^(١٥) .

ابن أمير العرب : شاعر من القرن الثامن الهجري ، اسمه عز الدين جواد بن سليمان بن غالب . ينسب إلى الأمير العربي الثعمان بن المنذر ، فلقب به^(١٦) .

الباعثيقي : شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه أبو عبدالله محمد ابن أحمد بن سعيد بن المبارك الأزري . لقب بذلك لأنه أقام بقرية من قرى الموصل تسمى (باعثيقا) بئرّه من الزمن^(١٧) .

البديع : شاعر من القرن السابع الهجري ، اسمه أبو محمد عبدالرزاق بن أحمد بن الخضر بن أحمد العامري الأطرابلسي ، لقب بذلك لأنه كان يأخذ نفسه بصناعة الترسّث والإنشاء الكتابي^(١٨) .

البرجي : شاعر تونسي من القرن العاشر . اسمه أبو الفتح محمد بن محمد بن سلامة الزبني ، لقب بذلك نسبة الى قرية من أعمال تونس^(١٩) .

بركة الوقت : شاعر من القرن السابع . اسمه أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد الرقي . كان عالماً كبيراً ، وواعظاً مشهوراً ، ومؤلفاً مكثراً ، وشاعراً معروفاً في وقته ، فلقب بذلك^(٢٠) .

(١٤) المذاكرة في القاب الشعراء ٣٦

(١٥) عقود الجمان ٦ / الورقة ٨٣

(١٦) الدرر الكامنة ١ / ٥٤٠

(١٧) عقود الجمان ٧ / الورقة ٤٩

(١٨) م . ن ٤ / ق ٨٤

(١٩) شذرات الذهب ٨ / ٣٨٠ ، وسلافة القصر ٣٩٧

(٢٠) الدرر الكامنة ١ / ١٤ ، وشذرات الذهب ٦ / ٧

البُسْتُكي : شاعر مصري من القرن التاسع الهجري ، اسمه أبو البقاء
محمد بن ابراهيم بن محمد الأنصاري ، لقب بذلك نسبة الى خاتناه (بُسْك)
بالقاهرة ، وكان أحد صوفيتها (٢١) .

التعجيزي : شاعر من القرن الثامن الهجري . اسمه علاء الدين علي بن عمر
الدمشقي . لقب بذلك لأنه حفظ كتاب التعجيز في الفقه لابن يونس ،
فلقب به (٢٢) .

التقي : شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه أبو الحسن محمد بن
إبراهيم المدستاني . لقب بذلك لأدبه وفضله ودينه (٢٣) .

ثعلب : شاعر من القرن الثالث الهجري . اسمه أبو العباس أحمد بن
يحيى بن زيد الشيباني . لقب بذلك لأنه كان إذا سئل عن مسألة ، أجاب :
من ها هنا وها هنا ، فشبهه بثعلب إذا أغار (٢٤) .

الجُبَيْرِي : شاعر من القرن السادس الهجري . اسمه محمد بن
عبد السلام الحصري الواسطي . لقب بذلك لأنه كان يذكر انه من ولد سعيد
بن جبير (٢٥) .

الجراحي : شاعر من القرن التاسع الهجري . اسمه محمد بن إبراهيم بن
بركة العبدلي الدمشقي . اشتغل بالجراحة ، ثم تعانى النظم فمهر فيه ، فلقب
بالجراحي (٢٦) .

الجزّار : شاعر مصري من القرن السابع الهجري ، اسمه أبو الحسين
جمال الدين يحيى بن عبد العظيم بن يحيى ، كان جزّاراً بالفسطاط ، فلقب
بذلك (٢٧) .

-
- (٢١) الضوء اللامع ٢٧٧/٦ ، ومطالع البدور ٨٠/١ .
(٢٢) الدرر الكامنة ١٦٤/٢ ، والوفيات للسلامي ٢٦٣/٢ .
(٢٣) عقود الجمان ٤/ الورقة ١٩٩ . (٢٤) الكنى والألقاب ١٢٩/٢ .
(٢٥) الوافي بالوفيات ٢٥٥/٣ . (٢٦) الضوء اللامع ٢٥٠/٦ .
(٢٧) فوات الوفيات ٣١٩/٢ ، والنجوم الزاهرة ٣٤٥/٧ ، وشذرات الذهب
٣٦٤/٥ .

الجَعْبَرِيّ: شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه ابو سعد نصر بن يوسف بن نصر بن عبدالرزاق . لقب بذلك لأنه سكن قلعة جعبر ، وهي قلعة حصينة على طرف الفرات من البلاد الجزيرية (٢٨) .

الجمدار : شاعر من القرن الثامن الهجري . اسمه علاء الدين عاي بن بلبان بن عبدالله . كان يُلَبِّسُ السَّاطَانَ أو الأمير ثيابه . وأصله (جامادار) ، فحذفت الألفان استقالاتاً ، وهو مركب في الأصل من لفظتين فارسيّتين : جاما ومعناها الثوب ، ودار ومعناها الممسك ، فصارت له لقباً (٢٩) .

الجَمَّال : شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه أبو عبدالله محمد بن علي بن أبي بكر البغدادي النطوعي . لُقِّبَ بالجَمَّال لأن جده كان جَمَّالاً في طريق مكة ، وعُثِرَ فوا به (٣٠) .

الحاجري : شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه حُسام الدين عيسى ابن سنجر الإربليّ . لقب بذلك ، ولم يكن من حاجر الحجاز ، بل لكونه استعملها في شعره كثيراً ، بحيث صارت كالعلم عليه ، وقلما تخلو قصيدة إلا ويعرض بذكرها فيها (٣١) .

الحافي : شاعر من القرن الثالث الهجري ، اسمه أبو نصر بشر بن الحارث البغدادي ، كان من أهل المعازف والملاهي ، فاجتاز يوماً الإمام موسى الكاظم داره ببغداد ، فسمع الملاهي وأصوات الغناء تخرج من تلك الدار ، وخرجت جارية ويدها قدامة فرمت بها في الدرب . فسألها الإمام موسى الكاظم : يا جارية ، صاحب هذه الدار حمّ أم عبد ؟ فقالت : بل حرّ . فقال : صدقت ، لو كان عبداً خاف مولاه . فلما دخلت ، قال مولاه وهو على مائدة السكر :

(٢٨) عقود الجمان ٩/ق ١ .

(٢٩) الوفيات للسلامي ٢٧٨/١ ، وصبح الاعشى ٤٥٩/٥ .

(٣٠) عقود الجمان ٧/ق ١٧٧ .

(٣١) م . ن ٥/ق ٢٤٠ .

ما أبطأك؟ فقالت: حدثني رجل بكذا وكذا، فخرج حافياً حتى لقي الامام الكاظم . فتاب على يده واعتذر وبكى لديه استحياءً من عمله ، فلقب الحافي (٣٢) .

البجائيك : شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه إبراهيم بن خليل بن عمر بن محمد الزبيري . لقب بذلك لصنفته في الحياكة (٣٣) .

حب الله من المحبة : شاعر من القرن التاسع الهجري . اسمه عبد الوهاب بن أحمد بن محمد المحلي الحصري ، عرف بذلك لانه كان يردد هذه العبارة باستمرار (٣٤) .

الحرّ قنوش : شاعر من القرن الثامن الهجري . اسمه أبو علي عبدالله بن سعد الله بن عبد الكافي المصري ، لقب بذلك لأن ثيابه كتياب الحرافيش ، وكلامه ككلامهم (٣٥) .

الخرمازي : شاعر من القرن الثالث الهجري . اسمه أبو علي الحسن بن علي ، لقب بذلك لأنه كان ينزل في بني حرماز ، وهو مولى لبني هاشم (٣٦) .

الحطيم : شاعر جاهلي . اسمه نعمان بن مالك ، لقب بذلك لقوله :

سل (الحطيم) اليوم عن غمامه خالها (*) ، فرضيت خلامه

الحصكفي : شاعر من القرن السادس الهجري . اسمه معين الدين يحيى بن سلام بن الحسين بن محمد ، لقب بذلك نسبة الى حصن كيفا بديار بكر . ولد فيه وترعرع (٣٨) .

(٣٢) الكنى والالقب ٢/ ١٦٩ .

(٣٣) عقود الجمان ١/ الورقة ٢٦٧ .

(٣٤) الضوء اللامع ٥/ ٩٨ .

(٣٥) الضوء اللامع ٥/ ٢٠ .

(٣٦) نور القبس المختصر من المقتبس ٢٠٨ . (*) خالها : صادقها .

(٣٧) المذاكرة في القاب الشعراء ٣٠ (٣٨) الكنى والالقب ٢/ ١٨١ .

الحَصْنَكَمِي : شاعر من القرن التاسع الهجري . اسمه شمس الدين محمد بن علي بن منصور المقدسي . ولد وتعلم بحصن كيفا من ديار بكر ، فلقب به (٣٩) .

حَصَّدة : شاعر من القرن السادس الهجري . اسمه أبو منصور محمد ابن أسعد بن محمد العطار النيسابوري .

قال ابن خلكان : لا أعلم لِمَ سَمِيَ بهذا الاسم مع كثرة كسفي عنه . وفي اللغة : تعني الأولاد وضياع الوشي (٤٠) .

الحُمَامِي : شاعر عباسي . اسمه أبو بكر محمد بن علي بن إبراهيم بن صالح . لقب بذلك لأنه مرّ به إنسان يبيع الحماحم ، وهو لون من صبغ الشعر ، فصاح به : يا حُمَامِي : فلزمته ، ولقب بها (٤١) .

الحَوْفَرَان : شاعر جاهلي . اسمه الحارث بن شريك بن عمرو الشيباني . لقب بذلك لأن قيس بن عاصم أدركه في بعض حروبه وحفره بطعنة في وَرَرِكِهِ ، عرج منها (٤٢) . وقيل : ان شاعراً قال فيه :

ونحن حفرنا الحَوْفَرَان بطعنة سقته نَجِيعاً من دم الجوف أشكالاً
فجرى عليه هذا اللقب (٤٣) .

خادم السُنة : شاعر من القرن الثامن الهجري . اسمه أبو الفضل محمد ابن محمد بن أبي بكر القُدسي القاهري . لقب بذلك لأنه كان معنياً بالحديث النبوي ، وسَماعه والإفادة على شيوخه ، وكتابة أجزاءه (٤٤) .

(٣٩) الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ٢/٢٥٥ والضوء اللامع ٨/٢٢٠

(٤٠) وفيات الاعيان ٣/٣٧٣ ، والنجوم الزاهرة ٦/٧٧ .

(٤١) معجم الشعراء ٣٨٣ .

(٤٢) البرصان والعرجان ١١٤ والاشتقاق ٣٥٨ والانتصاب ١٢٢ .

(٤٣) الانتصاب ١٢٣ .

(٤٤) الضوء اللامع ٩/٦٢ .

الخازن : شاعر من القرن الرابع الهجري . اسمه أبو محمد عبدالله بن أحمد . كان خازن كتب صاحب بن عبّاد ، فلقب بذلك (٤٥) .

، الخازندار : شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه أبو المحاسن أسعد بن أحمد بن موسى بن منصور الإربليّ ، لقب بذلك لأنه تولى خزانة السلاح بإربل من قِل المالك المعظم (٤٦) .

الخبّاز : شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه اسماعيل بن ابراهيم بن صدقة الموصلي . قيل : إنه كان خبازاً في ابتداء أمره ، فصرف همه الى الشعر والأدب ، فلازمه اللقب (٤٧) .

ابن خَبْطَة : شاعر من القرن التاسع الهجري . اسمه أحمد بن محمد بن عبدالله القايوبي . لقب بذلك لأن بعض أجداده مرض فاخبط وصحّ ، فانتقل اللقب الى الأبناء (٤٨) .

ابن خطيب الرّئيّ : شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه ابو النضل محمد بن عمر بن الحسين البكري الرازي . لقب بذلك لأن جده الحسين خطيب الرّئيّ ، مع أنه مولود بمكة (٤٩) .

ابن الخطيب الثاني : شاعر اندلسي من القرن التاسع الهجري . اسمه أبو يحيى محمد بن محمد بن عاصم القيسي الغرناطيّ ، شُبّه بابن الخطيب ، لأنه كان من بلغاء الكتّاب والشعراء ، وتولّى القضاء أيضاً (٥٠) .

(٤٥) يتيمة الدهر ٣/٣٢٥ ، ومعاهد التنصيص ٢/٢٠٦ .

(٤٦) عقود الجمان ١/ ق ٢٥٠ .

(٤٧) م . ن ١/ ق ٢٨١ .

(٤٨) الضوء اللامع ٢/ ١٣٤ .

(٤٩) عقود الجمان ٦/ ق ٥٤ .

(٥٠) ازهار الرياض ١/ ١٤٥ ، ونفح الطيب ٣/ ٤٠٤ .

الخُفَافِيّ: شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه ابو جعفر أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسين السُّلَمِيّ . لقب بذلك لأنه من ولد الشاعر خُفَاف بن ثُدْبَةَ الصَّحَابِيّ^(٥١) .

الخِلَيعِيّ: شاعر من القرن الخامس الهجري . اسمه أبو الحسن علي ابن الحسن بن الحسين القاضي . نُسِبَ الى الخِلَع ، لأنه كان يبيع بصر الخِلَع لأُملاك مصر ، فاشتهر به^(٥٢) .

الخَلْثُوف : شاعر تونسي من القرن التاسع الهجري . اسمه أحمد بن محمد بن عبدالرحمن . لقب بذلك لأنه تخلف عند أمه وجَدَّتِهِ بالقاهرة^(٥٣) .

الخِلَاطِيّ : شاعر من القرن السابع ، اسمه أبو الحسن علي بن احمد بن علي بن عبدالمنعم الحكيم البغدادي ، عرف بالخلاطي ، وليس خلاطياً على الحقيقة ، إلا انه رحل الى خِلَاط (قُصْبَة أَرَمِينِيَّة الوُسْطَى) وأقام دهرأ طويلاً ، فنسب اليها^(٥٤) .

ابن دَقِيق العِيد : شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه محمد بن علي بن وهب ابن مطيع القُشَيْرِيّ ، المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد ، نسبةً الى جده الذي كان عايه طيلسان شديد البياض في يوم عيد ، ف قيل : كأنه دقيق العيد ، فلُقب به^(٥٥) .

الدَّلَاصِيرِيّ : شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الصَّنَّاجِيّ . كان أحد أبويه من بُوَصِير ، والآخَر من دِلاص فركبَ له لقباً منهما ، فقال : الدَّلَاصِيرِيّ ، وله أشياء مثل هذا مركبة^(٥٦) .

(٥١) عقود الجمان ١/ الورقة ١٠٠ . (٥٢) الكنى واللقاب ٢/ ٢١٩ .

(٥٣) الضوء اللامع ٢/ ١٢٢ ، و ١١/ ١٧١ . (٥٤) عقود الجمان ٤/ ق ٢٠٢ .

(٥٥) الدرر الكامنة ٤/ ٩١ ، والطالع السعيد ٣١٧ .

(٥٦) الوافي بالوفيات ٣/ ١١١ .

الدهَّان : شاعر من القرن الثامن . اسمه شمس الدين محمد بن علي بن
عمر المازني الدمشقي . كان يجتري صناعة الدهن ، فلقب بذلك (٥٧) .

ذو الدَّوْلَتَيْن : شاعر من القرن الثامن . اسمه أبو العباس إبراهيم بن
علي المريني من ملوك المغرب ، حكم المغرب مرتين ، الأولى عشر سنين وثلاثة
أشهر ، وفي الثانية ست سنين وأربعة أشهر ، فلقب بذلك (٥٨) .

ذو الركة : شاعر عبد ، اسمه السائل المثري . لقب بذِي الركة لقوله :
سخر الغواني إذ رأين مؤيَّهنا كالبوأكهب شاحب منهوك
والركبتان مفارق رأساهما والظهور أحْدَب والمعاش ركيك (٥٩)
ذو الركة : شاعر عبد ، اسمه السائل المثري . لقب بذِي الركة لقوله :
الخطيب السلماي . كان مصاباً بداء الأرق ، فتأوَّل ذلك الكتاب له
بعمري ثان (٦٠) .

ذو القبرين : شاعر أندلسي . اسمه محمد بن عبدالله لسان الدين بن
الخطيب السلماي . لقب بذلك لأنه قتل في سجنه خنقاً ، وأخرجوا
شلوه من الغد فدفن ، ثم أصبح من الغد على شفير قبره طريحاً ، وقد جمعت
له أعواد وأُضرمت عليه نار فاحترق شعره واسودَّ بشره ، فأعيد إلى خفرتة ،
فلقب بذِي القبرين (٦١) .

ذو الميتين : شاعر أندلسي . اسمه محمد بن عبدالله لسان الدين بن
الخطيب السلماي . لقب بذلك للسبب المذكور نفسه (٦٢) .

(٥٧) فوات الوفيات ٢٤٩/٢ والدرر الكامنة ٧٨/٤ .

(٥٨) الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ١٣٣/٤ والاعلام بمن حل مراکش
وأغامت من الاعلام ٦/٢ .

(٥٩) المذاكرة في القباب الشعراء ٢٢٣ .

(٦٠) نفح الطيب ٢٤٩/٦ ، مقدمة ديوانه ص ٥٤ .

(٦١) شذرات الذهب ٢٤٧/٦ . (٦٢) م . ن ٢٤٧/٦ .

الذبيبي : شاعر من القرن التاسع الهجري • اسمه نور الدين أبو الحسن علي بن عمر بن عمران القاهري الشافعي • لقب بذلك لأنه ولد بمدينة الذبية من الغربية بمصر بين سخا وسنهو (٦٣) •

الرافعي : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه أبو القاسم عبد الكريم ابن محمد القزويني • لقب بذلك نسبة الى الصحابي الجليل رافع بن خديج رضي الله عنه (٦٤) •

الربضي : شاعر من الأندلس • اسمه أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن اللخمي • لقب بذلك لأنه كان يسكن الربض الشرقي من قرطبة (٦٥) •

الرسام : شاعر من القرن التاسع الهجري • اسمه أحمد بن علي المصري • لقب بذلك لأنه كان يعاني صناعة الرسم (٦٦) •

الرسام : شاعر من القرن التاسع الهجري • اسمه أبو الفتح محمد بن أحمد الأزهري • لقب بذلك لأنه كان متميزاً في صناعة التجليد والتذهيب والكتابة وعمل المزهرات ، وكان القائم برسم الكعبة المشرفة (٦٧) •

الرصاصي : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه أبو عمرو عثمان بن ابراهيم بن علي بن أحمد بن محمد الاربلي • لقب بذلك لأنه كان يعمل في الرصاص (٦٨) •

الرويفي : شاعر من القرن الثامن الهجري • اسمه جمال الدين محمد ابن مكرم بن علي بن حمد الأنصاري الإفريقي • لقب بذلك لأنه من ولد الصحابي الجليل رُوَيْفِع بن ثابت الأنصاري (٦٩) •

(٦٣) الضوء اللامع ٢٦٩/٥ •

(٦٤) طبقات الشافعية للأسنوي ٥٧١/١ ، والنجوم الزاهرة ٢٦٦/٦ •

(٦٥) الوافي بالوفيات ٥١/٧ •

(٦٦) الضوء اللامع ٤٧/٢ • (٦٧) م. ن ٦/٩ •

(٦٨) عقود الجمان ١٤٤/٤ • (٦٩) الوافي بالوفيات ٥٤/٥ •

الزُّبُنِيّ : شاعر تونسي من القرن الخامس • اسمه عبد الخالق بن محمد
ابن أبي المنهال • كان أبوه قاضياً بقرية زينة من كورة رصفّة من الساحل
فلقب بها (٧٠) •

الزَّرَّارِي : شاعر عباسي • اسمه عبيد الله بن احمد بن محمد الكاتب
قال : وإنما نسبت إلى زرارة جدِّي من قبَلِ أُمِّي فاشتُهرت به (٧١) •

الزَّمْزَمِي : شاعر من القرن العاشر الهجري • اسمه عبدالعزيز بن محمد
ابن عبدالعزيز البضاوي • لقب بذلك نسبة الى بئر زمزم ، لأن جده قدم مكة
في سنة (٧٠٣هـ) عام قدمها الفيل من العراق في قصة ذكرها المؤرخون ، وكان
يلي أمر زمزم (٧٢) •

الزَّمْزَمِي : شاعر من القرن التاسع الهجري • اسمه إبراهيم بن علي
الشمباري • لقب بذلك لأنه كان يلي سقاية زمزم وأمرها (٧٣) •

الزَّمْكَدَم : شاعر من القرن الرابع الهجري • اسمه أبو علي سليمان بن
الفتح بن أحمد الأنباري • لقب بذلك لأنه كان قوياً شديداً (٧٤) •

الزَّوَّاق : شاعر تونسي من القرن الخامس الهجري • اسمه عبدالواحد
ابن فتوح الكتمي • لقب بذلك لأنه كان يتكلف تزويق شعره (٧٥) •

الزَّيُّن : شاعر من القرن التاسع الهجري • اسمه عبدالرحمن بن محمد
ابن اسماعيل القلقشندي الأصل ، المقدسيّ • لقب بذلك لفضله (٧٦) •

(٧٠) انموذج الزمان في شعراء القيروان ١١٥ •

(٧١) الكنى والالقب ٢/٢٩٦ •

(٧٢) الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ٣/١٦٧ •

(٧٣) الضوء اللامع ١/٨٦ •

(٧٤) الوافي بالوفيات ١٥/٤١٨ •

(٧٥) ١ نموذج الزمان ١٨٤ •

(٧٦) الضوء اللامع ٤/١٢٢ •

السائح : شاعر عباسي تأخر الى بداية القرن السابع الهجري • اسمه أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي المَهْرُوي ، طاف الأرض ذات الطول والعرض ، وهو القائل : سلكت القفار وطفئت الديار ، وركبت البحار ، ورأيت الآثار ، وسافرت البلاد وعاشرت العباد ، لكل هذا لقب بالسائح (٧٧) .

السائح : شاعر نجدية من القرن التاسع الهجري • اسمه شهاب الدين أحمد بن ماجد السعدي • لقب بذلك لانه كان من كبار ربابة العرب في البحار والخلجان (٧٨) .

السَّامِرِيّ : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه سيف الدين أحمد ابن محمد بن علي ، أصله من سامراء في العراق ، فلقب بالسامرّي (٧٩) .

سَدِّيف : شاعر من القرن الثاني الهجري • اسمه اسماعيل بن ميمون • لقب بذلك لسواد لونه ، فثبّه بالسَدِّف ، وهو الظلام (٨٠) .

السعودي : شاعر من القرن العاشر الهجري • اسمه أبو محمد مصطفى ، وقيل : محمد بن حسن بن سنان الحسيني الجنابي • لقب بذلك نسبة الى أستاذه أبي السعود المنفّر المعروف (٨١) .

السَّلَامِي : شاعر من القرن الرابع الهجري • اسمه أبو الحسن محمد بن عبدالله بن محمد بن محمد القريشي الخزومي • لقب بذلك نسبة الى دار السلام بغداد (٨٢) .

ابن السوداء : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه قيصر بن عثمان بن يوسف الواسطي ، كانت أمه سوداء ، لا يُعرَف إلا بها (٨٣) .

(٧٧) تاريخ اربل ١٥١/١ .

(٧٨) مجلة المجمع العلمي العربي ٢٨٠/١ و ٢٠٤/٢٣ .

(٧٩) فوات الوفيات ٦٥/١ .

(٨٠) المذاكرة في القباب الشعراء ٣٨ . (٨١) شذرات الذهب ٤٤٠/٨ .

(٨٢) الوافي بالوفيات ٣١٧/٣ . (٨٣) عقود الجمان ٦/١ ق .

الشاب الظريف : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه شمس الدين محمد بن سليمان بن علي التلمساني • لقب بذلك لأنه كان مترقفاً بشعره (٨٤)

شاعر البطحاء : شاعر من القرن التاسع الهجري • اسمه بدر الدين حسين بن محمد بن الحسن بن عيسى الشراحي العدنائي • كان متقدماً في فنون الأدب والشعر ، فلقب بذلك (٨٥) •

شاعر الدولتين : شاعر من القرن الثامن الهجري • اسمه عبدالله بن علي ابن جعفر اليماني • لقب بذلك لأنه كان شاعر الدولة الاشرفية والمؤيدية في اليمن (٨٦) •

شاعر الصحابة : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه أبو الحسين ابن أبي بكر بن الحسين الشروبي النسّاج الموصلي • لقب بذلك لأنه استمرغ معظم أشعاره في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨٧) •

الشافعي الصغير : شاعر من القرن العاشر الهجري • اسمه عبدالله بن عمر ابن عبدالله ، كان مفتي اليمن وعلامة في عصره • فلقب بذلك (٨٨) •

أبو شامة : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه عبدالرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي • لقب بذلك لشامة كبيرة فوق حاجبه الأيسر (٨٩)

الشحرور : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه تاج الدين محمد ابن عبدالمنعم بن نصرالله بن جعفر التنوخي المعري كان الملك الناصر أطلق

(٨٤) فوات الوفيات ٢/ ٢١١ ، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٨١ •

(٨٥) الضوء اللامع ٣/ ١٥٥ •

(٨٦) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ١/ •

(٨٧) عقود الجمان ٧/ ورقة ٩٥ •

(٨٨) النور السافر عن اخبار القرن العاشر ٢٧٨ ، وتاريخ الشعراء الحضرميين

١٥٧/١ •

(٨٩) ذيل الروضتين ص ٣ •

له صفة على نور ثور ، فحسده جماعة من أضداده ، وسعوا في إزالتها من يده ، فكتب الى الملك الناصر :

ما قدر داري في البناء ؟ فسعيهم
هَبْ أنها (ديوان كسرى) رفعة
فاكتب بأنني لا أعارض كاتباً
فالنص جاء عن النبي محمد
هادي : أقروا الطير في أوكارها •
فكان الشحرور لقباً له ، وهو يشير اليه في البيت الأخير (٩٠) .

شُرَيْح : شاعر عراقي من القرن السابع الهجري • اسمه عبدالرحمن
ابن الحسين بن عبدالله ، أبو منصور النعماني • كان قاضي النيل والنعمانية ،
فلقب بذلك تشبيهاً بالقاضي شريح (٩١) •

الشهاب : شاعر من القرن الثامن الهجري • اسمه شهاب الدين أبوالتناء
محمود بن سلمان الحنبلي الحلبي • لقب بذلك اختصاراً لشهاب الدين الذي
تلقب به (٩٢) •

الشهيد : شاعر من القرن الثامن الهجري • اسمه محمد بن مكّي العاملي
الدمشقي ، قتل في دمشق بفتوى ، فلقبه أبناء طائفته بالشهيد (٩٣) •

شيخ الرّبوة : شاعر من القرن الثامن الهجري • اسمه شمس الدين
محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي • لقب بذلك لأنه ولي مشيخة
الرّبوة من ضواحي دمشق (٩٤) •

(٩٠) عيون التواريخ ٤١٤/٢٠ .

(٩١) عقود الجمان ٢٦٧/٣ .

(٩٢) فوات الوفيات ٢٨٢/٢ .

(٩٣) الكنى والالقب ٣٧٨/٢ .

(٩٤) الوافي بالوفيات ١٦٣/٣ ، والدرر الكامنة ٥٨/٣ .

شيطان الشام : شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه أبو العزّ يوسف ابن النفيس الأربليّ لقب بذلك لأنه كان يساك في شعره مسلك ابن الحجاج في الشخف والهزل (٩٥) .

الشياني : شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه عبدالرحمن بن محمد ابن عبدالسميع الهاشمي الواسطي . لقب بذلك لأنه اجتمعت فيه سبعة شينات لم تجتمع في أحد سواه من ذوي الشرف . كان شيخاً في العلم والأدب ، شافعي المذهب . يلقب شرف الدين ، شريفاً ، شاعراً ، شروطياً شاهداً ، وقد نظمت هذه الألفاظ بيت شعر ، وهو :

شرف الدين شيخنا شافعيّ شاعر شاهد شريف شروطيّ (٩٦)

صاحب الخال : شاعر من القرن الثالث الهجري . اسمه ناصر الدين الحسين بن زكرويه القريمطيّ كان ينتمي الى الطالبين ، خرج على العباسيين ، وأظهر خلافاً في وجهه ، وزعم أنه آيته ، فلقب بذلك (٩٧) .

صاحب الشامة : شاعر عباسي . اسمه ناصر الدين الحسين بن زكرويه القريمطيّ . كان ينتمي الى الطالبين . خرج على بني العباس ، وأظهر شامة في وجهه ، وزعم أنها آيته (٩٨) .

الصّفّار : شاعر من القرن السادس الهجري . اسمه أبو الفرج عبدالرحمن ابن علي بن محمد الجوزي . لقب بذلك لأن أهله كانوا تجاراً في النحاس (٩٩) .

الصّلاحي : شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه أبو اسحاق إبراهيم ابن قصريا بن عبدالله الموصاي . لقب بذلك لأن أباه كان مولى صلاح الدين الأيوبي (١٠٠) .

(٩٥) عقود الجمان ١٠/ق ٢٦٤ ، والكنى والالقب ٢/٣٧٥ .

(٩٦) م . ن ٢٢٢/٣ . (٩٧) مرآة الجنان ٢/٢١٧ .

(٩٨) مرآة الجنان ٢/٢١٧ ، وتاريخ أبي الفداء ٥/٦١ .

(٩٩) ذيل الروضتين ٢١ . (١٠٠) عقود الجمان ١/ ورقة ٤٢ .

الصياد : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه لؤلؤ بن عبدالله الرومي •
كانت حرفته صيد السمك ، فلقب بذلك (١٠١) •

الطليق : شاعر أندلسي من القرن السادس الهجري • اسمه الأصم
القرطبي المرواني القرشي • لقب بذلك بسبب جده الذي أطلقه رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - وقيل : إن جده كان طليق أبي عامر المنصور ، وإن
سبب الافراج كان نعمة ، فلذلك يعرف بطليق النعمة (١٠٢) •

الطنتدائي : شاعر مصري من القرن التاسع الهجري • اسمه أبو عبدالله
محمد بن زين بن محمد النحراوي ، أصله من طنطا ، وتسمى « طنتداء »
أيضاً ، ومنه جاء لقبه (١٠٣) •

الطهوي : شاعر أموي • اسمه جندل بن المثنى التيمي • لقب بذلك
نسبة الى جدته طهية (١٠٤) •

الطولوني : شاعر من القرن التاسع الهجري • اسمه أبو بكر بن محمد
ابن عبدالله التقى الحلبي • لقب بذلك لسكناء المدينة الطولونية في بيت
المقدس (١٠٥) •

العالية : شاعر من القرن الثامن الهجري • اسمه عيسى بن حجاج بن
عيسى بن شداد السعدي ، ترقى في لعبة الشطرنج حتى لقب العالية (١٠٦) •

العُتبي : شاعر من القرن الثالث الهجري • اسمه أبو عبدالرحمن محمد
ابن عبيدالله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان ، لقب بالعتبي
نسبة الى جده عتبة (١٠٧) •

(١٠١) م . ن ١٠٥/٦ •

(١٠٢) تاريخ المن بالامامة على المستضعفين ١٥٣ ، المعجب ص ٢١٦ •

(١٠٣) الضوء اللامع ٢٤٦/٧ •

(١٠٤) سمط اللالء ٦٤٤ • (١٠٥) الضوء اللامع ٨٠/١١ •

(١٠٦) م . ن ١٥١/٦ • (١٠٧) نور القبس ١٨٦ •

العُثَّ : شاعر جاهلي • اسمه زيد بن معروف • لقب بذلك لأنه كان أكلوا ، والعُثَّ يأكل الصوف والخشب وغيره (١٠٨) •

عدل الأصرّة : شاعر جاهلي • اسمه امرؤ القيس بن إجمام • لقب بذلك لان أمه ولدته في الإبل ، فلما راحت جعلت عدل الأصرّة على بعير من إبلها (١٠٩) العراقي : شاعر من القرن التاسع الهجري • اسمه أبو الفضل عبد الرحيم ابن الحسين بن عبد الرحمن الكودي الرازاني • لقب بذلك اتساباً الى العراق • وهو كردي الأصل (١١٠) •

العَرَّوْضي : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه أبو يعقوب إسحاق ابن مروان بن أبي السعادات الموصلي • لقب بذلك لأنه كان بارعاً في العروض ، علمه وألّف فيه ، وله شعر عجيب القوافي ، أتى فيه بالمعجز البديع (١١١) •

العَزَافِي : شاعر أندلسي من القرن السابع الهجري • اسمه أبو عمرو يحيى ابن عبدالله بن محمد اللخمي • لقب بذلك نسبة الى بني أبي عزة (١١٢) •

عَزَّوْز : شاعر مغربي من القرن السابع الهجري • اسمه عبدالعزيز بن عبد الرحمن ، وقيل : عبد الواحد المازوزي • كان متهوراً • فصغّر اسمه ، ولقب بذلك (١١٣) •

العَطَّار : شاعر تونسي من القرن الخامس الهجري • اسمه عبدالله بن محمد الأزدي • لقب بذلك لحسن شعره ودياجته ورواقه (١١٤) •

(١٠٨) المذاكرة في القاب الشعراء ٣٩ •

(١٠٩) م . ن ٤٨ • والأصرة : خيوط تشد على أخلاف الإبل اذا قلت البانها لئلا ترضعها فصلانها •

(١١٠) الضوء اللامع ١٧١/٤ •

(١١١) عقود الجمان ١/ الورقة ٢٤١ •

(١١٢) الدرر الكامنة ٤/ ٤٢٠ ، وازهار الرياض ٢/ ٣٧٧ •

(١١٣) الاعلام بمن حل مراكز وأغمات من الاعلام ٤/ ٤٩ •

(١١٤) انموذج الزمان ١٦١ •

العفيف التلمساني : شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه سليمان بن علي بن عبدالله الكومسي التلمساني ، كنية غفيف الدين ، ولقب العفيف اختصاراً (١١٥) .

العَلَم : شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه أبو عبدالله محمد بن سليمان الحَمَوِي . لقب بذلك لأنه كان شيخاً صالحاً زاهداً عابداً ورعاً فاضلاً أديباً شاعراً حسن العشرة فهو علم في كل ذلك (١١٦) .

العَلَمِي : شاعر من القرن التاسع الهجري . اسمه أحمد بن عثمان بن العفيف العلوي . لقب بذلك لأنه كان يكنى عَلَم الدين (١١٧) .

العِمْرَانِي : شاعر يمني من القرن التاسع الهجري . اسمه بهاء الدين محمد بن أسعد بن محمد بن موسى . لقب بذلك نسبة الى جد له اسمه عمران (١١٨) .

عَنْتَرَة : شاعر تونسي من القرن الخامس الهجري . اسمه حسين التميمي التونسي . لقب بذلك تشبيهاً بالشاعر عنترة بن شداد ، لسواد لونه (١١٩) .

العَوْفِي : شاعر مصري من القرن العاشر الهجري . اسمه أبو الفتح محمد بن محمد بن علي . لقب بذلك لأنه من سلالة عبدالرحمن بن النعمان ابن عوف (١٢٠) .

العِيُونِي : شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه أبو عبدالله علي بن مقرب . لقب بالعيوني نسبة الى موضع بالبحرين يقال له العيون (١٢١) .

(١١٥) فوات الوفيات ١/ ١٧٨ ، والنجوم الزاهرة ٨/ ٢٩ .

(١١٦) الوافي بالوفيات ٣/ ١٣٦ . (١١٧) الضوء اللامع ٢/ ٤ .

(١١٨) العقود اللؤلؤية ١/ ٢٩١ .

(١١٩) أنموذج الزمان ٢٥٢ .

(١٢٠) الكواكب السائرة ١/ ١٤ ، وشذرات الذهب ٨/ ٣٠ .

(١٢١) عقود الجمان ٥/ الورقة ١٢٧ .

- غبار الحربة : شاعر تونسي من القرن الخامس • اسمه عمر بن يعمر
الفارسي ، جاء لقبه من نوع من الخط كان يكثر ذكره في شعره (١٢٢) •
- الغريب : شاعر جاهلي • اسمه نعيم بن سليم ، لقب بقوله :
اسمي نعيم وأنا الغريب إسمًا كريم بهما أَحَبَّ (١٢٣) •
- القاتك : شاعر عباسي • اسمه عبدالله بن الحسن • لقب بذلك لفتكه
في الحروب (١٢٤) •
- الفار : شاعر من القرن الثامن الهجري • اسمه أحمد بن محمد بن أحمد
الشهاب الشطرنجي • كان غالباً في الشطرنج • فلقب بذلك (١٢٥) •
- فارس الحِصَاء : شاعر من القرن الأول الهجري • اسمه حزن بن مرداس
السلمي • لقب باسم فرسه (١٢٦) •
- فارس خِذَام : شاعر إسلامي • اسمه حاتم بن حياش من بني الأعور بن
قشير • لقب باسم فرسه (١٢٧) •
- فارس دَعْلَج : شاعر جاهلي • اسمه عبد عمرو بن شريح بن الأحوص •
لقب باسم فرسه (١٢٨) •
- فارس سَكَاب : شاعر جاهلي • اسمه عبيدة بن ربيعة بن قحطان
التميمي • لقب باسم فرسه (١٢٩) •
- فارس صِلَام : شاعر جاهلي • اسمه زفر بن الحارث من بني نَضِيل بن
عمرو بن كِلَاب • لقب باسم فرسه (١٣٠) •

-
- (١٢٢) أنموذج الزمان ٢٤٧ •
(١٢٣) المذاكرة في القاب الشعراء ٣٠ •
(١٢٤) م • ن ٤٢ •
(١٢٥) الوافي بالوفيات ٣٥٩/٧ •
(١٢٦) أسماء خيل العرب وفرسانها ٦١ •
(١٢٧) م • ن ٦٦ •
(١٢٨) م • ن ٦٥ •
(١٢٩) م • ن ٤٨ •
(١٣٠) م • ن ٦٩ •

فارس عثير : شاعر جاهلي • اسمه حنظلة بن سيّار العجّلي • لقب باسم فرسه (١٣١) •

فارس قديد : شاعر جاهلي • اسمه عيسى بن حذار من بني وائل بن صعصعة • لقب باسم فرسه (١٣٢) •

فارس منهب : شاعر جاهلي • اسمه عوية بن سلمي الضبي • لقب باسم فرسه (١٣٣) •

فارس الميّاخ : شاعر جاهلي • اسمه عتبة بن سالم الهزاني • لقب باسم فرسه (١٣٤) •

فارس نَحْلَة : شاعر جاهلي • اسمه سبيع بن الخطيم التيمي • لقب باسم فرسه (١٣٥) •

الفارقي : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه أبو عبدالله محمد بن قريش بن مسلم الأسدي ، ولد بماردين • ونشأ بيميارفارقين • فلقب بذلك (١٣٦) •

الفخّاري : شاعر من القرن التاسع الهجري • اسمه محمد بن علي بن عبدالرحمن الدّمّهْوري • لقب بذلك نسبة الى بيع الفخار (١٣٧) •

الفِرْكَاج : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه تاج الدين أبو محمد عبدالرحمن بن ابراهيم بن سباع المصري • لقب بذلك لاعوجاجه في رجلية (١٣٨) •

(١٣١) أسماء خيل العرب وفرسانها ٨٦ •

(١٣٢) م • ن ٦٨ •

(١٣٣) م • ن ٤٦ •

--- (١٣٥) م • ن ٤٥ •

(١٣٤) م • ن ٧١ •

(١٣٦) عقود الجمان ٦/ق ١٤٩ • (١٣٧) الضوء اللامع ٨/١٨٧ •

(١٣٨) طبقات الشافعية للأسنوي ٢/٢٨٧ •

فقيدثقيف : شاعر جاهلي • اسمه عمرو بن عبدالله ، عشق امرأة أخيه
سفيان ، وكنم أمره ، ولم يعرف الأطباء داءه ، فقال الحارث بن كلدة
الثَّقَفي : هو شاعر عاشق ، فدعا بشراب فصبّه في فيه حتى سكر ،
فأنشأ يقول :

أهيج وأهيج ، و حزينا ما أكونتّه
ألبا بي على الأيبا ت بالخيف ازُرْهُنّه
غزالا ما رأيت اليو م في دور بني وكنّته
غزالا أحور العيـ نِ وفي منطقهُ غنّته

فقال الحارث : قد عرض ولم يَبْنِ ، فزاده في الشراب ، وعرض عليه
نساء العرب ، فلما مرت به امرأة أخيه أنشأ يقول :

أهل ودي ، ألا اسلمُوا وقِفُوا كي تكلّموا
أخذ الحيّ حظّهم من فؤادي ، وأنعموا
فهم في كثيرة وفؤادي متيّم
وأخو الحب جسمه أبد الدهر مستقم
طلعت منزلة من الـ بحر رَيّا تحمحم
هي ما كنتي ، وأز عُم أني لها حم

فلما أفاق من سكره ، عرف ما قاله ، فاستحيّا من أخيه ، فذهب على
وجهه ، فلا يُدرى أين توجه ، فلقب فقيدثقيف (١٣٩) .

الفقيه : شاعر من القرن التاسع الهجري • اسمه تغري برمّش سيف الدين
الجلالي الناصري المؤيدي • لقب بذلك لأنه كان من فقهاء الحنفية في
عصره (١٤٠) .

(١٣٩) عيون الاخبار ٤/١٣١ ، والمذاكرة في القاب الشعراء ٤٣ .

(١٤٠) الضوء اللامع ٣/٣٣ .

الفُقَّاعِي : شاعر من القرن العاشر الهجري • اسمه علي بن محمد بن
ملك الحَمَوِيّ الدمشقي • لقب بذلك لأنه كان يبيع الفقاع قرب (باب
الفراديس) ، ثم تركه وانصرف للعلم وظم الشعر (١٤١) •

التُنْدُقِي : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه أبو العباس أحمد بن
عبدالدائم بن نعمه المقدسي • لقب بذلك لأنه ولد بفندق أَلْشِيُوخ من
جبل نابلس (١٤٢) •

القَادِرِي : شاعر من القرن التاسع الهجري • اسمه أبو الفضل محمد بن
أبي بكر بن عمر الأنصاري السعدي ، عرف بذلك لأنه كان متصوّفاً على
الطريقة القادرية (١٤٣) •

قاضي الركب : شاعر من القرن التاسع الهجري • اسمه أبو عبدالله محمد
ابن عبدالله بن يحيى بن عثمان المغربي • لقب بذلك لأنه كان قاضي ركّاب
حجّاج المغاربة سنين (١٤٤) •

قاضي الشطرنج : شاعر من القرن التاسع الهجري • اسمه محمد بن
أحمد بن كمال الشمس الدّجوي القاهري • كان كثير التردد على لعب
الشطرنج ، فائقاً فيه • ولذلك لقب بقاضي الشطرنج (١٤٥) •

القَصْرِي : شاعر أندلسي من القرن السابع الهجري • اسمه نجم الدين
الفتح بن موسى بن حماد الأموي • ولد بالجزيرة الخضراء بالأندلس ، ونقله
والده الى قصر ابن عبدالكريم وعمره خمس سنوات ، فنسب إليه (١٤٦) •

(١٤١) الكواكب السائرة ١/ ٢٦١ •

(١٤٢) الوافي بالوفيات ٧/ ٣٤ •

(١٤٣) الضوء اللامع ٧/ ١٨٨ •

(١٤٤) م . ن ٨٠/ ١٦٦ •

(١٤٥) م . ن ٧/ ٣٨ •

(١٤٦) عيون التواريخ ٢٠/ ٢٣٨ •

القُصَيْرِي : شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه محمد بن عمار الجديثي ، لقب بذلك لأنه من موضع يُعرف بـ (القَصِير) من نواحي (الحديثة) في (العراق) (١٤٧) .

القطرُسي : شاعر من القرن السادس الهجري . اسمه أبو العباس أحمد ابن عبد الغني بن أحمد اللخمي . لقب بذلك نسبة إلى جدته قطرس ، وقيل : لأنه كمله شخص من مصر ، يقال له القطرس ، وربّاه فلا يُعرف إلا به (١٤٨) .

قَلَمُ الله في أرضه : شاعر من القرن الخامس الهجري . وهو الخطاط أبو الحسن علي بن هلال البغدادي . لقب بذلك لأنه كان معجزةً في حسن الخط (١٤٩) .

القَلَمُ : شاعر تونسي من القرن الخامس الهجري . اسمه عمر بن معمر الفارسي ، له خط حسن ، وولوع بذكر القلم حتى لقب بذلك (١٥٠) .

ابن القُنَيْصِي : شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه أبو عبدالله محمد ابن أبي الوفاء بن أحمد بن طاهر العدوي الموالي . لقب بذلك لأن أصله من قرية من أعمال الموصل تدعى (القُنَيْصِيَّة) شرقي الموصل (١٥١) .

كاتب كرامة : شاعر تونسي من القرن الخامس الهجري . اسمه أبو طاهر إسماعيل بن علي ، كتب لكرامة بن عدّة العزيز بالله ، فلقب بذلك (١٥٢) .

الكثيري : شاعر عباسي . اسمه إبراهيم بن إسماعيل بن عبدالرحمن القرشي المدني . لقب بذلك لأنه من ولد كثير بن الصلب السهمي (١٥٣) .

(١٤٧) عقود الجمان ٦ / ق ١٣٩ .

(١٤٨) عقود الجمان ١ / ق ٧٦ ، والوافي بالوفيات ٧٢ / ٧ .

(١٤٩) معجم الأدباء ٥ / ٤٤٥ ، ووفيات الأعيان ١ / ٣٧٦ وتلخيص مجمع الآداب ٧٣٤ / ٤ / ٤ .

(١٥٠) أنموذج الزمان ٢٤٧ . (١٥١) عقود الجمان ٦ / ق ٢٣٤ .

(١٥٢) أنموذج الزمان ٧٧ . (١٥٣) الوافي بالوفيات ٥ / ٣٢٦ .

الكحلّال : شاعر موصلّي من القرن الثامن الهجري . اسمه شمس الدين محمد بن دانيال الخزاعي . كان له دكان كحل في داخل (باب الفتوح) بالقاهرة ، فلقب بذلك (١٥٤) .

الكفعمي : شاعر من القرن التاسع الهجري . اسمه تقي الدين إبراهيم بن علي بن الحسن الحارثي العاملي . لقب بذلك نسبة الى قرية (كفر عينا) بجبل عامل (١٥٥) .

كلب العجم : شاعر من القرن التاسع الهجري . اسمه أبو الفضل عبدالرحمن بن حسن بن حمزة الحلبي . لقب بذلك في القاهرة لأنه كانت له معرفة بالتركية والعجمية وظم بهما مع العربية ، ولأنه تقرب من الدويدار الكبير تقريباً زائداً وكتب له (١٥٦) .

الكيّا : شاعر من القرن السادس الهجري . اسمه أبو الحسن علي بن محمد بن علي الهراسي . وفي اللغة العجمية هو الكبير القدر ، المقدم في الناس . وكان كذلك ، فلقب به (١٥٧) .

اللبّان : شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه أبو الثناء محمود بن أبي منصور بن أبي طاهر بن الحسن بن أسد الموصلي . لقب بذلك لأنه كان له دكان بالموصل يبيع بها اللبن وما يعمل منه ، ومعه ، فاشتهر بهذا اللقب (١٥٨) .

ماميّا : شاعر شامي من القرن العاشر الهجري . اسمه محمد بن أحمد بن عبدالله . لقب بذلك بلغة الروم ، لأنه كان رومي الأصل (١٥٩) .

(١٥٤) فوات الوفيات ٢/ ١٩٠ ، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢١٥ .

(١٥٥) روضات الجنات ١/ ٧ ، وإعيان الشيعة ٥/ ٣٣٦ .

(١٥٦) الضوء اللامع ٤/ ٧٢ .

(١٥٧) وفيات الأعيان ٣/ ٢٨٦ ، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ٣٤٧ .

(١٥٨) تاريخ أربل ١/ ١٢٦ .

(١٥٩) الكواكب السائرة ٣/ ٨٣ ، وشذرات الذهب ٨/ ٤١٣ .

المُتبولي : شاعر من القرن التاسع الهجري • اسمه أبو الفتح أحمد بن موسى بن أحمد بن عبدالرحمن القاهري الحسيني • عرف بذلك نسبة إلى شيخه البرهان المتبولي الذي صحبه ، فعُرِفَ به (١٦٠) •

المرّجم : شاعر من القرن الثامن الهجري • اسمه شهاب الدين أحمد بن عبدالله بن داوود البغدادي • لقب بذلك لبراغته في حل المترجم (١٦١) •

المتيمّ : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه عبدالله بن خضر بن عبدالرحمن الحريري • لقب بذلك لأنه أكثر من الحب والغزل (١٦٢) •

المجلّد : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه أبو عبدالله محمد بن سليمان بن كمشتكين الموصلي • كانت صنعتُه في ابتداء أمره تجليد الكتب والدفاتر ، ثم تركها وصار يكتب القصص ، ويقول الشعر ، فلقب بذلك (١٦٣) •

المجنون : هو أبو عطاء سعيد ، أو سعدون البصري • كان من عقلاء المجانين وحكمائهم ، صام ستين سنة فخفّ دماغه ، فسّماه الناس مجنوناً ، عاش في القرن الثالث الهجري (١٦٤) •

المحيوي : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه علم الدين أيدير بن عبدالله • كان من الموالي ، اعتقه بمصر محيي الدين محمد بن ندى ، فنسب إليه (١٦٥) •

المخلوع النصري : شاعر أندلسي من القرن الثامن الهجري • اسمه أبو عبدالله محمد بن محمد بن محمد الفقيه بن نصر من بني الأحمر • كان ثالث ملوك الدولة النصرية ، فاتق أخوه مع أنصاره فقتلوا الوزير ، ودخل عليه بعض الفقهاء وهو مقعد في قصره • فأشبههم بخلع نفسه ، فلقب بذلك (١٦٦) •

(١٦٠) الضوء اللامع ٢/ ٢٢٨ •

(١٦١) الوافي بالوفيات ٧/ ١٤٠ • (١٦٢) م • ن ٣١/٧ •

(١٦٣) عقود الجمان ٧/ ق ٣٠ • (١٦٤) الوافي بالوفيات ١٥/ ١٩١ •

(١٦٥) فوات الوفيات ١/ ٧٦ ، مقدمة ديوانه المطبوع •

(١٦٦) الدرر الكامنة ٤/ ٢٣٤ ، واللمحة البدرية ٤٧ •

المذلق : شاعر جاهلي • اسمه أوس بن عبّاد بن عبد ودّ لقب بذلك لأن
سنانه كان لا يطعن به شيئاً الا أنفذه (١٦٧) •

المراوحي : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه محمد بن سليمان بن
فرج بن المنير الكندي • كان يضيق رزقه فيعمل المراوح بيده ، ويأكل من
ثمناها ، فلقب بالمراوحي (١٦٨) •

مريزق الغواني : شاعر اسلامي مثلّ • اسمه مريزق بن صالح اللبيني
القشيري • لقب بذلك لأنه كان يردّد اسم محبوبته (سَعْدَى) في أكثر
شعره (١٦٩) •

ابن المُسَجِّف : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه بدرالدين
عبدالرحمن بن أبي القاسم الكنانى العسقلاني • لقب بذلك لأن أباه كانت
صنعتة تسجيف الفراء (١٧٠) •

المُسْتَبْدَى : شاعر من القرن التاسع الهجري • اسمه أبو بكر بن علي
ابن عبدالله البرمكي الإربليّ • لقب بذلك لأنه ولد بالقرب من مشهد
الحسين بالقاهرة (١٧١) •

المُعِيد : شاعر من القرن التاسع الهجري • اسمه محمد بن محمود
الخوارزمي المكي • لقب بذلك لأنه كان معيداً بدرس يَلْبَغَا السالمي الظاهري
الحنفي بمكة المكرمة (١٧٢) •

(١٦٧) المذكرة في القاب الشعراء ٤٣ •

(١٦٨) الوافي بالوفيات ٣/ ١٣٨ •

(١٦٩) التعليقات والنوادر / ورقة ٣٧ •

(١٧٠) فوات الوفيات ٢٥٧/١ •

(١٧١) الضوء اللامع ٥٢/١١ •

(١٧٢) الضوء اللامع ٤٥/١٠ •

المفضل : شاعر جاهلي • اسمه عامر بن معشر بن أسحم بن عدي بن شيان • لقب بقوله في قصيدته المنصفة :

فأبكيها نساءهم ، وأبكوا نساء مايسوغ لهن ريق^(١٧٣)

الملحن : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه أبو عبدالله محمد بن عثمان بن محمد النقبواني • كان حاذقاً في صنعة الغناء والألحان ، فلقب بذلك^(١٧٤) .

المالك المكين : شاعر من القرن الخامس الهجري • اسمه أبو فاتك جياش بن نجاح الحبشي • لقب بذلك لشجاعته ودهائه • ملك تهامة اليمن طوال حياته إلى أن توفي^(١٧٥) .

المنجم : شاعر تونسي من القرن الخامس الهجري • اسمه محمد بن يوسف ، غلب عليه التنجيم كآبيه ، فلقب بذلك^(١٧٦) .

المنجم : شاعر من القرن السادس الهجري • اسمه أبو الفضل موفق الدين محمد بن محمد بن الحسن • لقب بذلك لأنه كان رأساً في صناعة النجامة في العراق^(١٧٧) .

المنهائي : شاعر مصري من القرن التاسع الهجري • اسمه عبدالرحمن بن سليمان بن داود القاهري • لقب بذلك لأنه ولد بمناهل من الغريبة ، فلقب بذلك^(١٧٨) .

(١٧٣) المذاكرة في القاب الشعراء ٢٦ .

(١٧٤) عقود الجمان ٧ / الورقة ٤٦ .

(١٧٥) بلوغ المرام في شرح مسك الختام ١٦ .

(١٧٦) ١ نموذج الزمان ٣٢٧ .

(١٧٧) الوافي بالوفيات ١/ ١٢٥ .

(١٧٨) الضوء اللامع ٨٠/٤ .

المواهيبي : شاعر تونسي من القرن العاشر الهجري . اسمه أبو الطيب
ابراهيم بن محمود بن أحمد ، أخذ التصوف عن الشيخ محمد أبي المواهب
التونسي ، فنسب إليه (١٧٩) .

الموصلي : شاعر من القرن الثالث الهجري . اسمه أبو محمد اسحق بن
ابراهيم المغني . لم يكن من الموصل ، ولكنه سافر الى الموصل في طلب الغناء ،
فلما رجع بعد سنة قال لإخوانه من الفتيان : مرحباً بالفتى الموصلي ، فلجّت
عليه (١٨٠) .

المياهي : شاعر من القرن العاشر الهجري . اسمه زين الدين عبد الكريم
ابن عبداللطيف بن علي القادري . كان يتسبب ببيع المياه المستخرجة ،
فلقب بذلك (١٨١) .

المهذب : شاعر من القرن السادس الهجري . اسمه أبو الفرج عبدالله
بن أسعد بن علي بن الدهان الموصلي . كان أديباً فاضلاً ، ونحويّاً ، وشاعراً ،
وعالماً بفنون كثيرة ، لكن غلب عليه الشعر . ولعلمه الغزير بهذه الفنون الكثيرة
لقب بالمهذب (١٨٢) .

نجم الكتاب : شاعر من القرن السابع الهجري . اسمه أبو بكر محمد
ابن عبدالوهاب القرشي . لقب بذلك لأنه كان من أمثال أهل دمشق في الفضل
والكتابة ، يتعاطى مذهب الحريري صاحب المقامات في كتاباته وأقواله (١٨٣) .

النحلّ : شاعر من القرن التاسع الهجري . اسمه إبراهيم بن خلف بن
تاج الدين البليسي . كان يشتغل بتربية النحل والتجارة في ما يخرج الله منها ،
فلقب بذلك (١٨٤) .

(١٧٩) النور السافر ٤٩ . (١٨٠) نور القبس ٣١٦ .

(١٨١) الكواكب السائرة ١٧٨/٢ .

(١٨٢) طبقات الشافعية لاسنوي ٤٤٠/٢ وانظر مقدمة ديوانه بتحقيق
د . عبدالله الجبوري .

(١٨٣) عقود الجمان ٧/ الورقة ١٥٨ . (١٨٤) الضوء اللامع ٤٧/١ .

النشائي : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه أبو المجد أسعد بن إبراهيم بن الحسين الإربلي • كانت صناعته في ابتداء عمره عمل النشاب ، فلذلك لا يُعرف إلا به (١٨٥) •

النعماني : شاعر من القرن التاسع الهجري • اسمه برهان الدين إبراهيم ابن علي بن أحمد بن بركة • عرف بذلك نسبة الى شيخ كان يُعرف بابن نعمان (١٨٦) •

النقّاش : شاعر من القرن السابع الهجري • اسمه أبو علي أحمد بن بوران الدهّان • لقب بالنقّاش لأنه كان من الأذكياء في صناعة التزويق والنقش ، وتصوير الكتب وتذهيبها (١٨٧) •

نقيش : شاعر من القرن التاسع الهجري • اسمه علي بن اسماعيل بن حسن الحلبي الشافعي • لقب بذلك لطلوع جُدري في وجهه ، بقي أثره فيه (١٨٨) •

النهروالي : شاعر من القرن العاشر الهجري • اسمه قطب الدين محمد بن أحمد بن محمد الحنفي • لقب بذلك نسبة الى قرية (النهرواله) في (الهند) لا الى (النهروان) المعروف (١٨٩) •

النواجي : شاعر من القرن التاسع الهجري • اسمه شمس الدين محمد بن حسن بن علي بن عثمان • لقب بذلك نسبة الى (نواج) من غريبة مصر (١٩٠) •

(١٨٥) عقود الجمان ١ / الورقة ٢٦١ •

(١٨٦) الضوء اللامع ٧٨ / ١ •

(١٨٧) عقود الجمان ١ / ورقة ٢١١ •

(١٨٨) الضوء اللامع ١٩٣ / ٥ •

(١٨٩) البدر الطالع ٥٧ / ٢ ، والاعلام باعلام بيت الله الحرام ١٦ •

(١٩٠) الضوء اللامع ٢٢٩ / ٧ ، والبدر الطالع ١٥٦ / ٢ •

الهادي : شاعر من القرن العاشر الهجري • اسمه أبو عبدالله محمد بن علي بن محمد السوداني اليماني • لقب بذلك لأنه كان متصوفاً يهدي إلى طريقته (١٩١) •

الهادي إلى الحق : شاعر من القرن التاسع الهجري • اسمه عز الدين بن الحسن بن علي المؤيد • برع في علوم الدين ودعا إلى نفسه بالإمامة ، وتلقب بالهادي إلى الحق (١٩٢) •

الهيتمي : شاعر من القرن العاشر الهجري • اسمه شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر السعدي الأنصاري • لقب بذلك نسبة إلى (محلة أبي الهيتم) من إقليم الغربية بمصر (١٩٣) •

الوصابي : شاعر من القرن الثامن الهجري • اسمه أحمد بن عبدالرحمن ابن عمر • لقب بذلك نسبة إلى وصاب كحذام ، وهو جبل مجاذٍ ليزبيد (١٩٤) •

الوفائي : شاعر من القرن التاسع الهجري • اسمه أبو البقاء أبو بكر بن عبدالله بن محمد البدري المصري • يقال انه لقب باسم أحد مؤلفاته ، وهو (شروط الوفاء في أبناء أبناء الخلفاء) (١٩٥) •

ابن الوكيل : شاعر من القرن الثامن الهجري • اسمه ابو عبدالله صدر الدين محمد بن عمر بن مكّي • عرف بذلك لأن أباه كان وكيل بيت المال (١٩٦) •



-
- (١٩١) النور السافر ١٥٥ • (١٩٢) البدر الطالع ٤١٥/١ •
(١٩٣) النور السافر ٢٥٨ •
(١٩٤) العقود اللؤلؤية ١٣٩٨/٢ ، وهدية العارفين ١١٢/١ •
(١٩٥) الضوء اللامع ٤١/١١ •
(١٩٦) فوات الوفيات ٢٥٣/٢ ، ومطالع البدور ١٦٤/١ •

مصادر البحث

- ازهار الرياض - المقري . القاهرة ١٣٦١ .
- الاستقصا لأخبار المغرب الاقصى - السلاوي . الدار البيضاء ١٩٥٤ .
- أسماء خيل العرب و فرسانها - ابن الاعرابي . عالم الكتب بيروت ١٩٨٧ .
- الاشتقاق - ابن دريد . القاهرة ١٩٥٨ .
- الاعلام باعلام بلد الله الحرام - النهروالي - القاهرة ١٣٠٥ .
- الاعلام بمن حل مراکش والأغمت من الاعلام - المراكشي المغرب . فاس ١٩٣٦ .
- اعيان الشيعة - العاملي . بيروت ١٩٦٠ .
- الاقتضاب - البطليوسي . بيروت ١٩٠١ .
- الانس الجليل بتاريخ القدس والخيـل - العليمي . النجف ١٩٦٨ .
- انموذج الزمان في شعراء القيروان . القيرواني تحقيق المطوي والبكوش . دار الغرب الاسلامي .
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع - الشوكاني . مط السعادة القاهرة .
- البرصان والعرجان - الجاحظ . تحقيق عبدالسلام هارون . بغداد .
- بغية الطلب في تاريخ حلب - ابن العديم . دمشق ١٩٨٨ .
- بلوغ المرام في شرح مسك الختام - العرشي . مصر ١٩٣٩ .
- تاريخ أربل - ابن المستوفي تحقيق الصفار . بغداد ١٩٨٠ .
- تاريخ الشعراء الحضرميين - السقاف . مصر ١٣٥٣ هـ .
- تاريخ المن بالامامة على المضعفين - ابن صاحب الصلاة . بغداد ١٩٧٩ .
- تلخيص مجمع الاداب في معجم الألقاب - ابن الفوطي . بتحقيق د . مصطفى جواد . دمشق
- الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة . المسقلاني . تحقيق جادالحق . القاهرة .
- ذيل الروضتين - المقدسي . القاهرة ١٣٦٦ .
- روضات الجنات - الخوانساري . طبعة حجرية ١٣٤٧ .
- سلافة العصر في محاسن الشعراء بكتل مصر - ابن معصوم . القاهرة ١٣٢٤ .
- سمط اللاليء - البكري . القاهرة ١٩٣٦ .
- شذرات الذهب في اخبار من ذهب - ابن العماد الحنبلي . القاهرة ١٣٥٠ .
- شرح ديوان الخنساء - ثعلب تحقيق د . توفيق . عمان ١٩٨٨ .
- شرح الحماسة - التبريزي . القاهرة . حجازي .

- الشعر والشعراء — ابن قتيبة . بيروت ١٩٦٤ .
- صبح الأعشى في صناعة الانشا — القلقشندي . القاهرة ١٩٦٣ .
- الضوء اللامع لاهل القرن التاسع . السخاوي القاهرة ١٣٥٣ .
- الطالع السعيد الجامع لاسماء الفضلاء والرواة باعلى الصعيد — الادفوي مصر ١٩١٤ .
- طبقات الشافعية — الاسنوي تحقيق د . عبدالله الجبوري . بغداد .
- عقود الجمان في شعراء الزمان — ابن الشعار . مخطوطة مصورة عن معهد المخطوطات والجزء الثالث طبع في الموصل ١٩٩٣ .
- عيون التواريخ — ابن شاکر الکتبی تحقيق نبيلة عبد المنعم . بغداد .
- فوات الوفيات — ابن شاکر الکتبی . القاهرة ١٩٥٣ .
- الکنی والالقب — القمي . النجف ١٣٦٧ .
- الکواکب الدرية في تراجم السادة الصوفية — المناوي القاهرة ١٩٩٨ .
- الکواکب السائرة في اعيان المائة العاشرة . الفزي . بيروت .
- اللوحة البدرية في الدولة النصرية . ابن الخطيب . القاهرة ١٣٤٧ .
- المختصر من تاريخ البشر — ابو الفداء . القاهرة ١٣٢٥ .
- المذاكرة في القاب الشعراء . النشابي تحقيق العاشور . بغداد ١٩٨٨ .
- المستفاد من تاريخ بغداد — ابن النجار . بيروت ١٩٨٦ .
- مطالع البدور في منازل السرور — الفوزلي . القاهرة ١٣٠٠ .
- معاهد التنصيص — العباسي . القاهرة ١٣٦٧ .
- المعجب في تلخيص اخبار المغرب — المراكشي . القاهرة ١٩٤٩ .
- معجم ما استعجم . البكري القاهرة ١٣٧١ .
- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء — المرزباني . القاهرة ١٣٤٣ .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة — ابن تفردي بردي . القاهرة ١٣٦١ .
- نفع الطيب — المقرئ . مصر . مط السعادة .
- النور السافر عن أخبار القرن العاشر — العيدروسي بغداد ١٩٣٤ .
- نور القبس المختصر من المقتبس — الیغموري . فيسبادان ١٩٦٤ .
- الوفيات — السلامي ، تحقيق د . بشار عواد وصالح مهدي . بيروت ١٩٨٢ .
- وفيات الاعيان — ابن خلکان مط النهضة القاهرة .
- يتيمة الدهر في محاسن شعراء العصر — الثعالبي . تحقيق محيي الدين عبد الحميد القاهرة ١٩٥٦ .



كتب عبد الله بن طاهر الى اخيه عبد العزيز يستدعيه اما ترى الم
 قد ردت هواشيه وقد دعانا الى اللذات داعيه وجا
 بالعطر حتى خلت اهل الثا^{لثة} فاما فكر مائه فاركب
 السوا ولا يصح فقلنا حتى نوفي ما كنا نوفده الم الم الرفا
 قم فانتصب على صروف الدهر والنوب واجمع بكاسك شمل
 اللهو والهراب اما ترى الغيم قد قامت عساكره في الشرق
 ننشر اعلاما من الذهب والنجو^ل خيال في عجب مسكة كائنا
 القلب فيها قلب ذي غيب جريت في ضلوة الاهواء
 مستهداه وكيف اقصر اليا^م في طلب نوح بكاسك
 قبل المباديات يركه فالكما^ن تاج يد الموقى من الادي^ب
 ابن الحجاج جنى من السقاء لوردة احسن الجواهر
 وعدي فقال وللهمزة في كاسها بكفة اركب مع الندى ان
 هنيئا لكرامنا شقى ومعنى نكهة على خدي ثم كابر اللطف
 واللطا ونسأل الله ان ينحننا من جمع الاهوال والخا^وف
 محير خلق الله من كل ساع وطائف وكبر الميزان الرب عفو^ة
 ومغفرة مصطفى^ا الى الكسرى وقع الرافع من نسخ^ة ليله
 السابع عشر من ربي^ع القدر سنة اربع وخمسين و^{الف}

نموذج الورقة الاخيرة من المخطوطة المعتمدة

لطائف الكتب ومحاسنها

صنفه

ابو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي

المتوفى سنة ٤٢٩ هـ

حقيقه

هلال ناجي

المقدمة

بين يدي المخطوط

لا أحد ممن ترجم للثعالبي قديماً نسبَ له كتاباً باسم « لطائف الكتب ومحاسنها » ، كذلك الدارسون المعاصرون لم ينسبوا له كتاباً بهذا العنوان ، وحتى القائمة التي صدرتُ بها كتاب « الأنيس في غرر التجنيس » (١) واحصيت فيها تصانيف الثعالبي المطبوعة والمخطوطة والمفقودة - وهي أوسع القوائم التي أحصت تأليفه على الإطلاق - ، خلت من ذكر هذا الكتاب .

وحين هذَّبْتُ هذه القائمة في مقدمة نشرتنا لكتاب الثعالبي « التوفيق للتلفيق » (٢) ، فإنه لم يرد في هذا التهذيب شيء عن مخطوطتنا هذه .

لقد كان الظفر بهذه المخطوطة وليد صدفة ، فحين كنت أعدّ نشرة علمية لكتاب الثعالبي « لطائف الظرفاء من طبقات الفضلاء » ، الذي اضطرب

(١) نشر هذا الكتاب بتحقيقنا في الجزء الاول من المجلد ٣٣ من مجلة المجمع العلمي العراقي - كانون الثاني ١٩٨٢ .

(٢) نشر هذا الكتاب بتحقيق هلال ناجي وزهير زاهد - مطبوعات المجمع العلمي العراقي - بغداد ١٩٨٥ - انظر صفحة ص ٣٥ من الكتاب المذكور .

عنوانه واختلاف في مخطوطاته المتناثرة عبر دور الكتب في العالم ، بعد أن أجمع المختصون على أن نشرة د . قاسم السامرائي لهذا الكتاب بطريقة تصوير مخطوطة لا يبدن لاتعد تحقيقاً علمياً للكتاب ، مادامت قد أغفلت بقية مخطوطاته (٣) .

كما ان نشرة د. عمر الاسعد للكتاب ذاته بعنوان « لطائف اللطف » هي الاخرى غير علمية لاعتماده مخطوطة واحدة هي مخطوطة جامعة برنستون ، مؤكداً في مقدمته انه لم يعثر على نسخة ثانية لهذه المخطوطة في ما اطلع عليه من مؤلفات الثعالب المخطوطة والمطبوعة (٤) ! . وهو كلام مخالف للواقع إذ توجد من الكتاب - على حد علمي ومصوراتها في خزانتي - ست نسخ اخرى مخطوطة لم يتف عليها د. عمر الاسعد . وهكذا بات ضرورياً نشر هذا الكتاب نشرة علمية تعتمد جميع نسخ الكتاب ومعارضتها ببعضها واثبات اختلافاتها وتنقيتها من التصحيف والتحريف توصلنا الى النص الكامل السليم .

في نشرتي السامرائي والاسعد اورد الثعالب في مقدمته ثبثاً بابواب الكتاب ذاكرًا ان عدة ابواب كتابه اثنا عشر باباً هي : الباب الاول : في لطائف الصحابة والتابعين . الباب الثاني : في لطائف الملوك المتقدمين . الباب الثالث : في لطائف ملوك الاسلام وامرائه . الباب الرابع : في لطائف الوزراء والكبراء .

(٣) صدرت نشرة السامرائي سنة ١٩٧٨ عن مؤسسة بريل في لندن . وعنوان المخطوطة في الاصل « كتاب لطائف الصحابة والتابعين وفيه أحاسن كلام النبي - صلى الله عليه وسلم - والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية وملوك الاسلام والوزراء والكتاب والبلغاء والحكماء والعلماء » واختار ناشرها عنواناً مقتبساً من مقدمة الكتاب وكان موفقاً في ذلك .

(٤) لطائف اللطف ص ١٠ .

الخامس : في لطائف البلغاء والادباء . السادس : في لطائف القضاة والعلماء .
السابع : في لطائف الاطباء والفلاسفة . الثامن : في لطائف الجواري والنساء
الحسان . التاسع : في لطائف المغنين والمطربين . العاشر : في لطائف الظرفاء
من كل طبقة وفن . الحادي عشر : في لطائف الشعراء نثرا . الثاني عشر : في
لطائف الشعراء نظما .

غير اني وأنا امضي صعداً في تحقيق النص بدراسة كافة مخطوطاته فوجئت
بباب أقحم ضمن أبواب مخطوطة (جسترتي) عنوانه : في لطائف
الكتب ومحاسنها . وبه اصبحت عدة ابواب هذه المخطوطة ١٣ بابا . وإقحام
هذا الباب يبدو واضحاً إذ لا ذكر له في مقدمة المخطوطة عند تعداد الابواب ،
كما يضيف باباً جديداً لا وجود له في كل مخطوطات الكتاب المتناثرة في
باريس وبرمنغهام ودمشق وليدن وبرنستون والاتحاد السوفيتي . ومخطوطة جسترتي
ذاتها قد حددت ابواب الكتاب باثني عشر بابا ذكرت في مقدمتها تفصيلاً وليس
من بينها هذا الباب المقحم . وثبتها مطابق لابواب الكتاب في بقية مخطوطاته .

بات من الثابت عندنا ان هذا الباب قد اقحم على كتاب الثعالبي إقحاماً
يدل على ذلك امران : ١- ان كافة مخطوطاته - عدا مخطوطة جسترتي - قد
خلت من هذا الباب . ٢- ان مقدمة مخطوطة جسترتي ذاتها تخلو من ذكره
عند تعدادها ابواب الكتاب .

واذا كان أمر إقحام هذا الباب على الكتاب قد بات مؤكداً لدينا بالدليل
المادي العلمي ، فقد ثار أمر له خطورته وهو : كيف نتوصل الى مصنف هذا
الباب على وجه القطع واليقين ، لا على وجه التخمين

ان دراسة هذا الباب من الداخل تؤكد امرين اثنين : اولهما : ان اسلوبه
يمثل اسلوب الثعالبي في مصنفاته الاخرى . وثانيهما : انه ليس بين من نقل
عنه المصنف أو وردت اسمائهم في النص من هو متأخر تاريخاً عن الثعالبي .

كان الدليل العقلي يؤكد ان هذا الباب المقحم هو للثعالبي . لكن الامر
الضروري هو الظفر بالدلائل الثقلي الذي يعضد الدليل العقلي . والمراد بالدليل
الثقلي هو وجود نص من هذا المخطوط نسبة الثعالبي الى نفسه صراحة في كتاب
من كتبه . ومن اجل ذلك جلنا جولة واسعة عبر جميع المطبوع من تراث الثعالبي
بحسباً عن هذا الدليل . وكان من توفيق الله - جلّ وعلا - لمحقق هذا النص ، أن
ظافّرَ نصّ من المخطوط في كتاب « اللطائف والظرائف » الذي جمع فيه
الامام ابو نصر احمد بن عبدالرزاق المقدسي بين كتابين للثعالبي هما :
اللطائف والظرائف في الاضداد والبقايت في المواقيت . فعلى الصفحتين (٢٦-٢٧)
من الكتاب المذكور ورد النص التالي [وقال مؤلف الكتاب : حدثني صديق
لي قال : قرأت على شيخ كتاباً فيه مآثر غطفان إلى نهاية
أبيات ابن طباطبا العلوي] .

فهذا النص الذي نسبة الثعالبي الى نفسه صراحة في كتابه اللطائف والظرائف
موجود في مخطوطتنا حرفياً ، نسبة مؤلف المخطوطة الى نفسه . فالمؤلف واحد في الكتابين .
وهكذا تظاهر الدليلان العقلي والثقلي على تأكيد نسبة هذه الرسالة الى الثعالبي .
من صنف في هذا الباب : ربما كان الجاحظ اسبق المصنفين الى التأليف
في هذا الموضوع ، فله رسالة معروفة في « مدح الكتب والحث على جمعها »
نشرها صديقنا د . ابراهيم السامرائي (١) .

ولابن طباطبا كتاب في تقريظ الدفاتر (٢) - والدفاتر هي الكتب - وهذا
الكتاب مفقود ، لكننا نعتقد ان المقطعات ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٥ في مجموع شعره (٣)
وكلها في مدح الكتب ، هي من بقايا هذا الكتاب .

(١) مجلة المجمع العلمي العراقي - المجلد الثامن ١٩٦١ - ص ٣٣١ - ٣٣٤ .

(٢) ارشاد الاديب ٦/ ٢٨٥ .

(٣) شعر ابن طباطبا بتحقيق جابر الخاقاني - بغداد ١٩٧٥ .

وعلى الرغم من اسبقية الجاحظ ، فان رسالة الثعالبي هذه - رغم اقتباسها
فقراً مهمة من رسالة الجاحظ - تمتاز باضافات كثيرة جديدة خلت منها رسالة
الجاحظ . وقد حاولت تخريج نصوصها جهد طاقتي .

لن اترجم للثعالبي - مصنف هذه الرسالة - إذ سبق أن وقَّيْتَهُ حقّه في
مَقْدَمَتَيّ كتابيه « الانيس في غرر التجنيس » و « التوفيق للتلفيق » .
لكن من امانة العلم أن أضيف هنا كتباً للثعالبي صدرت بعد الكتابين المذكورين ،
فلم اذكرها في قائمتي المحصية لآثاره ولا في ذيلها ، المشار اليهما في صدر هذه
المقدمة . وبعض هذه المصنفات نشر اول مرة ، وبعضها كان منشوراً نشره
غير علمية ، فحقق ونشر نشرة علمية . وهي :

- ١- اللطف واللطائف ، نشر بتحقيق د . محمود الجادر في الكويت .
 - ٢- لباب الآداب ، نشر بتحقيق د . قحطان التميمي في بغداد .
 - ٣- البواقيت في المواقيت ، نشر بتحقيق محمد جاسم الحديثي في بغداد .
 - ٤- آداب الملوك ، نشر بتحقيق جليل ابراهيم في بيروت .
 - ٥- ديوان الثعالبي ، نشر بتحقيق د . محمود الجادر في بغداد .
- والمخطوطة ضمن مجموع محفوظ في مكتبة جستر بتي في دبلن بارنادة .
تشغل منه الصفحات ٢٨٧-٢٩١ ناسخها مصطفى اليابكسرى (كذا) . وقع
القراغ منها ليلة الثلاثاء السابع عشر من ذي القعدة سنة اربع وخمسين وائف . وقد
اثبت الى جانب النص صورة آخر ورقة في المجموع وفيها اسم الناسخ وتاريخ
النسخ .

خاتمة : لأبي منصور الثعالبي في رقاب التراثين العرب ديّنان : دين حفظه
أدب القرن الرابع الهجري وشطراً من الخامس ، شعراً ونثراً ، بما صنّف
وألف ، حتى كانت تصانيفه تاريخاً ادبياً لهذه الفترة المهمة من تاريخنا .

وَدَيْنُ حُبِّهِ الْعَمِيقُ لَامْتِنَا الْعَرَبِيَّةُ وَالَّذِي عَبَّرَ عَنْهُ أَصْدَقُ تَعْيِيرٍ بِقَوْلِهِ :
« أَنْ مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ أَحَبَّ رَسُولَهُ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَنْ أَحَبَّ
النَّبِيَّ الْعَرَبِيَّ أَحَبَّ الْعَرَبَ ، وَمَنْ أَحَبَّ الْعَرَبَ أَحَبَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ الَّتِي بِهَا
نَزَلَ أَفْضَلُ الْكُتُبِ عَلَى أَفْضَلِ الْعِجَمِ وَالْعَرَبِ ، وَمَنْ أَحَبَّ الْعَرَبِيَّةَ عُنِيَ بِهَا وَثَابَرَ
عَلَيْهَا وَصَرَفَ هِمَّتَهُ إِلَيْهَا ، وَمَنْ هَدَاهُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ ، وَشَرَحَ صَدْرَهُ لِلْإِيمَانِ ،
وَأَتَاهُ حَسَنَ سِرِّيرَةٍ فِيهِ ، اعْتَقَدَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ الرُّسُلِ ،
وَالْإِسْلَامَ خَيْرَ الْمِلَلِ ، وَالْعَرَبَ خَيْرَ الْأُمَمِ ، وَالْعَرَبِيَّةَ خَيْرَ اللُّغَاتِ وَالْأَلْسِنَةِ ،
وَالْإِقْبَالَ عَلَى تَفْهَمِهَا مِنَ الدِّيَانَةِ . إِذْ هِيَ أَدَاءُ الْعِلْمِ ، وَمِفْتَاحُ التَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ
وَسَبَبُ إِصْلَاحِ الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ ثُمَّ هِيَ لِأَحْرَازِ الْفَضَائِلِ ، وَالِاحْتَوَاءِ عَلَى الْمَرْوَةِ
وَسَائِرِ أَنْوَاعِ الْمُنَاقِبِ ، كَالْيَنْبُوعِ لِلْمَاءِ وَالزُّنْدِ لِلنَّارِ (١) .. » .

وَلَعَلَّ مُوَاصِلَتَنَا أَحْيَاءَ آثَارِهِ الدَّفِينَةِ مِدَادٌ لِبَعْضِ الدِّينِ الَّذِي فِي رِقَابِنَا
« وَرَحِمَ اللَّهُ أَبَا مَنْصُورٍ الَّذِي صَنَّفَ فَاتَحِفَ ، وَكُتِبَ فَانْصِفْ »
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى تَوْفِيقِهِ أَنَّهُ نَعِمَ الْمَوْلَى وَنَعِمَ النَّصِيرُ

هلال ناجي

[النص]

[بسم الله الرحمن الرحيم]

في لطائف الكتب ومحاسنها وفوائد اقتنائها وما في ذلك من الفرائد والفوائد .

إعلم انه لاجار أبر ، ولاخليطاً أنصف ، ولاريفقاً أطوع ، ولا أقلّ جنابة ولا أقلّ إبراما ولا إملالا ، ولا أقلّ خلافاً واجراماً ، ولا أقلّ غيبة (١) ، ولا أكثر اعجوبة وتصرفاً ، ولا أقلّ صلفاً ولا تكلفاً ، ولا ازهد في جدال (٢) ، ولا أكف عن قتال من كتاب (٣) .

ولا اعلم قرصاً أحسن موانة ، ولا اعجل مكافأة ، ولا أحصى معونة (٢٨٧) ولا اخف مؤونة . (٤) ولا شجرة اطول عمراً ، ولا اجمع أمراً ، ولا اطيب ثمرة ولا اقرب مُجتنى ، ولا أسرع إذكاراً (٥) ، ولا اوجد في كلّ إبان من كتاب . ولا أعلمُ نتائجاً في حداثة سنّه ، وقُرب ميلاده ، ورُخص ثمنه ، وامكان موجوده (٦) . يجمع من (٧) التداير العجيبة ، والعلوم الغريبة ، ومن آثار

(١) النص للجاحظ في رسالته ص ٢٣٧ مع اختلاف كبير وفيها : « وَعَبَتْ الكتاب ولا اعلم جاراً أبرّ ، ولاخليطاً أنصف ، ولاريفقا اطوع ، ولا معلماً اخضع . ولاصاحباً اظهر كفاية ، ولا أقلّ جنابة ، ولا أعدم غيبة » .

(٢) عبارة « ولا ازهد في جدال » ساقط من رسالة الجاحظ .

(٣) النص في رسالة الجاحظ : « ولا أكف عن قتال وشغب ومراء من كتاب » .

(٤) النص ساقط من رسالة الجاحظ .

(٥) في رسالة الجاحظ : ادراكا .

(٦) في رسالة الجاحظ : وحضور ذهنه ، وإمكان وجوده .

(٧) عند الجاحظ : سقطت (من) .

العقول الصحيحة ، ومحمود الآداب (٨) اللطيفة ، ومن الحكم الرفيعة ،
 والمذاهب القويمة ، والتجارب الحكيمة ، (٩) ، ومن الإخبار عن القرون الماضية
 والبلاد المتراخية ، والأمثال السائرة ، والامم البائدة ما يجمع كتاب (١٠) .
 واعلم أن لولا الكتب المدونة ، والإخبار المجلدة ، والحكم المخطوطة ،
 التي تحصر الحساب وغير الحساب لَبَطُلَ أكثر العلم (١١) وَتَغَلَّبَ سلطانُ
 النسيان على سلطان الذكر . ولولا ما رَسَمَتْ لنا الأوائل في كُتُبِها ، وَخَلَّدَتْ
 من جميع حكمتها ، ودَوَّنَتْ من أنواع سِيرِها ، حتى شاهدنا بها ما غاب عنا ،
 وفتحنا به كل مُسْتَفْلِقٍ علينا ، فجمعنا الى قليلنا كثيرهم ، وأدر كنسا ما لم ندركه
 إلاّ بهم ، لقد خَسَّ حَظُّنا (١٢) من الحكمة ، وضعُفَتْ تجربتنا لما تدركه

(٨) عند الجاحظ : الاذهان .

(٩) عبارة (ومن الحكم الرفيعة ، والمذاهب القويمة والتجارب الحكيمة ساقطة
 عند الجاحظ : .

(١٠) الجاحظ : الكتاب .

(١١) النص في المحاسن والمساوي ص ١٠ كالأتي : ولولا الكتب التي تجمع
 الحساب وسقطت منه عبارة (وتغلب سلطان النسيان على سلطان الذكر) .
 والنص في المحاسن والاضداد ص ٥ وروايته : ولولا الحكم المحفوظة
 والكتب المدونة ، لبطل أكثر العلم ، ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر .

(١٢) النص في المحاسن والاضداد ص ٥ وروايته : من عجيب حكمتها ...
 وسقطت كلمة (علينا) بعد لفظة (مستغلق) لقد بخس حظنا منه .
 والنص ايضا في المحاسن والمساوي ص ٨-٩ وروايته : من عجيب
 حكمتها من غاب كل منغلق في قليلنا ... لقد بخس حظنا منه .

حواسنا ، وتشاهده نفوسنا لقلة المعرفة ، وقصُرت الهمة ، وانقضت المنة ، وعاد الرأي عقيماً ، و (٥) فاسدا وتبلد العقل (١٣) .

واكثر من كتبهم نفعاً ، وأشرف منها خطراً ، وأحسن موقفاً ، كتبُ الله تعالى التي فيها الهدى والرحمة ، والإخبار عن كلِّ عبرة ، وتعريف كلِّ سيئة وحسنة .

وما زالت كتب الله - تعالى - في الألواح ، والصحف ، والمهارق والمصاحف (١٤) . ومما يدلُّ على نفع الكتاب أنَّ لولا الكتاب لم يجز أن يعلم أهل الرقة والموصل وبغداد وواسط ما كان بالبصرة ، (٢٨٨ آ) وحدث بالكوفة غدوة فيعلمها أهل البصرة قبل المساء ، وذلك مشهور في الحمام الهدى إذا جعلت بردا (١٥) .

قال الله تعالى - عز وجل - وذكر سليمان ومُلكه الذي لم يوت أحداً مثله ، فقال : (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ : مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ) (١٦) ،

(٥) في الموضع كلمة غير مقروءة .

(١٣) النص من كلمة (الحكمة) وحتى كلمة (العقل) ساقط من رسالة الجاحظ ولا وجود له في المحاسن والمساوي ولا في المحاسن والاضداد .

(١٤) النص في المحاسن والمساوي ص ٩ وروايته : ... وأشرف منها خطراً ، ... عز وجل ... جلّ وعلا ... والمصاحف . (وسقطت كلمة المهارق ..) .

(١٥) النص في المحاسن والمساوي ص ١٠ وروايته : ... ولولا الكتاب لم يكن يعلم ... بالكوفة في بياض يوم حتى تكون الحادثة بالكوفة في الحمام إذا أرسلت .

(١٦) الآية ٢٠ سورة النمل - مكية رقم السورة ٢٧ .

الى قوله (أَوْ لَا ذَبْحَتَهُ أَوْ لَيَا تَيِّنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) (١٧) فلم يلبث أن قال الهدهد : (وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ) (١٨) . (اني وجدتُ امرأةً تملكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) (١٩) فقال سليمان عليه السلام (اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَاَنْقِهِ الْبِهِم) (٢٠) وقد كان عنده من يُبَلِّغُ الرسالة على تمامها من عفريت ، ومن بعض من عنده علمٌ من الكُتَّاب ، فرأى ان الكتاب أبهى ، وأنبل ، وأكرم ، وأفخم من الرسالة عن ظهر لسان (٢١) ، وإن أحاط بجميع ما في الكتاب ، وقالت ملكة سبأ (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ الْكِتَابَ الْكَرِيمَ) (٢٢) فهذا مما يدل على قدر اختيار الكتب .

وقد يُريدُ بعضُ الجِلَّةِ الكبار ، وبعضُ الادباء والحكماء ، أن يدعو بعضَ من يجري مجراه في سلطان ، أو أدب ، الى مَأْدِبَةٍ أو نَدَامٍ ، أو خروج الى مُتَنَزَّهَةٍ ، أو بعض ما يشبه ذلك ، فلو شاء أن يُبَلِّغَهُ الرسولُ إرادته ومعناه ، لأصابَ من يحسن الأداء ، ويصدق في الابلاغ ، فيرى ان الكتاب في ذلك أسرى وأنبَه .

(١٧) الآية رقم ٢١ سورة النمل رقم ٢٧ .

(١٨) الآية رقم ٢٢ سورة النمل رقم ٢٧ .

(١٩) الآية رقم ٢٣ سورة النمل رقم ٢٧ .

(٢٠) الآية رقم ٢٨ سورة النمل رقم ٢٧ .

(٢١) النص في المحاسن والمساوي ص ٩ وروايته : وفي قول سليمان من

عفريت وإنسي وغيرهما فرأى الكتاب أبهى وأحسن وأكرم

وأفخم وأنبل من الرسالة . وسقطت في المحاسن والمساوي عبارة (ومن

بعض من عنده علمٌ من الكُتَّاب) .

(٢٢) الآية رقم ٢٩ سورة النمل رقم ٢٧ .

ولو شاء النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أن لا يكتب الكُتُبَ لكسرى
 وقبصر والنجاشي والمقوقس وإلى بني الجُلندى وإلى العباهلة من حمير
 وإلى هُوذة بن علي وإلى الملوك العظماء ، والسادة النجباء (٢٨٨ ب) لَفَعَلَ ،
 وَلَوَجَدَ الْمُتَابِعَ المعصومَ من الخطأ والتبديل ، ولكنه - عليه الصلاة والسلام -
 علم أن الكتاب أشبه بتلك الحال ، وألقى بتلك المراتب ، وأبلغ في تعظيم ما
 حواه الكتاب (٢٣) .

ولو شاء الله أن يجعل البشارات على الألسنة بالمرسلين ولم يُودعها
 الكتب [لَفَعَلَ] (٢٤) ولكنه تعالى علم أن ذلك أتم ، واكمل ، وأجمع ،
 وأنبأ (٢٥) . وقد يكتب بعض من له مرتبة في سلطان أو ديانة إلى بعض من
 يشاكله أو يجري مجراه فلا يرضى بالكتاب حتى يحزمه ويختمه ، وربما لم
 يَرْضَ بذلك حتى يُعَنُونَهُ ويعظمونه . قال الله عز وجل (أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بما
 فِي صُحُفِ مُوسَى وإبراهيم السذي وفي) (٢٦) وقال تعالى (أَلَمْ . ذلك

(٢٣) النص في المحاسن والمساوى ص ٩ وروايته : ... أن لا يكتب إلى قبصر
 وكسرى ... وإلى هُوذة والملوك ... من الخطأ والزَّلَال ، والتبديل ، لكنه
 عليه السلام ... بتلك الحالة .

(٢٤) افظة (لَفَعَلَ) ساقطة في الاصل المخطوط . فاستضفناها من المحاسن
 والمساوى .

(٢٥) في المحاسن والمساوى ص ١٠ وروايته : ولكنه تبارك وتعالى علم أن ذلك
 أتم وأبلغ وأكمل واجمع .

(٢٦) الآية رقم ٣٦ مكية سورة النجم رقم ٥٣

الكتابُ) (٢٧). وقال تعالى (ما فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) (٢٨) وقال
تعالى لَنَبِيٍّ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ (اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ
بِالْقَلَمِ) (٢٩) فَوَصَّفَ نَفْسَهُ بِأَن عَلَّمَ بِالْقَلَمِ .

الجاحظ . ، كان يقول : الكتابُ هو الجليسُ الذي لا يُطْرِكُ ، والصديق
الذي لا يَغْوِيكَ (٣٠) ، والرفيق الذي لا يَمَلُكَ ، والمستمنح (٣١) الذي لا يَسْتَرِيدُكَ ،
والجبار الذي لا يَسْتَبْطِئُكَ ، والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك بالملق ،
ولا يعاملك بالمكر (٣٢) ، ولا يخدعك بالنفاق ، ولا يحتال لك بالكذب (٣٣) .
وقال : الكتابُ (٣٤) إِنْ نَظَرْتَ فِيهِ أَطَالَ إِمْنَانُكَ ، وَشَحَدَ طَبَاعُكَ ،
وَبَسَطَ لِسَانُكَ ، وَجَوَّدَ بَيَانُكَ ، وَفَخَّمِ الْفَافُظُكَ ، وَبَجَعَ نَفْسُكَ ، وَعَمَرَ
صَدْرُكَ ، وَمَنَحَكَ تَعْظِيمَ الْعَوَامِ ، وَصَدَاقَةَ الْمُلُوكِ ، وَعَرَفَتْ بِهِ فِي شَهْرٍ ، مَا لَمْ
تَعْرِفْهُ (٣٥) مِنْ أَفْوَاهِ الرِّجَالِ فِي دَهْرٍ . مع السلامة [من] الغرم (٣٦) ، وكَدُّ
التعب . (٣٧)

(٢٧) الآيتان ١ ، ٢ من سورة البقرة — مدنية رقم السورة ٢ .

(٢٨) الآية رقم ٣٨ سورة الانعام مكية رقم ٦ .

(٢٩) الآيتان ٣ — ٤ سورة العلق مكية رقم ٩٦ .

(٣٠) في رسالة الجاحظ : يغريك .

(٣١) في رسالة الجاحظ : والمستمنح .

(٣٢) في رسالة الجاحظ : بالمكر والخديعة

(٣٣) في رسالة الجاحظ : ولا يخدعك بالنفاق والكذب .

(٣٤) في رسالة الجاحظ : الكتابُ هو الذي إن .

(٣٥) في رسالة الجاحظ : ما لا .

(٣٦) الاصل المخطوط : سلامة الغرم : والتصويب عن رسالة الجاحظ .

(٣٧) في رسالة الجاحظ : الطلب .

المهلب لولده في وصيته : (٣٨) : يا بني لاتقف (٣٩) في الاسواق الا على زرّاد (٢٨٩ آ) أو ورّاق (٤٠) .

الحسن اللؤلؤي (٤١) ، قال : عشت (٤٢) أربعين عاماً ما قِلْتُ ، ولا بَيْتُ ، ولا انكأْتُ ، الا والكتاب موضوع على صدري (٤٣) .
المأمون : لله دَرُّ الكتاب (٤٤) كيف يحوْكُ وشيَّ المملكة .
عبدالله بن المعتز : القلم يخدم الارادة ، ولا يَمَلُّ الاستزادة (٤٥) ، كانه يفتح باب البستان أو يُقبَلُ بساطَ سلطان .

(٣٨) في رسالة الجاحظ : قال المهلب لبنيه في وصيته .
(٣٩) في رسالة الجاحظ : لاتقوموا .
(٤٠) في رسالة الجاحظ : ورّاق أو زرّاد .
(٤١) في رسالة الجاحظ : وقال غيره . وهو في اللطائف والظرائف ص ٢٦ .
منسوب للحسن اللؤلؤي .
(٤٢) في رسالة الجاحظ : غَبِرْتُ . وفي اللطائف ص ٢٦ : عبرت .
(٤٣) في رسالة الجاحظ : على صدري أو في حجري .
(٤٤) النص في المحاسن والمساوي ص ١٤ وروايته ... دَرُّ القلم .
وفي الاصل المخطوط : يحرك وشي . والصواب : يحوْكُ وشي .
وورد كلام المأمون في كتاب « رسالة في علم الكتابة لابن حيان التوحيدي ص ٥٤ بالنص التالي » .

« ونظر المأمون الى مؤامرة بخط حسن فقال : « لله دَرُّ القلم كيف يحوْكُ وشيَّ المملكة ، ويطرُز اطراف الدولة ، ويُقيم اعلام الخلافة » .
(٤٥) العبارة دون عزو في المحاسن والمساوي ص ١٢ . وهي لابن المعتز في حكمة الاشراف ص ٧١ بالنسخة التالية : القلم يخدم الارادة ، ولا يمل الاستزادة ، يسكت قائما ، وينطق سائرا ، في ارض يياضها مظلّم ، وسوادها مبضء .

مؤلف الكتاب ، قال (٤٦) : قرأتُ على شيخ كتاباً فيه مآثر غَطَفَان :
فقال : ذهبت المكارم إلا من الدفاتر .

أبا نصر سهل بن المرزبان ، كان يقول : انفق الفضة على كتب الآداب ،
تنفق (٤٧) عليك ذَهَبَ الألباب :

ابو الحسن بن طباطبا العلوي كان يقول : الكتب حصون العقلاء اليها
يلجئون وبساتينهم بها يشترهون (٤٨) . وقال شعراً :

اجعل جليساك دفترأ في نشره

لِلْمَيْتِ مِنْ حَكَمِ الْعُلُومِ نَشُورُ

وكتابُ علم للأديب مؤانس

وَمُؤَدِّبٌ وَمُبَشِّرٌ وَنَذِيرُ

ومفيدُ آدابٍ ومؤنسٌ وحشة

واذا انفردت فصاحبٌ وصميرُ (٤٩)

المأمون: ينبغي لمن كتب كتاباً أن لا يكتبه إلا على أن الناس كلهم له اعداء ،
وكلهم عالم بالامور ، وكلهم متفرغ ، ثم لا يَرْضَى بذلك حتى يدع كتابه
يُغَبُّ (٥٠) ويُخْتَم ، ولا يثق بالرأي الفطير ، فأَن لا ابتداء الكتاب فتنةً وعجبا
فأذا سَكَنَتِ الطبيعةُ وهدأت الحركة ، وتراجعت الأخلاط ، وعادت النفس

(٤٦) النص منسوب للمؤلف في كتاب « اللطائف والظرائف » ص ٢٦ وروايته :
حدثني صديق لي قال قرأت

(٤٧) في اللطائف والظرائف ص ٢٦ : اتفاق اتفاق على كتب الآداب
يخلف

(٤٨) له في « اللطائف والظرائف » ص ٢٦

(٤٩) الايات لابن طباطبا العلوي في مجموع شعره صنعة جابر الخاقاني ص ٤٩

(٥٠) يُغَبُّ : يصير الى أواخره .

وافرة ، أعاد النظر فيه ، وتوقف عند فصوله ، توقف من يكون وزن طمعه (٥) .
في السلامة أنقص من وزن خوفه من العيب ، وتَقَهَّمُ معنى قول الشاعر :

إِنَّ الْحَدِيثَ تَغَرَّ الْقَوْمَ جِلْوَتُهُ
حتى يكون لهم عيٌ وإكثارُ (٢٨٩ ب)

العنبي : كتب كتاباً لبعض القدماء فقال : لولا طوله وكثرة ورقه لنسخته .
فقال له ابن الجهم (٥١) : لكنني ما رَغَبْنِي فيه الاّ الشيءُ [الذي] (٥٢)
زَهْدَكَ فيه ، وما قرأتُ كتاباً قطّ كبيراً فأُخْلاني [من فائدة] (٥٣) وما
أُحْصِي كم قرأتُ من صغار الكتب ، فخرجتُ منها كما دخلتُ .

ابراهيم بن السندي : وددتُ ان الزنادقة لم يكونوا حُرُصاً على المغالاة
بالورق النقيّ الابيض ، ولا على تَخْيِيرِ الحبر الأسود ، ولا على استجداء الخط ،
والإرغاب لمن يَخُطُّ ، فاني لم أرَ كورق كتبهم ورَقاً ، ولا كالخطوط التي
فيها خطأ ، واني غرمت مالا عظيماً مع حُبِّي للمال وبغضي للغرم ، لانّ
سخاء النفس بالانفاق على الكتب دليلٌ على تمام العقل ، وتعظيم العلم دليل على
شرف النفس ، وعلى السلامة من سكر الآفات (٥٥) .

(٥) في الاصل المخطوط : طمعه ، تحريف فصوبناها .

(٥١) ابن الجهم : هو علي بن الجهم انظر المحاسن والمساوي ص ١٤ .

(٥٢) زيادة اضفناها ليستقيم بها الكلام .

(٥٣) ما بين عضادتين استضفناه من المحاسن والمساوي ص ١٤ .

(٥٤) النص مع اختلاف في المحاسن والمساوي ص ١٤ .

(٥٥) النص في رسالة الجاحظ ص ٣٤١ مع اختلاف . ورواية الجاحظ :

[وتخير الحبر الاسود والخط الجيد ، فأنني لم أرَ كورق كتبهم ورقاً ،

ولا كخطوطهم خطأ لان سخاء النفس بالانفاق على الكتب دليل على

شرف النفس وعلى سلامتها من سكر الآفات] . فالنص عندنا أكمل وأصوب .

ديمقراط : ينبغي أن تعرف انه لا بُدَّ أن يكون لكل كتاب علم وَصَفَة
أحد من الحكماء ثمانية أوجه : منها الهمة ، والمنفعة ، والنسبة ، والصحة ، والصف
والثأيف ، والاسناد والتدبير . فأولها أن تكون لصاحبه همة ، وأن يكون فيما
وضع له منفعة ، وأن تكون له نسبة ينسب اليها ، وأن يكون صحيحا ، وأن
يكون على صنف من أصناف الكتب معروفا ، وأن يكون مؤثقا من اجزاء جميلة ،
وأن يكون مسندا الى وجه من وجوه الحكمة ، وأن يكون له تدبير موصوف .

ابن المعتز : كنت عند بعض العلماء ، فكنت اكتب عنده بعضا وأدع بعضا ،
فقال لي : اكتب كل ما تسمع فإن أحسن ما تسمع خير من مكانه ابيض (٥٦) .
الخليل بن أحمد : تكثرُوا من العلم ليعرف ، وتقللُوا منه ليحفظ .
موسى بن يحيى (٢٩٠ آ) قال : ما كان في خزانة كتب يحيى (٥٧) وفي
بيت مدارسه كتاب الاواه فيه ثلاث نسخ .

ابو عمرو بن العلاء : ما دخلت على رجل قط ، ولا مررت ببابه ، فرأيتُه
ينظر في دفتر ، وجليسه فارغ اليد ، الا اعتقدت انه أعقل منه وأفضل (٥٨) .
الاخفش : قيل له أنت أعلم الناس بالنحو ، فلم لا تجعل كتبك كلها
مفهومة ؟ وما لنا لا نفهم أكثرها ؟ وما لك تقدم بعض العويص وتؤخر بعض
المفهوم ؟ قال : أنا رجل لم أضع كتبى هذه لله ، وليس هي من كتب الدين ،
ولو وضعتها هذا الوضع المفهوم فلن تدعوهم حلوة ما فهموا الى التماس فهمهم
ما ام يفهموا .

(٥٦) النص دون عزو في المحاسن والمساوى ص ١٥ وروايته : وكنت اكتب عنه
(٥٧) هو يحيى ابن المنجم .

(٥٨) النص في رسالة الجاحظ ص ٣٤١ وروايته : ... وجليسه فارغ إلا اعتقدت
انه افضل منه وأعقل :

الجاحظ : كانت الفلاسفة اليونانية تُورث البنات العين ، والبنين الدينَ والكتبَ ، ونقول : لا تورثوا الابنَ من المالِ إلا ما يكونَ عوناً له على طلبِ العلمِ ، وآخذوه بحلاوة العلمِ ، واطبعوه على تعظيمِ الحكمةِ ، ليصير جمعُ العلمِ أغلبَ عليه من جمعِ المالِ ، وليرى انه العدة والعناد ، وانه أكرم مستفاد .

عبدالله بن عبدالعزيز : كان لا يجالس الناس ، ويتزلُّ مقبرةً من المقابر ، وكان لا يرى إلا وفي يده كتاب يقرؤه ، فسئل عن ذلك وعن نزوله المقبرة ؟ فقال : لم أرَ أو عظم من قبر ، ولا امتع من كتاب ، ولا انفع من الوحدة . ف قيل له : فقد جاء في الوحدة ما جاء . فقال : ما أفسدها للجاهل وأنبأها للعاقل (٥٩) .

الجاحظ : يذهبُ الحكيمُ وتبقى كُتُبُه ، ويبقى العقلُ ويبقى أثرُه (٦٠) .

ابو عمرو بن العلاء : قيل له ان في دار فلان أناساً قد اشتملوا على سواةٍ ، وهم جلوس على خمرٍ لهم ، وعندهم طنبور قال : فمررنا عليهم في جماعة من الحي (٢٩٠ ب) : فاذا فتى جالسٌ في وسط الدار وإذا اصحابه حوله ، وإذا هم بيضُ اللّحي ، وإذا هو يقرأ كتابَ شعر . فقلت : والله لا كشف فتى أصحابه شيوخٌ ، وفي يده دفترٌ علمٍ ، ولو كان في ثوبه دم يحيى بن زكريا .

عبدالله بن المعتز ، كان يقول : خيرُ ميراثِك ما أكتسبَكَ الأركان الأربعة ، وأحاطَ بأصولِ المنفعة ، وحصلَ لك حلاوةَ المحبةِ ، وبقيَ لك الأُحدوثُ الحسنّة ، وأعطاك عاجلَ الخير وآجلَه وظاهره وباطنه ، وليس يجمعُ لك ذلك كله إلا كرامُ الكُتُب النفيسة ، المشتعلة على بناييعِ العلم ، والجامعةُ

(٥٩) النصّ مع اختصار شديد في المحاسن والاضداد ص ٦ والمحاسن والمساوى ص ١٤ وهو مع اختلاف في سنة الصفوة ١٨١/٢ .

(٦٠) النص ليس في رسالة الجاحظ .

لكنوزِ الأدب ، ومعرفة الصناعات ، وفوائد الارفاق ، وحُجج الدين الذي بصحته ،
وعندُ وضوحُ برهانه ، تسكنُ النفوس ، وتثلج الصدور ، ويعودُ القلبُ
معموراً ، والعزُ راسخاً ، والأملُ فسيحاً . وهذه الكتب التي تزيد في العقل تشجدهُ
وتداويه ، وتصلحه ، وتهذبُه ، وتنقي الخبث عنه ، وتفيدك العلم ،
وتصادق بينك وبين الحجة ، وتعودُك الأخذَ بالثقة ، وتجلب الحال ،
وتكسب المال .

ابن داحية : قيل له وأخرج كتابَ أبي الشَّعْمَقِ وهو في جلود كوفية
ودفتين طابقتين وبخطٍ عجيب ، فقبل له : قد ضيع درهمه من وجود
إشعرِ أبي الشَّعْمَقِ . قال : لا جرَم والله ! إنَّ القلمَ ليعطيكم على حساب ما
تعطونه ، ولو استطعت أن أودِعَه سُويداءَ قلبي ، واجعله مخطوطاً على
ناظري لَمَعَلْتُ (٦١) .

الجاحظ : دخلتُ على اسحاق بن سليمان في إمارته ، فرأيتُ بين يديه
كتاباً والرجالُ مشولاً كأن على رؤسهم الطيرُ ، ورأيتُ فرشتَه وبزته . ثم دخلتُ
عليه (٢٩١) وهو معزولٌ ، فأذا هو في كتبه ، وحواليه الاسقاط ، والرفوف ،
واقمطر ، والدفاتر ، والمساطر ، والمحابر ، فما رأيتُه قطَّ أنبل ، ولا أفخم ،
ولا أهيّب ، ولا أجزل منه في ذلك اليوم ، إلا أنه جمع مع المهابة المحبة (٥) ،
ومع التفخامة الطلاوة ، ومع السؤدد الحكمة (٦٢) .
الشعبي : نعم المُحدِّثُ الدفترُ .

[نسم النص]

(٦١) النص في المحاسن والمساوي ص ١٤ .

(٥) في الاصل المخطوط : جمع المهابة والمحبة

(٦٢) النص خلت منه رسالة الجاحظ .

[تراجم اعلام النص]

الجاحظ :

ابو عثمان عمرو بن بحر الشهير بالجاحظ . معتزلي ، شيخ الأدباء في عصره ، ولد سنة ١٦٣هـ في البصرة ومات فيها سنة ٢٥٥هـ بأسفار ضخمة من الكتب سقطت عليه . ضاع الكثير من آثاره ، ووصلنا منها غير قليل . وقد نهى المرحوم عبد السلام محمد هارون الى نشر مجموعة ضخمة من آثاره محققة مدققة من بينها : الحيوان ، وكتاب البيان والتبيين ، ورسائل الجاحظ في أربعة اجزاء ، والبرصان والعرجان والعميان والحوالان . كما نشر صديقنا المرحوم طه الحاجري كتاب البخلاء ، ومجموعة من رسائله ونشر صديقنا المرحوم حسن حسني عبد الوهاب كتاب التبصر بالتجارة . ونشر يوشع فنكل ثلاثا من رسائله هي : في الرد على النصارى - في ذم اخلاق الكتاب [كُتَاب الدواوين] - في القيان . ونشر المرحوم حسن السندوبي عدداً من رسائله . وقد استطاع جليل ابراهيم في مقدمة نشرته لكتاب «الحنين الى الاوطان» أن ينفي بالدلائل القاطع نسبته الى الجاحظ ويرده الى مؤلفه محمد بن سهل بن المرزبان الكرخي البغدادي . وكان المرحوم عبد السلام هارون قد نشره ضمن رسائل الجاحظ كما نشر «رسالة العثمانية» وكذلك كتابه «انتاج» وكان المستشرقان «فان فلوتن» و«شارل بلات» قد نشر في وقت مبكر عدداً من رسائله . واسهم المرحوم داود الجلبسي الموصلي في نشر بعض رسائله سنة ١٩٣٠-١٩٣١ في مجلة «لغة العرب» . ومما نسب اليه ولم ينشر حتى الآن نشرة علمية كتاب عنوانه «المحاسن والاضداد» طبع طبعة تجارية وذكر المرحوم خير الدين الزركلي في كتابه الاعلام ٥ / ٢٣٩ مخطوطه له عنوانها «تنبيه الملوك» قال انها في ٤٤٠ ورقة ولم يذكر مظنة وجودها ، فلعلها كتاب التناج المسمى

« اخلاق الملوك ايضا . كما نشر صديقنا ابراهيم السامرائي رسالته في مدح الكتب والحث على جمعها » . ولم ينقطع الامل في الظفر بكتب اخرى . وصنّف عنه من القدامى ابو حيان التوحيدي كتاب « تقرير الجاحظ » وهو مفقود . ولعدد كبير من معاصرنا مصنفات عن الجاحظ ذكر بعضهم الزركلي في اغلامه . واضيف كتابين آخرين عنه احدهما لطف الحاجري والآخر لمحمد عبد المنعم حفاجي ، وجمع شعر الجاحظ ونشره د. محمد جبار المعيد .

المُهَلَّب بن ابي صُفْرَةَ الازدي العنكي :

ابو سعيد ، أمير ، جواد ، شجاع . قال فيه عبد الله بن الزبير : هذا سيد أهل العراق . ولد في « دبا » ونشأ بالبصرة ، وقدم المدينة مع أبيه في أيام عمر . وولي إمارة البصرة لمصعب بن الزبير . وفقت عينه بسمرقند . وانتسب لقتال الازارقة — وهم فرقة من الخوارج — وكانوا قد غلبوا على البلاد ، فاقام يحاربهم تسعة عشر عاما ، فقتل كثيرين ، وشرّد بقيتهم في البلاد . ولآه عبد الملك بن مروان ولاية خراسان ، فقدمها سنة ٧٩ هـ ومات فيها سنة ٨٣ هـ . وكان مولده سنة ٧ هجرية .

انظر الاعلام ٨/ ٢٦٠ — ٢٦١ وفيه مصادر ترجمته .

الحسن اللؤلؤي :

هو الحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي ، أبو علي ، قاض ، فقيه ، من اصحاب أبي حنيفة ، أخذ عنه وسمع منه ، وكان عالماً بمذهبه بالرأي . ولي قضاء الكوفة سنة ١٩٤ هـ ثم استعفى . من كتبه : « أدب القاضي » و « معاني الايمان » و « النفقات » و « الخراج » و « الفرائض » و « الوصايا » و « الامالي » . توفي سنة ٢٠٤ هـ .

انظر ترجمته في الاعلام ٢/ ٢٠٥ وفيه مصادر ترجمته .

سهل بن المرزبان :

ابو نصر ، أديب جمع نفائس الكتب . من مصنفاته : « اخبار ابي العيناء و « اخبار ابن الرومي » و « اخبار حبيطة البرمكي » و « الآداب في الطعام والشراب » . ولد في قان « قرب نيسابور ، وكرر الرحلة الى بغداد واستوطن نيسابور . وكان معاصراً للثعالبي وصديقا له وبينهما مكاتبات ، له نظم حسن توفي في حدود عام ٤٢٠ هـ .

انظر ترجمته في الاعلام ٢١٠/٣ وفيه مظنة ترجمته .

محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي :

ابو الحسن ولد ترجيحاً قبل النصف الثاني من القرن الثالث الهجري في اصفهان ، ولم يغادرها الى غيرها ، وتوفي سنة ٣٢٢ هـ من مصنفاته كتاب « عيار الشعر » وقد طبع . ومن كتبه : « المدخل في معرفة المعنى من الشعر وتقرظ الدفاتر » و « سنام المعالي » و « الشعر والشعراء » وكتاب في العروض وكلها مفقودة . وله ديوان شعر ذكره النديم في الفهرست وقد فُقد . وجمع معاصرنا المرحوم جابر عبد الحميد الخاقاني ماتبقى من شعره في مجموع حسن طبع في بغداد سنة ١٩٧٥ وانظر كتابنا المستدرک على صناعات الدواوين .

ترجمته واخباره في : مقدمة ديوانه وفي الفهرست ص ١٥١ ، ١٦٨ ومعجم الشعراء ٤٢٧ والمحمدون ٢٦/١ وارشاد الاريب ٢٨٤/٦ والوافي ٧٩/٢ - ٨٠ ومعاهد التنصيص ١٢٩/٢ وبروكلمان ١٠٠/٢ والكنى والالقب للقي ٤٠٦/٢ واعلام الزركلي ١٩٩/٦ .

العتبي :

محمد بن عبيد الله بن عمرو الاموي ، ابو عبد الرحمن . من بني عتبة بن ابي سفيان . اديب ، كثير الاخبار ، حسن الشعر . من اهل البصرة ووفاته

فيها . من مصنفاته : « أشعار النساء اللاتني احبين ثم ابغضن » و « الاخلاق »
و « اشعار الاعاريب » والخيال » و « الذبيح » و « الجواهر » قال النديم في الفهرست :
كان العتبي وابوه سيدين اديبين فصيحين . وقال ابن قتيبة : الاغلب عليه الأخبار .
مصنفاته التي ذكرناها مفقودة ولم يبق منها سوى مختصر من كتابه « الجواهر » .
جمع معاصرنا الدكتور يونس احمد السامرائي ما تبقى من شعره ونثره في
العدد السادس والثلاثين من مجلة كلية الآداب الصادرة في بغداد سنة ١٩٨٩ .
انظر ترجمته في مقدمة شعره وفي الاعلام ١٣٩ / ٧ وانظر مضاده فيهما .

علي بن الجهم :

من بني سامة ، بطن من قریش . رحل بعض اجداده من مكة واستقر في
البحرين ثم انتقلوا الى خراسان بعد أن فتحها المسلمون . وعاد والد الشاعر من خراسان
الى بغداد . تولى أبوه بريد اليمن زمن المأمون كما ولاه الثغر وهي البلاد الواقعة على
حدود الروم ، وولاه الواثق الشرطة في بغداد . واخوه الاكبر محمد بن الجهم
عالم اديب ولاه المأمون عدة ولايات في فارس ، وولاه المعتصم دمشق سنة ٢٢٥ هـ .
وعمه ادريس بن بدر وابنه عثمان ممن امتدحهم ابو تمام الطائي ، فهو من اسرة
جمعت بين العلم والادب والوجاهة والثراء : نشأ وتأدب ببغداد ووهب نفسه
للشعر ، وجمعه أواصر صداقة بأبي تمام ، وكان كثير السفر تنقل بين خراسان
والثغر والجبال ومصر والشام . وتولى مظالم حلوان في خلافة المعتصم ، وهناك
بفتح عموريه . وله مدائح قليلة في الواثق . ثم لما ولي المتوكل الخلافة غدا
نديماً له وموطن سره . ثم كاد بعضهم له عند المتوكل فتغير عليه ثم حبسه
وصادر امواله ونفاه الى خراسان وحبس بها . ثم أمر المتوكل الطاهر عبد الله
باطلاقه فلما خرج من سجنه زهد في الحياة ، وبعد اقامة طويلة في خراسان عاد
الى بغداد . وقاده سوء رأيه في الناس الى مصاحبة أهل الفتوة في بغداد ، والاختلاف

الى بيوت القيان حتى قتل المتوكل سنة ٢٤٧ هـ فرثاه من اعماقه . وفي عام ٢٤٩ هـ قتل الروم قائدين من اعظم قواد الثغور الجزرية هما عمر بن عبد الله وعلي بن يحيى مع عدد كبير من جنودهم ، فهبّ الناس يتطوعون للجهاد ، وتلاحقوا نحو الثغر لغزو الروم ، وخرج على بن الجهم متطوعا يريد المشاركة في غزو الروم فقتله أعراب من بني كلب في الطريق ودفن على مقربة من حلب . طبع ديوانه خليل مردم بك وصدرت الطبعة الثانية منه في بيروت وفيها زيادات بخط المحقق وانظر كتابنا المستدرک على صنّاع الدواوين .

ترجمته في : مقدمة ديوانه وتاريخ بغداد ١١ / ٣٦٧ وفيات الاعيان ٣ / ٣٥٥ - ٣٥٨ وشرح رسالة ابن زيدون لابن نباته ٢٢٥ وطبقات الحنابلة ١٦٤ وتهذيب ابن عساكر ٤ / ١٩ والمختار من شعر بشار ١٧ وطبقات ابن ابن المعتز ١٥١ والاغاني (ط . الدار) ١٠ / ٢٠٣ - ٢٣٤ والطبري ١١ / ٨٦ وسمط اللالي ٥٢٦ والاعلام ٥ / ٧٧

ابراهيم بن السندي :

من ذرية السندي بن شاحك . فقد ذكر الجاحظ في البيان والتبيين ان للسندي ولدان احدهما نصر والثاني ابراهيم . وكان ابراهيم هذا من رجالات الدولة العباسية ودعوتها . ومن الرواة المعروفين بروايته وعلمه وفقهه . وكان صديقا للجاحظ . وهو فارسي الاصل ، ولاه المأمون لمابعده ابيه السندي وظيفة « صاحب مدينة اسلام » وكان صاحب شرطته . وكان كشاجم الشاعر من هذه الاسرة .

انظر كتاب « بغداد في تاريخ الخلافة العباسية » ص ٣٦ - ٣٧ .

ديموقراط = ديمقراطس

من فلاسفة العلم الطبيعي . وهو من ابديرا من اعمال تراقيا . ولد حوالي سنة ٤٦٠ ق . م . وتوفي سنة ٤٠٤ ق . م . زار مصر وبابل في طلب المعرفة

ترك كتباً كثيرة صنفها «فراثيلوس» الى رباعيات بحسب الموضوعات وهي :
الاخلاق - العلم الطبيعي - الرياضيات - الموسيقى - الفن والعلل .

لكنّ ديموقراطس لم يكتب فيما يرجح غير كتاب واحد هو « نظام
العلم الصغير » بأسلوب جميل وواضح .

انظر الفلسفة اليونانية في عصورها الاولى « كريم متي ص ٧٥ - بغداد
مطبعة الارشاد ١٩٦٦ .

الخليل بن أحمد :

الفراهيدي الازدي ، من ائمة اللغة والادب ، وواضع علم العروض . وهو
شيخ سيويه ، ولد سنة ١٠٠ هـ وتوفي فيها سنة ١٧٠ هـ . عاش فقيراً صابراً .
من مصنفاته كتاب « العين » وقد طبع في بغداد في ثمانية اجزاء بتحقيق الدكتورين
مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي .

وللمخزومي كتاب عنه . وانظر ترجمته في الاعلام ٣٦٣/٢ ومصادره
ثمة .

يحيى = يحيى بن علي المنجم (٢٤١ هـ - ٣٠٠ هـ)

قال المرزباني عن ابيه علي : « هو وأهله وولده واولادهم في البيت
الخطير من الدين والادب والشعر والفضل ، لا اعلم بيتاً اتصل فيه من هذه
الأنواع الشريفة ما اتصل لهم وفيهم » .

وقد ذكر ياقوت انه كانت بكركر من نواحي القفص ضيعة
نفيسة لايه علي بن يحيى وقصر جليل فيه خزانة كتب عظيمة يسميها « خزانة
الحكمة » يقصدها الناس من كل بلد فيقيمون فيها ويتعلمون منها صنوف العلم
والكتب مبذولة في ذلك لهم ، والصيانة مشتملة عليهم ، والنفقة في ذلك من مال
صاحبها .

هذه الخزانة هي التي أشار اليها النديم في اثناء حديثه عن صلة علي بن يحيى بالفتح بن خاقان ، والخزانة التي صنعها له ، وما أضافه اليها من كتبه .
انظر معجم الشعراء ١٤٢ ومعجم الادباء ١٥/ ١٥٧ والفهرست ١٦٠ .

ابو عمرو بن العلاء :

زبان بن عمار التميمي المازني البصري (٧٠ هـ - ١٥٤ هـ) .
من ائمة اللغة والأدب ، وأحد القُرّاء السبعة . ولد بمكة ، ونشأ بالبصرة ، ومات بالكوفة . له اخبار وكلمات ماثورة . وصنّف ابو بكر الصولي كتاباً في اخباره ، وهو مفقود . ولمعاصرنا الدكتور زهير وزاهد كتاب عنه طبع .
انظر ترجمته في الاعلام ٧٢/ ٣ ومصادوه ثمة .

الاخفش :

الاخفش ثلاثة : الاكبر عبد الحميد بن عبد المجيد (ت ١٧٧ هـ) وكان مفسراً للشعر (١) . والاوسط واسمه سعيد بن مسعدة المتوفى سنة ٢١٥ هـ فقد كان نحويّاً عالماً باللغة والادب من تلامذة سيويه ، من مصنفاته « تفسير معاني القرآن » و « شرح ابيات المعاني » و « الاشتقاق » و « معاني الشعر » و « كتاب الملوك » وزاد في العروض بحر الخبب (٢) .

وامّا الاخفش الاصغر واسمه علي بن سليمان (ت ٣١٥ هـ) فقد كان نحويّاً من اهل بغداد وتوفي فيها وهو ابن ثمانين سنة . من مصنفاته « شرح سيويه . و « الانواء » و « المذهب » (٣) . وربما يكون النصّ للاوسط أو الاصغر
(١) الاعلام ٥٩/ ٤ (٢) الاعلام ١٥٥/ ٣ (٣) الاعلام ١٠٣/ ٥ .

عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عمر بن الخطاب :

جاء في صفة الصفوة ما نصه : « تعبّد عبدالله العمري وسكن المقابر . ، وكان لا يرى إلّا وفي يده كتاب يقرؤه ، وترك مُجالسة الناس فسُئل عن فعله

فقال : لم أرَ أوعظ من قبرٍ ، ولا آنسَ من كتاب ولا أسلم من الوحدة .
فقبل له : قد جاء في الوحدة ما جاء . قال : لا تُفسد إلا جاهلاً .

كان جرثياً في قول الحق ، يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر . وعظ الرشيد
مرة فأبكاه . أسند الحديث ، وأدرك من التابعين أباً طواله ، وروى عن أبيه
وعن إبراهيم بن سعد وتوفي بالمدينة المنورة سنة اربع وثمانين ومائة وهو ابن ست
وستين سنة .

انظر صفة الصفوة ٢ / ١٨١ - ١٨٤

ابو الشمقمق :

مروان بن محمد (ت نحو ٢٠٠ هـ)

شاعر هجاء بصري خراساني الاصل من موالي بني امية .
كان عظيم الانف ، أهرت الشدقين ضمنكر المنظر . توفي في حدود سنة
٢٠٠ هـ . جمع شعره المنتشر غوستاف فون غرونباوم ونشره ضمن كتابه
« شعراء عباسيون » الذي صدرت طبعته الثانية بعناية د. محمد يوسف نجم في
بيروت .

انظر ترجمته في الاعلام ٨ / ٩٧ ومصادره ثمة .

الشعبي (١٩ - ١٠٣ هـ) :

عامر بن شراحيل الحميري ، فقيه ، شاعر ، راوية ، من التابعين يضرب
المثل بحفظه . اتصل بعبد الملك بن مروان ، فكان نديمه وسميرة ورسوله الى ملك
الروم . ولد ونشأ ومات بالكوفة .

انظر ترجمته في الاعلام ٩ / ١٨ - ١٩ ومصادره ثمة .



تقرير عن : - ندوة منهجية تحقيق النصوص -

الدكتور جميل الملائكة
(عضو الجمع)

عقد الجمع (ندوة منهجية تحقيق النصوص) يوم الثلاثاء
٦/شوال/١٤١٥هـ الموافق ٧/آذار/١٩٩٥م في قاعة محمد بهجة الأثري
في الجمع .

وبدأت الندوة بترحيب رئيس الجلسة الاستاذ الدكتور جميل الملائكة
عضو الجمع بالسادة والسيدات الحضور ، مشيراً الى أنّ تحقيق النصوص
العربية من الموضوعات التي مازالت بحاجة الى الكثير من العناية والاهتمام ،
والى ان المحقق من المخطوطات العربية ، التي تُعدّ بالملايين في مكتبات العالم
لا يتجاوز الواحد في العشرين منها ، وأن المستشرقين سبقونا فحققوا الكثير
من مخطوطاتنا منذ زمن بعيد ، وان كان لتحقيقاتهم جوانب ايجابية
وأخرى سلبية .

وعبّر عن الأسف لأن هذه الأمة لم تشهد في العصر الحديث بعض
الاهتمام الحقيقيّ بالتحقيق الا في زمن متأخر ، ولا سيما في العلوم الصرف
والتطبيقية ، وأنّ الدرب مازال طويلاً ، ومن هنا تأتي أهمية هذه الندوة التي
ستتناول بعض أسباب كل ذلك . ومستلزمات التحقيق ، وطرائقه ، ومشكلاته
ووسائل تذليلها .

كلمة الافتتاح :

وافتح الندوة الاستاذ الدكتور صالح أحمد العلي رئيس المجمع بكلمة بين فيها أهمية موضوع الندوة لما سيبحث فيها من تيسير عمل المحققين ، وتقديم أساس مكنٍ لإنماء الثقافة ، مما يعين على تبوُّنا المكانة اللائقة في ركب الفكر . وأشار الى الوفرة العظيمة لتراثنا الفكري المدوّن مما يفوق ما لدى سوانا من الأمم ، وأن عناوين فهارس المخطوطات فقط تبلغ مئات الصفحات ، وأن المخطوطات تعدّ بالملايين ، مبيّناً أنّ بعض العناوين أصابه الاضطراب فاحتاج نشر المخطوطات الى تخليصها من أوهام النساخ ، وأن بعضاً قد لا يكون بخطّ المؤلف فلم يحظ نسخها بالأمانة التي يريدها المؤلف .

وأشار الى عناية القدامى بالتحقيق ، ولا سيّما ما يتعلق منه بالقرآن والحديث ، وإلى ما التّقه في قواعد التحقيق من كتب عالية المستوى ، وإلى تكاثر طبع كتب التراث منذ ظهور الطباعة ، على تباينها في الجودة . ونوّه بظهور كتب إرشادية في التحقيق تباينت أيضاً في مستوياتها وطرائقها ، مما قد يثير بعض الإرباك ، مشيراً الى أن كلّ ذلك مما حلل المجمع الى عقد هذه الندوة لتوضيح معالم التحقيق يقوم به الخبراء المتمرسون فيه .

خلاصات الأبحاث :

ثم قدّم الدكتور الطيب كمال السامرائي الأستاذ المتّرس في جامعة بغداد بحثاً في (منهجية تحقيق كتب التراث الطبي) تحدّث فيه عن وجوب تسكّن المحقق من موضوع كتاب التراث الطبي الذي يحققه ، ووجوب اعتياده على نسخ كتبها نساخ هم أيضاً من ذوي الإلمام في الموضوع ، وأن يتحرى المحقق تماسك سياق النصّ وارتباط العبارات ، ويبحث عن أكبر عدد من النسخ ، ويعتمد على أقربها من نسخة المؤلف ان لم يجد هذه .

وتلاه الدكتور الطيب محمود الحاج قاسم فقدم بحثاً في (مناهج تحقيق النصّ العلمي ومشكلاته) ، تناول فيه أهمية تحقيق النصوص العلمية ، وما

يَتَوَخَّى فيها من فوائد ، والمؤهلات اللازمة للمحقق العلمي ، وصفات النص العلمي الذي يستحق التحقيق والنشر ، ومستلزمات التحقيق العلمي .

وقدّم بعده الاستاذ هلال ناجي بحثاً في (بعض قواعد تحقيق النصوص) تحدث فيه بإسهاب عن وجوب توثيق نسبة المخطوط الى مؤلفه ، بعد تحقيق عنوان المخطوط ، وعن خطورة الاعتماد على النسخة الواحدة في التحقيق ، وأكد عدم جواز نشر المختصر مع وجود الأصل المخطوط .

وبين رئيس الجلسة اعتذار الشيخ محمد حسن آل ياسين من عدم الحضور بسبب المرض ، وان بحثه المعنون (ملاحظات في المعجمات المطبوعة المحققة) سينشر في كتاب وقائع الندوة مع بقية الأبحاث .

وبعد استراحة قصيرة استؤتمت الجلسة فالتت الاستاذة نبيلة عبدالمنعم داود رئيسة مركز احياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد بحثاً عنوانه (مناهج العرب القدامى في التحقيق) تناولت فيه نشوء فن التحقيق ، وأوائل المعنيين به ، وما وضعوه له من قواعد كانت حصيلتها منهجاً واضحاً لهذا الفن وأصوله ومستلزماته ومنها : المقابلة بين النسخ ؛ وإصلاح الخطأ وتقويم اللحن ؛ وعلاج السقط والزيادات ؛ والضبط والشكل ؛ وصنع الحواشي ؛ واستعمال الألوان في كتابة الأبواب والفصول ؛ وإجادة الخط ؛ واستعمال الرموز .

ثم ألقى الأستاذ الدكتور بشار عواد معروف عضو المجمع بحثه المعنون (منهجية تحقيق النصوص التاريخية) الذي تناول فيه ما طرأ على اسس التحقيق ومناهجه من تطور ، ووجوب وصف النسخ الموجودة ، واعتماد آخر تنفيح يضعه المؤلف أو المحقق ، وثبيت اختلافات النسخ وأسبابها ، ووجوب اختصاص المحقق في موضوع الكتاب الذي يحققه ، وتسكنه من العربية ، ومقابلة النسخ ، وتحديد السقط ، وضبط النص ، والاقتصاد في التعليق والاقتصار على ما يخدم النص من ذلك . وأشار الى اختلاف سبل التحقيق باختلاف موضوعاته مؤكداً أن لكل موضوع في تحقيقه خصوصيات تختلف في بعض جوانبها عما في سواها .

وبعده قدّم الاستاذ الدكتور سامي مكي العاني عميد كلية الآداب في جامعة المستنصرية بحثاً بعنوان (المستشرقون وتحقيق الشعر العربي) بدأه بمقدمة تاريخية عن اهتمام المستشرقين بتحقيق الشعر العربي • ثم أسهب في الكلام على العوامل التي ساعدت على توجه المستشرقين إلى تحقيق الشعر العربي ، ومنها :

— وفرة المخطوطات العربية النفيسة في المكتبات الاوربية

— ونشوء الجمعيات الشرقية والآسيوية في اوربا

— وإصدار المجلات المتخصصة بالنصوص العربية

— وعمل فهارس المخطوطات العربية وطبعها

— واقتشار المطابع العربية

— وإنشاء كراسي اللغات الشرقية

— وعمل المستشرقين في الجامعات العربية

— وإقامة المؤتمرات التي تتناول تحقيق التراث العربي •

وقد أسهب في الكلام أيضاً على أساليب المستشرقين ومناهجهم في تحقيق الشعر العربي مبيناً إيجابياتها وسلبياتها •

ثم أعقب تقديم الأبحاث جلسة مفتوحة للتعليقات والمناقشات شارك فيها كل من الاساتذة الدكتور محمود الجليلي ، ورشيد الصالحي ، وفوزي الخالصي ، والدكتور عماد عبدالسلام رؤوف ، وهلال ناجي ، والدكتور مسارع الراوي ، والدكتور يوسف جبي ، والدكتور كمال السامرائي ، والدكتور بشار عواد معروف ، والدكتور جميل الملائكة ، واختتمت الندوة نحو الساعة الثانية بعد الظهر •



بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع العلمي

دائرة المصطلحات والترجمة والنشر

((قواعد وضوابط النشر))

(١) قواعد النشر

(٢) ضوابط علمية

(٣) المكافآت

(١) قواعد النشر :

١ - ينشر المجمع البحوث (كتباً ، اعمال ندوات ، مقالات) التي تحقق اهدافه وفق قواعد خاصة .

٢ - تعطى الاسبقية في النشر لاعضاء المجمع العاملين ، ثم لخبراء المجمع ، ثم لغيرهم .

٣ - تقديم الطلبات الى رئاسة المجمع التي تحيلها الى الدائرة العلمية المختصة او الى الهيئتين الكردية و السريانية ، ثم تحال الى دائرة المصطلحات والترجمة والنشر مع بيان الرأي ، لاتخاذ ما يلزم .

٤ - اذا اختلفت دائرة المصطلحات والترجمة والنشر مع الدائرة التي يخصها البحث او الكتاب المحال اليها للنشر ، تجتمع الدائرتان لنقض الخلاف ، والا يحال الامر الى هيئة رئاسة المجمع للبت فيه نهائياً .

٥ - تخضع عملية النشر للخطة السنوية التي تقرها الهيئة العامة للمجمع ،
بعد تقديم طلبات الدوائر والاشخاص ودراستها من قبل الدائرة
المختصة التي تنسق العمل والمواعيد .

٦ - تخضع البحوث المؤلفة والمترجمة لغير اعضاء المجمع الى تقويم علمي
يقوم به خبير مختص . وتخضع بحوث الاعضاء الى تنسيق على وفق
الخطة المقررة .

٧ - يتقدم الطاب باستبانة خاصة .

٨ - تنظم صيغة عقد بين المجمع والمؤلف او المترجم توضح فيه حقوق
الطرفين وواجباتهم .

٩ - تنظيم عملية التقويم باستبانة خاصة .

(٢) ضوابط علمية :

أ - لا تزيد صفحات المقالة الواحدة للنشر في مجلات المجمع على
٤٠ صفحة . ولا ينشر للباحث اكثر من مقالة في العدد الواحد

ب - لا تزيد صفحات الكتاب المطبوع في المجمع على ٢٠ ملزمة .

ج - لا يطبع ، ظرا للظروف الراهنة ، اكثر من ٣٠٠ نسخة ، الا بقرار
من هيئة الرئاسة .

د - تنظم الدائرة استبانتي تقديم الطلب وتقديم البحث وعقد
التكليف والنشر .

(٣) المكافآت :

١ - تقدر مكافأة البحث الذي يلقي في ندوة مجتمعية او في جلسات
المجمع المفتوحة او في مجلات المجمع بمبلغ ٦ آلاف دينار . وتقدر

مكافأة البحث الذي ينشر في مجلات المجمع بمبلغ ٢٥٠ دينارا
للسفحة الواحدة ، على ان لا يقل المبلغ الكلي عن ٣ آلاف دينار

ولا يزيد على ٨ آلاف دينار .

- ٢ - يكافأ مؤلف الكتاب مبلغ ٥ آلاف دينار على الملزمة الواحدة .
- ٣ - يكافأ خبير البحوث مبلغ ٦٠٠ دينار ، اي ١٠ بالمائة من مكافأة الباحث
- ٤ - يكافأ المشرف على الطبع مبلغ ١٠ بالمائة من مكافأة المؤلف .
- ٥ - يمنح العاملون في الطباعة مكافآت لاتزيد على ١٠ بالمائة من مكافأة المؤلف .
- ٦ - يمنح العاملون في مخازن وبيع المطبوعات بما لايزيد على ١٠ بالمائة من المبيعات المحققة .
- ٧ - يمنح كُتّاب المقالات في المجلات عشرين فرزة من بحوثهم .
ويمنح مؤلفو او محققو الكتب ٢٠ نسخة ، وتخفيضاً مقداره ٥٠ بالمائة من سعر البيع عن النسخ التي يشتريها .

ملاحظة : اعدت الدائرة المختصة هذه القواعد والضوابط الخاصة بالنشر في اجتماعاتها (١٣/٦ ، ١٠/٣ ، ١٠/١٠ ، ١١/٤) ثم في ضوء التعديلات في ١٢/٢/١٩٩٥ و ١٣/١/١٩٩٦) ، واجرت هيئة رئاسة المجمع في ثلاث جلسات (٢٠/١١ ، ٢٥/١١ ، ٩/١٢/١٩٩٥) تعديلات و اضافات ، وناقشتها الهيئة العامة في جلسة ١٦/١/١٩٩٦ وأقرتها بشكلها الحالي .



بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع العلمي

دائرة المصطلحات والترجمة والنشر

استبانة تقديم طلب بشأن :

- ١ - القيام بدراسة او بحث •
 - ٢ - ترجمة كتاب •
 - ٣ - تأليف كتاب •
 - ٤ - تحقيق كتاب •
 - ٥ - طبع عمل جاهز غير منشور ينسجم مع اهداف المجمع •
- ١ - الاسم الرباعي :
- ٢ - عنوان / ١ : الدراسة او البحث
- ٣ : المترجم
- ٣ : المؤلف
- ٤ : المحقق
- ٣ - اهمية ومبررات المشروع (بحدود ١٥٠ كلمة) •

- ٤ - المدة المقررة لانجاز العمل •
- ٥ - الجهة المستفيدة من العمل •

٦ - الأنشطة السابقة لصاحب الطلب •

١ - البحوث والدراسات

٢ - الترجمة

٣ - التأليف

توقيع صاحب اللاب :

التاريخ :

العنوان :

٧ - رأى دائرة المصطلحات والنشر

(١) توصي بدعم الطلب

(٢) لا توصي بدعم الطلب

ملاحظة : لا تلزم استبابة التقديم هذه المجمع حاليا •

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع العلمي

دائرة المصطلحات والترجمة والنشر

((استبانة تقويم))

١ - اسم الباحث / المترجم / المؤلف / المحقق :

٢ - عنوان / البحث / المترجم / المؤلف / المحقق :

٣ - هل سبق ان نشر البحث او الدراسة او الكتاب او قدم لجهة غير المجمع العلمي ؟ اذا كان الجواب نعم تهمل الاجابة على بقية الفقرات .

٤ - هل يحقق العمل المقدم اهداف المجمع العلمي ؟

٥ - هل ان العمل يحقق مستلزمات البحث من حيث الفكرة والاسلوب وطرق التحليل والمعالجة ومستوى المعلومات وسلامة اللغة .

٦ - هل اعتمد المصادر وأشار اليها في المتن .

٧ - هل ان العمل المقدم :

- ١ - يصلح للنشر ضمن منشورات المجمع العلمي •
- ٢ - يصلح للنشر بعد اجراء التعديلات •
- ٣ - لا يصلح للنشر •
- ٨ - ما هي التعديلات المطلوبة قبل النشر ؟

يمكن استخدام ورقة اضافية لتوضيح ذلك



بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع العلمي

دائرة المصطلحات والترجمة والنشر

((عقد التكليف والنشر))

(أ) المادة الاولى : الطرفان

- ١ - الطرف الاول : المجمع العلمي ويمثله الرئيس او الامين العام •
- ٢ - الطرف الثاني : المكلف بالعمل •
- ٣ - العمل : دراسة او بحث او تأليف كتاب او ترجمة كتاب أو تحقيق كتاب •

(ب) المادة الثانية :

يقوم الطرف الثاني باحد الاعمال التالية :

- ١ - اعداد دراسة عنوانها :
- ٢ - اعداد بحث عنوانه :
- ٣ - تأليف كتاب عنوانه :
- ٤ - ترجمة كتاب عنوانه :
- ٥ - تحقيق كتاب عنوانه :

(ج) المادة الثالثة :

- ١ - يتقدم الطرف الثاني مسودة العمل خلال مدة اقصاها (.....) من تاريخ توقيع العقد •
- ٢ - يدفع الطرف الاول للطرف الثاني ٥٠٪ من الكلفة المقدرة للعمل عند تقديم الطرف الثاني مسودة العمل كاملة •

٣ - عند التوصية بطبع العمل في ضوء التقويم يدفع الطرف الاول للطرف الثاني ٣٠٪/ اضافية ليصبح المدفوع للطرف الثاني ٨٠٪/ من الكلفة المقدرة ، ويدفع له الباقي والبالغ ٢٠٪/ عند انتهاء الطبع ، على ان لا يتجاوز مدة الطبع سنتين كاملتين من تاريخ انتهاء التقويم المثبت من قبل دائرة المصطلحات والترجمة والنشر .

(د) المادة الرابعة :

١ - لا يجوز للطرف الثاني التصرف بالعمل المتفق عليه مع الطرف الاول الا بعد مرور ثلاث سنوات على نشره .

٢ - ينشر العمل كأحد منشورات المجمع والطرف الاول حق التصرف به ضمن المدة المحددة لذلك .

٣ - يعطى الباحث او المترجم ٥٪/ من المطبوع ان زاد على الالف نسخة و ١٠٪/ ان قل على الالف .

(هـ) المادة الخامسة :

١ - عند اخلال اي طرف بالعقد تؤلف لجنة تحكيم من ثلاثة خبراء يختار احدهم الطرف الاول ويختار الثاني الطرف الثاني ويتفق المحكمان على المحكم الثالث ، ويكون حكمها قطعيا .



الكتب الواردة والمهداة
الى مكتبة المجمع العلمي العراقي
للدورات الجمعية ١٩٩٠ - ١٩٩٣
القسم الثاني

اعداد : صباح ياسين الاعظمي
مدير المكتبات

التاريخ والتراجم والجغرافيا

- ★ ابن بطوطة ورحلته
تأليف ، الدكتور شاكر خصباك ، النجف ١٩٧١ ، ٢٩٧ ص •
- ★ ابن كثير كمؤرخ دراسة تحليلية لكتاب البداية والنهاية تأليف ، مسعود الرحمن خان الندوي ، الباكستان ١٩٨٠ •
- ★ ابو البركات ابن الانباري ودراساته النحوية
تأليف ، الدكتور فاضل صالح السامرائي ، بغداد ١٩٧٥ •
- ★ الاتجاهات العامة في الابحاث التاريخية •
تأليف الدكتور صالح احمد العلي ، بغداد ١٩٨٤ ، ٣٦٥+١٠٠ ص
- ★ كتاب الاتحاد (ذكريات ايام زمان)
تأليف ، عبدالقادر البراك ، بغداد ١٩٨٨ ، ١٥٠ ص •
- ★ انتفاضة رشيد عالي الكيلاني •
تأليف ، الدكتور وليد محمد سعيد الاعظمي ، بغداد ١٩٨٧ •
- ★ الآثار الشرقية •
تأليف ، أرنست نابليون ، ترجمة مارون عيسى الخوري لبنان
١٩٨٧ ، ٢٧١ ص •

- ★ أحمد بن حنبل والمحنة •
- تأليف ، ولتر م.م. باتون ، ترجمة عبدالعزيز عبدالحق ، القاهرة ، ٢٩٦ ص •
- ★ أحمد فارس الشدياق •
- تأليف ، محمد الهادي المطوي ، بيروت ١٩٨٩ ، ٥٧٦ ص •
- ★ ادارة العراق (الاسر الحاكمة ورجال الادارة والقضاء) •
- تأليف ، الدكتور عماد عبدالسلام ، بغداد ، ١٩٩٢ •
- ★ الادريسي •
- تأليف ، صوفي روس ، ترجمة ، ادريس خشب القاهرة : ٢١٠ ص •
- ★ أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث •
- تأليف ، س. ه. لونكريك ، ترجمة ، جعفر خياط بغداد ، بدون سنة طبع ، ٤٦٠ ص •
- ★ الازمنة
- تأليف ، ابن علي بن المستنير قطرب ، تحقيق ، حنا جميل حداد ، الاردن ١٩٨٥ ، ١٧٦ ص •
- ★ اسهامات مؤرخي البصرة في الكتابة التاريخية في القرن الرابع الهجري •
- تأليف ، عبدالجبار ناجي : بغداد ١٩٩٠ ، ٢٨٤ ص •
- ★ الاصابة في تمييز الصحابة •
- تأليف ، ابن عبد البر الاندلسي (ج١ - ج٢ × ج٣) •
- طبقة منقحة مع التفهارس • بيروت ، بدون سنة طبع •
- ★ اصول الجغرافية البشرية •
- تأليف ، ليدال دي لابلاس ، ترجمة ، الدكتور شاكر خصباك ، الموصل ١٩٨٤ ، ٣٤٣ ص •
- ★ الاعلام باوهام الاعلام
- تأليف ، حميد الخالصي ، بغداد ١٩٩٠ ، ٣٦ ص •

- ★ الاعلام الجغرافية والتاريخية الاندلسيين •
تأليف ، الدكتور محمد عبدالله عنان ، اسبانيا ١٩٧٦ •
- ★ اعمدة الحكمة السبعة
تأليف ، ت . أ . • لورنس ، بيروت ١٩٨٠ ، ط ٤ ، ص ٤٠١ •
- ★ الاتطاع والعصور الوسطى
تأليف ، جر . • كوبلان ، ترجمة ، محمد مصطفى زيادة - القاهرة ١٩٥٨ ،
١٤٠ ص •
- ★ الانتصار ممن عدل عن الاستبصار
تأليف ، ابن السيد البطليوسي ، تحقيق ، حامد عبدالمجيد -
القاهرة ١٩٥٥ ، ١٠٠ ص •
- ★ ام القرى
تأليف ، عبدالرحمن الكواكبي ، بيروت ١٩٨٢ ، ط ٢ ، ص ٢٥٥ •
- ★ الامبراطورية البيزنطية
تأليف ، نورمان بيتر ، تعريب ، حسين مؤنس ، القاهرة ، ٢٥ ص •
- ★ كتاب الاموال
تأليف ، ابي عبيد القاسم بن سلام ، تحقيق ، محمد خليل هراس
بيروت ١٩٨٦ ، ٦٢٢ ص •
- ★ الانبياء الكذبة
تأليف ، حسن التل ، عماد ١٩٨٣ ، ط ٢ ، ص ٦٣ •
- ★ الاوائل
تأليف ، ابي القاسم سليمان بن احمد الطبراني ، تحقيق وتخرير ، محمد
شكور بن محمود الحاجي ، بيروت ١٩٨٧ •
- ★ اوراق أيامي ١٩٠٠ - ١٩٥٨ •
تأليف ، حازم طالب مشتاق : بغداد ١٩٨٩ ، ج ١ ، ط ٢ ، ص ٦٩٠ •

- ★ اوربا والوطن العربي (القراة والجوار)
- تأليف الدكتور بشارة خضر ، بيروت ١٩٩٣ ، ٢٧٨ ص •
- ★ أهمية الدور الخليجي للعراق
- تأليف ، الدكتور محمود علي الداود ، بغداد ١٩٨٠ •
- ★ أيام بغداد
- تأليف ، جميل الجبوري ، بغداد ١٩٨٣ ، ٣٥٥ ص •
- ★ ايران في عهد الساسانيين
- تأليف ، كريستين ، القاهرة ١٩٥٧ ، ٥٧٦ ص •
- ★ بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب •
- تأليف ، عبدالعزيز الدوري ، بيروت ١٩٨٣ ، ٤٣٧ ص •
- ★ بحوث مورجان المؤرخ توينبي
- تأليف ، عالية احمد سوسة • بغداد ١٩٧٩ •
- ★ البدر الزاهر في نصره الملك الناصر (محمد بن قابستاي)
- تأليف ، ابن الشحنة ، وهو منسوب له • تحقيق ، عبدالسلام تدمري ،
- بيروت ١٩٨٣ ، ١٨٤ ص •
- ★ البصرة العظمى
- تأليف ، سليمان فيضي ، بغداد ١٩٦٥ ، ٨٠ ص •
- ★ بغداد كما عرفتھا
- تأليف ، امين المميز ، بغداد ١٩٨٥ ، ٥٣٣ ص •
- ★ بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهديهما
- تأليف ، الدكتور محمد عبد العال احمد ، القاهرة ١٩٨٩ •
- البيان المغرب في اخبار المغرب •
- تأليف ، ابن عذاري المراكشي ، بيروت ١٩٥٠ ، ٤٥٢ ص •

- ★ تاريخ اربل
تأليف ، شرف الدين ابي البركات الاعمى الارباي تحقيق ، سامي بن
خماس الصفار ، بغداد ١٩٨٠ ، ط ٢ ، ٩٨٨ ص .
- ★ تاريخ الاسلام
تأليف ، الدكتور حسن ابراهيم حسن ، القاهرة ١٩٥٨ ، ج ٣ ص ٤٩٩
- ★ التاريخ الاسلامي
تأليف ، الدكتور احمد شلبي ، القاهرة ١٩٦٩ ، ٢٩٩ ص .
- ☆ تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام (١٠١ - ٣٨٠ هـ)
تأليف ، الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي ،
تحقيق ، عمر عبدالسلام تدمري ، بيروت ١٩٨٩ ، ٨٦٤ ص . في
اربعة مجلدات .
- ★ التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية
تأليف احمد شلبي ، القاهرة ١٩٧٠ ، ٤٠٨ ص .
- ★ التاريخ الاندلسي عند ابن الاثير وابن خلكان (دراسة ونصوص)
تأليف ، تقي الدين عارف الدوري ، بغداد ١٩٩٠ ، ٤٨٠ ص .
- ★ تاريخ البشرية
تأليف ، اللجنة الدولية : باشراف اليونسكو ، مصر ١٩٧٢ ، ٢٠٤ ص .
- ★ تاريخ الترك في اسيا الوسطى
تأليف ، و . بارتولد ، ترجمة ، الدكتور احمد السعدي سليمان ،
مراجعة ، ابراهيم صبري ، القاهرة ، ٢٦٤ ص .
- ★ تاريخ الدولة العزية
تأليف ، يوليوس فلهوزن ، ترجمة ، محمد عبدالهادي ابورييدة ،
القاهرة ١٩٥٨ ، ٥٩٦ ص

- ★ التراث الحضاري المشترك بين اسبانيا والمغرب
تأليف ، اكاديمية المملكة المغربية ، المغرب ١٩٩٢ •
- ★ تاريخ حلب (فصل من كتاب نزهة النواظر)
تأليف ، ابي الفضل محمد بن الشحنة ، تحقيق ، كيكوارتا ، اليابان ، ١٩٩٠ ، ٣٧٥ + ١٨ ص •
- ★ تاريخ الحديثة
تأليف ، فرحان الدليمي ، بغداد ١٩٨٩ ، ٣٤٤ ص •
- ★ تاريخ جوادث بغداد والبصرة من (١١٨٦ - ١١٩٢ هـ)
تأليف ، عبدالرحمن بن عبدالله السويدي ، بغداد ١٩٨٧ ، ط ٢ ، ١٦٧ ص •
- ★ تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس
تأليف ، الدكتور حسين مؤنس ، اسبانيا ١٩٦٧ ، ٧٢٣ ص •
- ★ تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر
تأليف ، الدكتور جعفر عباس حمدي ، طارق نافع الحمداني ، صادق ياسين الحلو ، بغداد ١٩٩١ ، ٢٧٢ ص •
- ★ تاريخ الخلفاء
تأليف عبدالرحمن السيوطي ، ٥٣٥ ص •
- ★ تاريخ دول آل سلجوق (اختصار الشيخ الفتح بن علي البغدادي الاصفهاني)
تأليف ، الامام عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الاصفهاني ، تحقيق ، لجنة احياء التراث العربي في دار آفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٠ ، ٣٩٧ ص
- ★ تاريخ العراق الحديث •
تأليف ، الدكتور عبدالعزيز سايمان نوار ، القاهرة ١٩٦٩ ، ٥٢٩ ص •
- ★ تاريخ العراق في العهد العثماني ١٦٣٨ - ١٧٥٠ م (دراسة في احواله السياسية)
تأليف ، علي شاكر علي ، بغداد ١٩٨٤ ، ٢٣٢ ص •

- ★ تاريخ العراق في عصور الخلافة العربية الاسلامية .
تأليف ، الدكتور ناروق عمر فوزي : بغداد ١٩٦٨ ، ٣٨٣ ص .
- ★ تاريخ العراق في العهد السلجوقي
تأليف ، الدكتور حسين امين ، بغداد ١٩٦٥ ، ٤٨٧ ص .
- ★ تاريخ العصور الوسطى الاوربية وحضارتها
تأليف ، جوزيف نسيم يوسف ، بيروت ١٩٨٧ ، ٣٦٢ ص .
- ★ تاريخ العلماء والرواة بالاندلس
تأليف ، الحافظ ابي الوليد عبدالله بن محمد المعروف بابن الفريسي ،
القاهرة ١٩٨٨ ، ط ٢ - ح ٢ × م ٢٦٨ ص .
- ★ تاريخ عمرو بن العاص
تأليف ، الدكتور حسن ابراهيم حسن ، القاهرة ١٩٢٦ ، ١٩٢ ص .
- ★ التاريخ فكراً استراتيجياً
تأليف ، ليدل هارث، ترجمة، حازم طالب مشتاق بغداد ١٩٨٨ ، ١٩٨ ص .
- ★ تاريخ الفكر العلمي في الاسلام
تأليف ، الدكتور احمد سليم سعيدان ، الكويت ١٩٨٨ .
- ★ تاريخ الفكر المصري الحديث من الحملة الفرنسية الى عصر اسماعيل
تأليف ، الدكتور لويس عوض، القاهرة ١٩٨٧ ، ح ١ - ح ٢ × م ١ ، ٤١٥ ص
- ★ تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور
تأليف ، شريف ، بغداد ١٩٢٨ ، ٣٦١ ص .
- ★ تاريخ الممالك الكولمندا في بغداد
تأليف ، سليمان فائق بك ، نقله الى العربية محمد نجيب ارمتازي ،
بغداد ١٩٦١ ، ١٠٠ ص .
- ★ تاريخ ميسان وعشائر العمارة (دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية .
تأليف : عبد الجبار عبدالله الجويراوي ، بغداد ١٩٨٩ .

- ★ تاريخ النور السافر عن اخبار القرن العاشر
- تأليف، محي الدين عبدالقادر بن عبدالله العيدروسي بيروت ١٩٨٥ ٤٥٣ ص
- ★ تاريخ الوزارات العراقية
- تأليف ، عبدالرزاق الحسني ، بغداد ١٩٨٢ : ط ٦ ، ج ١ - ج ١ × م ١ •
- ★ التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني
- تأليف ، الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف ، بغداد ١٩٨٣ ، ٣٥٦ ص •
- ★ التحفة السنية
- تأليف ، محمد محي الدين عبدالحميد ، القاهرة ١٩٧٢ ، ١٩٩ ص •
- ★ تحفة القدام
- تأليف ، ابن الابار القطاعي الدلشي ، بيروت ١٩٨٦ ، ٢٩٤ ص •
- ★ تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر
- تأليف ، معهد البحوث والدراسات العربية ، الكويت ١٩٨٤ ، ٢٢٥ ص •
- ★ تحقيقات وتنبيهات في معجم انساب العرب
- تأليف ، عبدالسلام هارون ، بيروت ١٩٨٧ ، ٥٣٩ ص •
- ★ تراث العصور الوسطى
- تأليف ، ج ، كومب ماكروب ، ترجمة ، محمد بدران القاهرة ١٩٦٥ ، ج ١ ، ٤٠٦ ص •
- ★ تراث الاسلام
- تأليف ، حسين مؤنس ، مصر ، ٣٦٤ ص •
- ★ تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي
- تأليف ، بارتولد ، الكويت ١٩٨١ ، ١٠٤٠ ص •
- ★ تطور الاوضاع الاقتصادية في عصر الرسالة والراشدين
- تأليف ، الدكتور نجمان ياسين ، بغداد ١٩٩١ ، ٣٦٧ ص •
- ★ التكملة من مذكرات المالك عبدالله بن الحسين
- نشر ، الحكومة الاردنية القدس ، ١٢٣ ص •

- ★ تنزه العباد في مدينة بغداد
- تأليف ، نابليون الماريني ، لبنان ، ١١٦ ص .
- ★ جامع التواريخ .
- تأليف ، رشيد الدين فضل الله الهمداني . نقله الى العربية ،
- الدكتور فؤاد عبدالمعطي الصياد ، مراجعة الدكتور ، محي الخشاب .
- دار النهضة العربية للطباعة : ١٩٨٣ ، ٣٧٩ ص .
- ★ الجغرافية في القرن العشرين
- ترجمة ، محمد السيد غلاب . القاهرة ١١٧٤ ، ج ١ ، ٤٧٩ ص .
- ★ جمعية علماء باكستان الاسلام تاريخها واهدافها
- اعداد دار العلاقات العامة باكستان ، ٨ ص .
- ★ جندي بين العرب ، مذكرات الجنرال غلوب
- تأليف : غلوب باشا بيروت ١٩٥٨ ، ٣٤٣ ص .
- ★ جمهورية افلاطون
- نقلها الى العربية ، حنا خباز ، بيروت ، ٤٠٥ ص .
- ★ الجمهورية العربية المينة
- تأليف مجموعة من الباحثين . الموصل ١٩٥٨ ، ٢٠٠ ص .
- ★ الجيش والقتال في صدر الاسلام
- تأليف ، محمود احمد محمد سليمان كولا . الاردن ١٩٨٧ ، ٥٥٦ ص .
- ★ الحجاز في صدر الاسلام دراسات في احواله العمرانية والادارية .
- تأليف ، الدكتور صالح احمد العلي . بيروت ١٩٩٠ ، ٦٩٦ ص .
- ★ الحسن الثاني ملك المغرب انبعاث امية
- مذكرات ، الملك الحسن الثاني المغرب ١٩٩٢ ، ج ٣٧ ، ٤٧٤ ص .
- ★ الحضارة الماتسنية
- تأليف ، و . و . تادن ترجمة ، عبدالعزيز توفيق جويد مراجعة ، زكي علي
- الناهرة ١٩٦٦ ، ٤٠٤ ص .

- ★ الحروب الصليبية (عهد الانقسامات الداخلية) ، (عهد الجهاد المبكر) .
تأليف ، سالم محمد الحميدة ، بغداد ١٩٩٠ ، ج ١ ، ج ٢ × ج ٢ .
- ★ الحضارة الاسلامية بحوث ودراسات
تأليف ، المجمع الملكي لبحوث الحضارة جمعية اعمال المطابع التعاونية ،
عمان ١٩٨٦ ، ج ١ - ج ٤ × ج ٤ .
- ★ حضارة العراق
تأليف ، نخبة من الباحثين العراقيين ، بغداد ، ١٩٨٥ - ١٩٨٦ ،
ج ١ - ج ٣ × ج ٣ .
- ★ حضارة العرب في الاندلس .
تأليف ، ليفي بروفنسال ، ترجمة ، ذوقان قرقوط ، بيروت ، ١٧٥ ص .
- ★ حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور
تأليف ، الدكتور احمد سوسة ، بغداد ١٩٧٩ ، ٣١٦ ص .
- ★ الحلبه في اسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والاسلام
تأليف ، الصاحبى التاجي . تحقيق : الدكتور حاتم صالح الضامن ،
موسوعة الرسالة ١٩٨٥ ، ١٢٠ ص .
- ★ حملة العشرة الاف (الحملة على فارس) .
تأليف ، زينفون ، بغداد ١٩٨٥ ، ٤٠٠ ص .
- ★ حوادث بغداد في اثني عشر قرناً
تأليف ، باقر امين الورد . بغداد ١٩٨٩ ، ٣٧٢ ص .
- ★ حوض الخليج العربي
تأليف ، محمد متولي . القاهرة ١٩٧٠ ، ٣٣٠ ص .
- ★ حوض الخليج العربي
تأليف ، محمد متولي ، القاهرة ١٩٧٤ ، ٦٨٤ ص .

☆ حياة توماس هاردي

تأليف فلورنس امياي ، ترجمة ، عثمان نوية ، القاهرة ١٩٦٦ ، ج ١ ،
٤٠٦ ص •

☆ خالد بن يزيد سيرته واهتماماته العلمية • (دراسة في العلوم عند العرب)
تأليف ، فاضل ابراهيم • بغداد ١٩٨٤ ، ٢٢٠ ص •

☆ الخراج في العراق

تأليف الدكتور صالح احمد العلي ، المجمع العلمي العراقي ١٩٩٠ ، ٣٦٠ ص

☆ الخلافة

تأليف ، السير توماس ارنولد ، ترجمة ، جميل معلي ، ١٤٣ ص •

☆ الخليج العربي ودراسة لتاريخ الامارات

تأليف ، الدكتور جمال زكريا قاسم ، الكويت ١٩٧٤ ، ٥٣٣ ص •

☆ الخليج العربي ودراسة لتاريخ الامارات

تأليف ، جمال زكريا قاسم ، القاهرة ١٩٧٢ ، ٥١٨ ص •

☆ خمسة نصوص اسلامية فادرة من معجزات الرسول وفضائله وفضل الصلاة

والسلام عليه

تأليف شعبان بن محمد الاثاري (ت ٨٢٨ هـ) ، تحقيق ، الاستاذ هلال

ناجي بغداد ١٩٩٠ ، ٦٦ ص •

☆ الخوارج والشيعة

تأليف ، يوليوس فلهوزن ، ترجمة عبدالرحمن بدوي القاهرة ٢٧٨ ص •

☆ داوود باشا والي بغداد

تأليف الدكتور عبدالعزيز سليمان فوار ، القاهرة ١٩٦٨ ، ٣٦٩ ص •

☆ دراسات في العراق الاسلامي

تأليف ، منذر عبدالكريم البكر ، بغداد ، ٥٤٤ ص •

★ دراسات في تاريخ الخليج العربي

تأليف ، الدكتور بدر الدين عباس الخصوصي ، ذات التالسل
١٩٧٨ ، ٢٣٥ ص ، ج ١ .

★ دراسات في تاريخ المغرب

تأليف ، حرمان عاش ، المغرب ١٩٨٦ ، ٣٤٩ ص .

★ دراسات في جغرافية الصراع الدولي

تأليف ، صباح محمود محمد ، بغداد ١٩٩٠ ، ٢١١ ص .

★ دراسة في حياة وأعمال الاستاذ عبدالهادي التازي

تأليف ، عبدالفتاح الدين ، المغرب ١٩٩١ ، ١٤٣ ص .

★ دراسات عن المؤرخين العرب

تأليف ، مرغو بعوث ، ترجمة : الدكتور حنا نصار بيروت ١٧٥٥ ص .

★ دراسات في النظم العربية الاسلامية

تأليف ، الدكتور توفيق سلطان ، الموصل ١٩٨٨ ، ٣٣٦ ص .

★ دراسة في الحسبة والمحاسب عند العرب

تأليف ، الدكتور كمال السامرائي ، بيروت ١٩٨٨ ، ٢١٦ ص .

★ دوحة الوزراء

تأليف ، الشيخ رسول الكركوكي ، ترجمة ، موسى كاظم فورس ،

بيروت ، ٣١٢ ص .

★ دول العرب وعظماء الاسلام

ظم ، احمد شوقي بك ، القاهرة ١٩٣٣ ، ١٠٩ ص .

★ الدولة البيزنطية

تأليف ، السيد الباز الغربي ، بيروت ١٩٨٢ ، ٩١٦ ص .

★ الدولة الحنفية ، صفحات عامرة من تاريخ مجيد

تأليف ، احمد بن عامر ، تونس ١٩٧٤ ، ١٧٣ ص .

- ★ الدولة الرسولية في اليمن
تأليف ، صدر الدين احمد ، بغداد ١٩٩٠ ، ٨٠ ص •
- ★ الدولة العباسية
تأليف ، الدكتور عصام الدين عبدالرؤوف النقي القاهرة ١٩٨٧ ، ٣٠٨ ص
- ★ ديك الجن الحمصي •
تأليف ، البدرى المثلث ، عمان ١٩٩١ ، ١٣٨ ص •
- ★ ديلان توماس
تأليف ، س. ب. كوكس ، ترجمة : جبرا ابراهيم جبرا ، بغداد ١٩٨٥ ،
٢٧٩ ص •
- ★ الذيل على العبر في خير من غير
تأليف ، الحافظ العراقي ، تحقيق ، صالح مهدي عباس ، وعبد المجيد
القيس ، بيروت ١٩٨٩ ، ٣ ، القهارس (دورة)
الرازي من خلال تفسيره
- ★ تأليف ، عبدالعزيز المجذوب ، تونس ١٩٨٠ ، ٢٢٢ ص •
- ★ رحلات الامام محمد رشيد رضا
جمع ، يوسف ايشين ، بيروت ١٩٧١ ، ٣٩٥ ص •
- ★ رحلة ابن جبير
دراسة ، الدكتور شاكر خصباك ، بغداد ١٩٧١ ، مستل •
- ★ رحلة الى الشرق
تأليف ، جيرا ردي ترفال ، ترجمة ، كوثر عبدالسلام البحيري ، القاهرة ،
ج ٣ ، ٢٩٩ ص •
- ★ رحلة ابي طالب خان
ترجمة ، الدكتور مصطفى جواد ، بغداد ، ٤٣٣ ص •
- ★ رحلة نبور الى العراق
ترجمة ، محمود حسين أمين ، بغداد ١٩٦٥ ، ١٨٠ ص •

- ★ رسوخ الاخبار في منسوخ الاخبار (مع فهرس الاخبار)
تأليف ، الجعيري ، بيروت ١٩٨٨ ، ٥٧٦ ص •
- ★ رسوم الدولة ببغداد في العصر العباسي
تأليف ، ميخائيل عواد ، بغداد ١٩٩٣ ، ٤٨ ص •
- ★ روضة السرّين في دولة بني مرّين
تأليف ، اسماعيل بن الاحمر ، تحقيق ، عبدالوهاب بن منصور ، الرباط ،
١٩٩١ ، ط٢ ، ٩٨ ص •
- ★ ريف بغداد ، دراسة تاريخية لتنظيماته الادارية واحواله الاقتصادية
تأليف ، الدكتورّة ناجية عبدالله ابراهيم ، بغداد ١٩٨٨ ، ٤١ ص •
- ★ الري عند العرب
تأليف واعداد ، مركز احياء التراث العلمي العربي • بغداد ١٩٨٩ ، ٢٠٨ ص
- ★ السير والمغازي
تأليف ، محمد بن اسحاق المطلبّي ، بيروت ، ٣٨٣ ص •
- ★ شذرات من كتب مفقودة في التاريخ
تأليف ، احسان عباس • بيروت ١٩٨٨ ، ٥٣٤ ص •
- ★ شرف نامه
تأليف ، شرف خان البدليسي ، ترجمة / محمد علي عوني مراجعة /
يحيى خشاب ، القاهرة ، ٥٣٩ ص •
- ★ الشروط والوثائق
تأليف ، محمد جاسم الحديشي • تحقيق ، ابو نصر السمرقندي • بغداد
١٩٨٨ ، ٢٢٦ ص •
- ★ الشطار والعيارين في التراث العربي
تأليف ، الدكتور محمد رجب النجار ، الكويت ١٩٨٩ ، ط٢ ، ٤٦٤ ص •

- ★ الشورى العسكرية النبوية
تأليف ، اللواء الركن محمود شيت خطاب . بغداد ١٩٩٠ ، ١٧٤ ص : ٢٠ ن .
- ★ صفة جزيرة العرب
تأليف ، لسان الين . يعقوب الهمداني ، تحقيق : محمد بن علي الاكوع ،
بغداد ١٩٨٩ ، ٥١٢ ص .
- ★ صفة جزيرة العرب
تأليف ، الهمداني ، الحسن بن احمد بن يعقوب ، بغداد : ١٩٨٩ ،
٥١٢ ص ، ٢٠ ن .
- ★ صفة المغرب واراض السودان ومصر والاندلس مأخوذه بن نزهة المشتاق
تأليف ، الشريف الادريسي ، امستردام ، ٣٤٢ ص + ٥٩٢ ص . ١٩٦٩ .
- ★ صلاح الدين الصباغ ، مذكرات في رواد العروبة
تأليف العقيد الركن صلاح الدين الصباغ ، بغداد ١٩٨٣ ، ط ٢ ، ٣٨٠ ص .
- ★ صلاح الدين الايوبي
تأليف : آلايسي هاماتون ، آ . ر . جي . ترجمة : يوسف العث ، بيروت
١٩٧٣ ، ٢٣٥ ص .
- ★ صورة من حياة جلالة المغفور له المالك عبدالله بن الحسين
تأليف ، مؤسسة آل البيت الاردن ، ١٣١ ص .
- ★ الطب والاطباء في الاندلس الاسلامية (دراسة وتراجم ونصوص)
تأليف ، محمد العربي الخطابي . بيروت ١٩٨٨ ، ط ٢٠ X ٢٠ م . ٣٦٩ ص +
٤٤٣ ص .
- ★ طبيعة الجغرافية
تأليف ، هارثشون ، ترجمة ، جعفر خصباك . الموصل ١٩٨٤ : ٤٠٨ ص .
- ★ طبيعة الجغرافية
تأليف ، هارثشون . ترجمة الدكتور شاكر خصباك . الموصل ١٩٨٥ ،
٣٩٦ ص ، ط ٢ .

- ☆ طبقات فقهاء اليمن
تأليف ، عمر بن عاي سمرة الجعدي • تحقيقات ، نؤاد سيد • مصر ١٩٥٧ ،
٣٢٧ ص •
- ☆ الطريق الى دمشق (فتح بلاد الشام)
تأليف ، احمد عادل كمال ، بيروت ٣٩٨٥ ، ٢٠٦ ص •
- ☆ الطريق الى المدائن
تأليف ، احمد عادل كمال • بيروت ١٩٨٦ ، ٥٢٤ ص •
- ☆ العامه في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين
تأليف ، فهمي عبدالرزاق سعد • بيروت ١٩٨٣ ، ٣٧٣ ص •
- ☆ عبدالجبار الجومرد نشاطه الثقافي ودوره السياسي
تأليف ، عدنان حسامي نذير • بغداد ١٩٩١ ، ٣٣٦ ص •
- ☆ عبدالعزيز الثعالبي
تأليف ، انور الجندي • بيروت ١٩٨٤ ، ٢٢٤ ص •
- ☆ عبدالله كنون
تأليف ، عدنان الخطيب • سوريا ١٩٩١ ، ٨٥ ص •
- ☆ عجائب الهند
تأليف ، تي اي خان دير ابريل ، ١٨٩٠ ، ١٣ ص •
- ☆ العراق الشمالي
تأليف ، الدكتور شاكر حضاياك • بغداد ١٩٧٣ ، ٥٥١ ص •
- ☆ العرب في التاريخ
تأليف ، يرناد لويس • ترجمة ، بنيامين فارس ، محمود يوسف زايد •
بيروت ١٩٥٤ ، ٢٨ ص •
- ☆ العسكرية الاسلامية في العصور الوسطى حطين وعين جالوت
تأليف ، قاسم محمد صالح • عمان ١٩٨٧ ، ١٣١ ص •

- ★ عشائر العراق الكردية
- تأليف ، عباس العزاوي • بغداد مصور ١٩٤٧ ، ج ٢ •
- ★ عش مائة عام
- تأليف ، د • جاباورد هاردن • القاهرة ١٩٥٤ ، ١٩٢ ص •
- ★ عصر الخليفة المقدر بالله (رسالة ماجستير)
- تأليف ، حمدان عبدالمجيد الكبيسي • بغداد ١٩٧٣ ، ٥١٩ ص •
- ★ العراق في العهد الجلائري دراسة في اوضاعه
- تأليف ، نوري عبدالحميد العاني • بغداد ١٩٨٩ ، ٣٦٨ ص •
- ★ العراق في العهد الجلائري
- تأليف ، نوري عبدالحميد العاني • بغداد ١٩٨٦ ، ٣٩٨ ص •
- ★ على طريق الهند
- تأليف ، عبد الفتاح ابراهيم • بغداد ١٩٣٥ ، ٣٥٤ ص •
- ★ العلامة محمد بهجة الاثري
- تأليف ، حميد المطيعي • بغداد ١٩٨٨ ، ٢٩٤ ص •
- ★ علم التاريخ
- تأليف ، الاستاذ هرتشو • ترجمة وتعليق ، عبدالحميد العيامي ، القاهرة ١٩٣٧ ، ١٨٤ ص •
- ★ العمارات العربية الاسلامية في العراق
- تأليف ، عيسى سامان واخرون • بغداد ١٩٨٢ ، ط ، ٣١٢ ص •
- ★ على هامش السيرة
- تأليف ، طه حسين • القاهرة ١٩٣٧ ، ٢٣٣ ص •
- ★ العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية
- تأليف ، مصطفى عباس الموسوي • بغداد ١٩٨٢ ، ٣٩٢ ص •
- ★ الغنية (فهرست شيوخ القاضي عياض)
- تأليف ، ماهر زهير جرار • بيروت ١٩٨٢ ، ٣٠٧ ص •

- ★ الفتح العثماني للاقطار العربية ١٠١٦ - ١٠٧٤
تأليف ، نيقولا ي ايفانوف • ترجمة ، يوسف عطا الله • المغرب ١٩٨٨ ،
٣١٥ ص •
- ★ الفرات الاوسط
تأليف ، الرواموسيل • ترجمة ، صدقي حمدي • بغداد ١٩٩٠ ، ٦٤٦ ص •
- ★ الفرات الاوسط رحلة وصفية ودراسات تاريخية
تأليف ، الرواموسيل • ترجمة : صدقي حمدي ، عبدالمطلب عبدالرحمن
داود ومراجعة الدكتور صالح احمد العلي ، الدكتور عاي احمد المياح
بغداد ١٩٩٠ : ٦٤٦ ص ، ٢٢ ن •
- ★ الفضل المزيدي على بغية المستفيد في اخبار زبيد
تأليف ، ابي الربيع الشيباني الزبيدي • تحقيق ، الدكتور محمد عيسى
صالحية • الكويت ١٩٨٣ ، ٣٧٧ ص •
- ★ الفكر السياسي والدافع التاريخي
تأليف ، حازم طالب مشتاق • بغداد ١٩٧١ ، ٢٦ ص •
- ★ الفكر العربي ومكاته في التاريخ
تأليف ، دبلاس اوليري • ترجمة ، تمام حسان ، مراجعة ، محمد مصطفى
حلمي • القاهرة ، ٣٠٠ ص •
- ★ فكرة التاريخ
تأليف ، د • ج • كولنجورد • ترجمة / محمد بكير خليل / م / محمد
عبدالواحد خلاف مصر ١٩٦٨ ، ٥٧٤ ص •
- ★ فنون القاهرة في العهد العثماني ١٥١٧ - ١٨٠٥ م
تأليف الدكتور ربيع حامد خليفه • القاهرة ١٩٨٤ ، ١٩٨ ص •
- ★ في الاستشراق الاسباني
تأليف ، خوان كوفيتير • بيروت ١٩٨٧ ، ٢٥٦ ص •

- ★ في تراننا العربي الاسلامي
- ★ تأليف ، توفيق الطويل • الكويت ١٩٨٥ ، ٢٥٦ ص ٢٥ •
- ★ في غمره النضال مذكرات سليمان فيضي
- ★ تأليف ، سليمان فيضي • بغداد ١٩٥٢ ، ٣١٨ ص •
- ★ قاضي القضاة عبدالجبار بن احمد اليمداني
- ★ تأليف ، الدكتور عبدالكريم عثمان • بيروت ١٩٦٧ ، ٢٥٤ ص •
- ★ قانون السياسة ودستور الرئاسة / مؤلف مجهول
- ★ تحقيق ، محمد قاسم الحديثي • بغداد ١٩٨٧ ، ٢٦١ ص •
- ★ قبائل بني قيس القديمة والحديثة في الوطن العربي
- ★ تأليف ، محمد موسى صالح الفسفوس • عمان ١٩٩٠ ، ١٩٩٢ ، ج ١ - ج ٢ × مج ٢ •
- ★ القبائل العراقية
- ★ تأليف ، يونس السامرائي • بغداد ١٩٨٩ ، ج ١ + ٢ ، ٣٦٨ + ٧٠٤ ص •
- ★ قبيلة المسارة الطائية في العراق وعشائر سنبس الاخرى
- ★ تأليف ، غزال مهدي مضعن المساري • بغداد ١٩٨٩ ، ج ١ ، ٨٨ ص •
- ★ قبيلة العيثاوين دراسة عن نسبها ومساكنها
- ★ تأليف ، احمد حسين العيثاوي • بغداد ١٩٩٠ ، ٤٧ ص •
- ★ القصاص والمذكورين
- ★ تأليف ، الامام ابو الفرج ابن الجوزي • تحقيق ، الدكتور قاسم السامرائي
- ★ الرياض ١٤٠٣ هـ ، ٣٧٨ ص •
- ★ قطعة نادرة من كتاب الاوراق (صفحة مجهولة من تاريخ العراق
- ★ تأليف ، ابو بكر الصولي • تحقيق ، الاستاذ هلال ناجي ، بغداد ١٩٩٠ ، ٦٩ ص •
- ★ قيام دولة المارابطين (صفحة مستوفى من تاريخ المغرب في العصور الوسطى
- ★ تأليف ، حسن احمد محمود • مصر ١٩٥٧ ، ٤٩١ ص •

- ★ كتابات مضيئة في التراث الجغرافي العربي
- تأليف ، شاكر خصباك • بغداد ١٩٧٨ • ٣٠٣ ص •
- ★ كلمة تمثيل التاريخ
- تأليف ، عمر فروح • بيروت ١٩٨٤ ، ٥٢ ص •
- ★ كتب طبية في اليمن
- تأليف ، كاودي فاين ، ترجمة ، محسن احمد العيني • بيروت ١٩٦٢ ، ط ٢ : ٢٥٣ ص •
- ★ لواء ديالى
- تأليف ، خضير الغزاوي • بغداد ١٩٧٠ • ١٩٤ ص •
- ★ محاضرات في تاريخ العرب
- تأليف ، الدكتور صالح احمد العلي • بغداد ١٩٦٠ ، ٤٢٠ ص ج ١ •
- ★ محمد بن عبد الملك الزيات
- تأليف ، فايز علم الدين القيسي • بيروت ١٩٨٣ ، ٢٦١ ص •
- ★ محمد عبد الملك الزيات الوزير الكاتب الشاعر
- تأليف ، الدكتور جميل سعيد • بغداد ١٩٩٠ ، ١٩٧ ص ، ٢٣ •
- ★ محمد عبد الملك الزيات
- تأليف ، فايز علم الدين القيسي • بيروت ١٩٨٣ ، ٢٦١ ص •
- ★ المحلة التقليدية ، النشوء والتطور ومعايير الحي المعاصر
- تأليف ، عقيل نوري الملاحريش • بغداد ١٩٨٩ ، ٢٠٧ ص •
- ★ مختصر تاريخ بغداد
- تأليف ، علي ظريف الاعظمي • بغداد ١٩٦٦ ، ٢٦١ ص •
- ★ مدخل الى تاريخ الحضارة
- تأليف ، الدكتور شحادة الناطور وآخرون • الاردن ١٩٨٩ ، ١٧١ ص •
- ★ المدن في الاسلام حتى العصر العثماني
- تأليف ، شاكر مصطفى • الكويت ١٩٨٨ • ط ٢ × مج ٢ •

- ★ المدينة العربية
- تأليف خالص الاشعب • الكويت ١٩٨٢ ، ١٥٧ ص ، ن ٢ •
- ★ مذكرات الامير زيد ، الحرب في الاردن ١٩١٧ - ١٩١٨
- تأليف ، سليمان موسى • عمان ١٩٩٠ ، ٢٥٥ ص •
- ★ مذكرات اتونسي ايدن
- ترجمة ، خيرى حماد ، بيروت • ١٩٦٠ ، ق ١ - ق ٢ × ٢ م ، ٣٧٥ + ٤٩٨ ص
- ★ مذكرات جعفر العسكري
- تحقيق وتقديم ، نجدة فتحي صفوة • لندن ١٩٨٨ ، ٢٤٧ ص •
- ★ مذكرات رستم حيدر •
- تحقيق ، نجدة فتحي صفوة - ط ٢ • بيروت ١٩٨٩ ، ٨٥١ ص •
- ★ مذكرات روؤف البحراني لمحات عن وضع العراق في اواخر العهد العثماني
- تحقيق ، جواد هبة الدين الحسيني • بغداد ١٩٩٣ ، ج ١ ، ٢٩٥ ص •
- ★ مذكرات سندرسن باشا ، طبيب العائلة الملكية في العراق ١٩١٨ - ١٩٤٦
- تأليف ، سندرسن باشا • ترجمة ، سليم طه التكريتي ، ط ٢ بغداد
- ١٩٨٢ ، ٤٤٠ ص •
- ★ مذكرات الطبّيجاي وذكريات جاسم مخلص المحامي
- تأليف ، جاسم مخلص المجامي : ط ٢ • بغداد ١٩٨٥ ، ٥٨١ ص •
- ★ مذكرات الفريق طاووزند
- تقديم وتعليق ، حامد احمد الورد • بيروت ٩٨٦ - ، ٦٤٧ ص ، ط ٢ •
- ★ مذكرات علي محمود الشيخ علي
- تحقيق وتعليق ، محمد حسن الربيعي • بغداد ١٩٨٥ ، ٤٣٢ ص •
- ★ المرجع في الحضارة العربية الاسلامية
- تأليف ، الدكتور ابراهيم سلمان الكردي وعبد التواب شرف الدين
- الكويت ١٩٨٧ ، ٥١٢ ص •

- ★ مزاحم الباجه جي سيرة سياسية
- تأليف ، الدكتور عدنان الباجه جي • لندن ، ٥٥٩ ص •
- ★ المشرق العربي المعاصر
- تأليف ، الدكتور صلاح العقاد • مصر ١٩٧٠ ، ٧٢٧ ص •
- ★ مصطلح التاريخ
- تأليف ، اسد رستم • بيروت ط ٣ ، ١٣٨ ص •
- ★ مصطفى جواد وجهوده اللغوية
- تأليف ، محمد عبد المطلب البكاء بغداد ١٩٨٧ ، ط ٢ ، ٢٩٨ ص •
- ★ المصباح المضيء
- تأليف الامام ابي عبدالله الانصاري • بيروت ١٩٨٦ ، ٤٣٩ ص •
- ★ مطالع السعود (تاريخ العراق من سنة ١١٨٨ ولغاية سنة ١٢٤٢ هـ)
- تأليف ، عثمان بن سند الوائلي البصري • تحقيق ، عماد عبدالسلام رؤوف
- الموصل ١٩٩١ ، ٥٠٠ ص •
- ★ معارك العرب الحاسمة
- تأليف ، صبحي عبدالحميد • بيروت ١٩٨٦ ، ٢٣٢ ص •
- ★ معالم تاريخ اوربا الحديث
- تأليف ، محمد رفعت ، ومحمد احمد • القاهرة ، ٣٢٤ ص •
- ★ معالم العراق العمرانية دراسة في المعالم الجغرافية والسكانية مستندة على المصادر الادبية •
- تأليف ، الدكتور صالح احمد العلي • بغداد ١٩٨٩ ، ٣٢٠ ص •
- ★ معطيات الحضارة المغربية
- تأليف ، عبدالعزيز بن عبدالله • الرباط ١٩٦٣ ، ١٤٣ ص •
- ★ مقامات العلماء بين يدي الخلفاء والامراء
- تأليف ، ابو حامد الغزالي • تحقيق ، محمد حاتم الحديثي • بغداد ١٩٨٨ ،
- ٢٩٦ ص •

- ★ مقدمة ابن خلدون
- تأليف ، ابن خلدون • بيروت ٥٠٧ ص •
- ★ مقدمة في تاريخ الفكر العلمي في الاسلام
- تأليف ، احمد سليم سعيدان • الكويت ١٩٨٨ ، ٢١٧ ص ، ٢٠ ن •
- ★ المنتظم في تاريخ الملوكة والامم
- تأليف ، ابن الجوزي بغداد ١٩٩٠ ، ج ١ - ٦ وج ٦ - ٨ وج ٨ - ١٠ ×
- مع ٣ مع فهرس •
- ★ الملك فيصل الاول
- تأليف ، الدكتور عبدالمجيد كامل التكريتي • دار الشؤون الثقافية العامة
- ١٩٩١ ، ٣٧٤ ص •
- ★ الملك فيصل الاول دراسات وثائقية في حياته السياسية
- تأليف ، الدكتور محمد مظفر الادهمي • بغداد ١٩٩١ ، ٢٢٠ ص •
- ★ مندالي عبر العصور
- تأليف ، عمران موسى المندلاوي • بغداد ١٩٨٥ ، ٥٢٦ ص •
- ★ من رواد العروبة في العراق (مذكرات صلاح الدين الصباغ)
- تأليف ، صلاح الدين الصباغ ، ط ٢ ، بغداد ١٩٨٣ ، ٣٨٠ ص •
- ★ من اوراق نجيب الصائغ في العودين الملكي والجمهوري
- تأليف نجيب الصائغ ، شركة وطبعة الاديب البغدادية ١٩٩٠ ، ٣٢٥ ص •
- تأليف نجيب الصائغ ، شركة وطبعة الاديب البغدادية ١٩٩٠ ، ٣٢٥ ص •
- تأليف ، نجيب الصائغ ، بغداد ١٩٩٠ ، ٣٢٥ ص •
- ★ من محاضر الاثار القديمة العربية
- تأليف ، ستيفن هونكغ ، ترجمة باسل محمد الحديشي ، بغداد ١٩٩٠ ،
- ★ موجز تاريخ الزمن
- تأليف ، ستيفن هونكغ ، ترجمة باسل محمد الحديشي ، بغداد ١٩٩٠ ،
- ٢٨٧ ص •

- ★ نثر الدرر المكنون عن فضائل اليمن الميمون
تأليف ، السيد محمد بن علي الاهدلي الحسيني اليمني • الدار اليمنية
١٩٨٧ ، ٢٧٠ ص٠
- ★ ندوة مارآبا الكبير
تأليف ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٩٢ ، ١٣٨ ص ٢ ن٠
- ★ نزوة العاشق
تأليف ، ي . ف . جونه ، ترجمة الدكتور عزة شعلان ، مراجعة الدكتور
احمد حسن ، القاهرة ١٩٦٦ ، ٢١٨ ص٠
- ★ نواير الفرات او بين العرب والاكرد
تأليف ، هوليارد ، ترجمة . حسين عيه • بغداد ١٩٥٧ ، ٢٨٩ ص٠
- ★ النهرض العربي في العراق والاقاليم المجاورة في العصور العباسية الاخيرة
تأليف ، فاروق عمر فوزي • بغداد ١٩٨٩ ، ٣٢٠ ص٠
- ★ واسط في العصر العباسي
تأليف ، عبدالقادر سلمان المعاضيدي • بغداد ١٩٨٣ ، ٤٥٩ ص٠
- ★ وثائق عربية غرناطية
تأليف ، لويس سيكودي لوثتا اسبانيا ١٩٦١ ، ١٨٩ + ١٩٢ ص٠
- ★ وثائق اللجنة القومية العربية بنابلس
تأليف ، الدكتور بهجت حسن صبري • الاردن ١٩٩١ ، ط١ ، ٣٢١ ص٠
- ★ وصف افريقيا
تأليف ، محمد الرزان الناسي ، بيروت ١٩٨٣ ، ٣٣٩ ص٠
- ★ وصف مصر
تأليف ، علماء الحملة الفرنسية ، ترجمة ، زهير الشايب • مصر ، ج ٥ و
ج ٦ × ٢٠

- ★ وصف مصر
تأليف ، علماء الحملة المصرية ، ترجمة زهير الشايب القاهرة ١٩٨٩ ج ١ و
ج ٣ - ٤ و ج ٧ - ٨ و ج ٩ ط ٢ •
- ★ وصف مصر
تأليف ، علماء الحملة الفرنسية • ترجمة ، زهير الشايب ، القاهرة ١٩٨٩ ،
ط ٢ ، ج ١ - ٩ × ٩ مج •
- ★ وصف مصر اللوحات (الدولة القديمة)
تأليف زهير الشايب القاهرة : المجلد الاول ، ٢٢٣ ص •
- ★ وفاء الوفاء باخبار دار المصطفى
تأليف ، نور الدين هاي السهودي • مصر ١٣٢٦ هـ • ٤٦٠ ص ، ج ٢ •
- ★ وقعة وادي المخازن في تاريخ المغرب
تأليف ، الدكتور ابراهيم شحاته حسن ، الدار البيضاء ١٩٧٩ ، ٣٤٣ ص •
- ★ الواقع التاريخي والحضاري لسلطنة عمان
تأليف ، خالد يحيى العربي ، بغداد ١٩٨٦ : ٣٩٢ ص •
- ★ الولايات المتحدة والمشرق العربي
تأليف ، احمد عبد الرحيم مصطفى • الكويت ١٩٧٨ ، ٢٧٩ ص •
- ★ وفود القبائل على الرسول (ص) وانتشار الاسلام في جزيرة العرب
تأليف ، الدكتور حسن جبر - الكويت ١٩٨٧ - ٣٢٩ ص •



الفهرس

الموضوع	الصفحة
★ محمد بهجة الاثري في ذمة الخلود	٣
★ القمروان في المهود الاسلامية الاولى (دراسة في تنظيم اهلها ومعالها الممرانية)	٥
الدكتور صالح احمد العلي	
★ عبد القاهر ونقد النص الشعري	٥٥
الدكتور احمد مطلوب	
★ الاشهر الافصح (يانس به قلبي) لا (يانس اليه قلبي)	١٠١
الدكتور جميل الملائكة	
★ جومرة الجبهة للصاحب اسماعيل بن عباد	١٠٨
الشيخ محمد حسن آل ياسين	
★ بناء قصيدة الشكوى في العصر الاموي	١٢٩
المرحوم الدكتور نوري حمودي القيسي	
★ رحلة ابن بطوطة (دراسة في الجغرافية الاقليمية)	١٤٦
الدكتور علي محمد المياح	
★ ديوان التحقيق الاسباني ومهمته في اباداة الامة الاندلسية	١٨٥
اللواء الركن محمود شيت خطاب	
★ الفعل الماضي وحركات بنائه	٢٤١
الدكتور جميل ابراهيم علوش	
★ انعام الوفاء في معجم القاب الشعراء	٢٥٥
الدكتور سامي مكي العاني	
★ لطائف الكتب ومحاسنها لابي منصور الثعالبي	٢٩١
تحقيق الاستاذ هلال ناجي	
★ تقرير عن ندوة منهجية النصوص	٣١٧
د . جميل الملائكة	
★ قواعد وضوابط النشر	٣٢١
★ الكتب الواردة والمهداة الى مكتبة المجمع العلمي	٣٣٠
اعداد صباح ياسين الاعظمي	

JOURNAL
of the
IRAQI ACADEMY



Volume 43

Part (1)

BAGHDAD

1414/1996